

الْحَقِيقَةُ

فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ

الْشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

الْمَغْنَمِ

فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

الْمَوْعِزِ

فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ (ع)

الشيخ

محمد بن عبد الله الأصفهاني

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام



الجهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

- | | |
|---------------|--|
| ● المؤلف : | الشيخ محمد مهدي الآصفي ● |
| ● الطبعة : | الثالثة ● |
| ● المطبعة : | بهمن ● |
| ● الكتيبة : | ٣٠٠٠ نسخة ● |
| ● التاريخ : | ١٤١٩ هـ . ق . ● |
| ● صف الحروف : | المجمع العالمي لأهل البيت <small>عليه السلام</small> ● |

الناشر

المعاونية الثقافية
للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

«جميع حقوق الطبع محفوظة للمجمع»

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قُلْ أَهْوَذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ
النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي
يُوشِوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ.



كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

في حديث أهل البيت عليهم السلام كنوز من المعارف لا تحصي وأنوار ساطعة من الحقائق لا تقف أمامها ظلمات أهل الدنيا ودعائها.

ومن يتناولها بمنطق المعرفة والعلم، كحقائق مطلقة يجد فيها من الشمولية ما تسترهب كل واقع الانسان، في نفسه وما حوله، وجوداً ومسيراً ومآلاً، ومن تلك الحقائق التي عجز عن سبرها والاحاطة بها علماء ومفكرو النظريات الوضعية في علم النفس والاجتماع هي الهوى، في معناه وحقيقته، وفي جذوره وحركته وآثاره، وفي نظمه ونسيجه نحو الخير والكمال.

ولعلنا لا نجانب الواقع لو قلنا إننا نندر أن نجد من كتب في هذا الموضوع، من علماء ومفكري الاسلام قبل كاتب هذا السفر الجليل سماحة العلامة الشيخ محمد مهدي الاصفى حفظه الله، بلغة تحليلية علمية يستنتق بها النص وينطلق منه في جولة شاملة لحقيقة الهوى وجوداً وحركة وآثاراً ليضعه في النهاية على هدي القرآن الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السلام في مساره الصحيح الذي أراده الله سبحانه لهذا الانسان وهو يخوض غمار الصراع من أجل تحقيق الهدف من خلقه

٨..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

وخلافة الله في أرضه، وقد انساب الكاتب، كماداته، مع النصوص يستنطقها قبل أن ينطق عنها، حفظاً لها من دسيسة الرأي، وتحميلها من الدلالة ما لا تدل عليه، فابتدأ بتحديد معنى الهوى في الكتاب والسنة، ثم انطلق لتفصيل حقيقته وخصائصه في نفس الانسان، ودوره البناء في تكوين حياته، بعدها انتقل الى بيان عوامل التحريف والخطا التي تعمل عملها الحاسم في بروز الدور التخريبي للهوى تحت عنوان «من يؤثر هواه على هوى الله»، مرتبة على مراحل تتناسب ودرجة التحريف والخطا للهوى في نفس الانسان وواقعه، ثم ينتقل الكاتب الى علاج الهوى من أدوات التخريبة تحت عنوان «من يؤثر هوى الله على هواه»، وهنا يجول بنظرو في آفاق روايات أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً ما جاء عنهم من حديث قدسي في هذا المضمار، لبحيط بكل الأدوية ما دق منها وما ظهر، ثم يطفئ يستخرج من كنوزها الدواء الناجع والعلاج الحاسم لتلك الادواء بدقة مباشرة لا تجد بينها وبين المنطوق القدسي فاصلاً يحدث في النفس تأملاً أو تردداً يخرجها عن حالة التبعية والتسليم له.

هذا والمعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام اذ وجدت في هذه الدراسة القيمة العلمية التي نصير اليها في إصداراتها والحاجة الاساسية التي تسد نقصاً في مجال مهم يحقق ملؤه هدفاً من أهداف وجودها وعملها، ارتأت ان تقدمها لأبناء الاسلام واتباع أهل البيت عليهم السلام سائغة تشبع تطلع طلاب المعرفة والعلم، قشيرة تأنس بها النفس لتعانق معانيها، وتشرب من مضامينها القدسية ما تروى به ضماًها في عصر الجذب الروحي والانحطاط الخلقي، ليقوم للدين عود وتعلو له كلمة، ومن الله التوفيق والسداد.

المعاونة الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي القاريء طائفة من التأملات حول الحديث القدسي الشريف الوارد في الهوى، وأتباعه ومخالفته، وأثاره في حياة الإنسان. وكانت هذه التأملات - في الاصل - مجموعة من المحاضرات التيها في حينها على طلبة العلوم الاسلامية في حوزة قم المقدسة، ثم يسر الله تعالى تجميعها وتدوينها ونشرها بهذه الصورة. والله تعالى الحمد في ذلك كله، وأسأله تعالى أن ينفع بها المؤمنين، وينفع بها كاتبها يوم لا ينفع مال ولا بنون.

محمد مهدي الآصفي

قم المقدسة. في ٢٨ شوال ١٤١٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن الامام الباقر (ع) : من رسول الله (ص) قال : يقول الله عز وجل :

«وعزتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري،
وعُلُوِّي، وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي
إلا شئتُ أمره، وبُست عليه دنياه، وشغلته قلبه بها،
ولم أوت منها إلا ما قُدّرت له.

وعزتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري،
وعُلُوِّي، وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواي
إلا استخففته ملائكتي، وكفّلت السماوات والأرض
رُزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأنته الدنيا
وهي راحته»^١.

(١) حلة القدسي لابن عبد الحلبي : ٨٩. أصول الكافي : ٢ : ٣٣٥. بحار الأنوار - ٧ : ٧٨. بحار الأنوار
٧٠ : ٨٥ - ٨٦ الجواهر السنوية في الأحاديث القدسية للحر العاملي : ٣٢٢. ورواه الشيخ محمد المدني
بلفظ قريب منه في : الاتحافات السنوية في الأحاديث القدسية : ٣٧ ط ٢.

١٢الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

هذا الحديث الشريف من الأحاديث القدسية التي اشتهرت روايتها واستفاضت في كتب الفريقين.

وقد رويناهذا الحديث عن طرق مختلفة، صَحَّ عندنا بعضها. وحاولت أن أضع شرحاً لهذا الحديث الشريف ضمن ثلاث فصول:

الفصل الاول: في تعريف الهوى، وتشخيص اعراضه، وطرق علاجه، والسيطرة عليه. وهذا الفصل يعتبر مدخلاً لدراسة هذا الحديث الشريف.

الفصل الثاني: فيمن آثر هواه على هوى الله.

الفصل الثالث: فيمن آثر هوى الله على هواه

الفصل الأول
الهوى
في القرآن والحديث

مصطلح «الهوى» في الكتاب والسنة

«الهوى» مصطلح إسلامي، تكوّن من تلال استخدام هذه الكلمة في الكتاب والسنة. وأصبح له معنى محدود في الثقافة الإسلامية.

وقد ورد ذكر الهوى كثيراً في الكتاب والسنة. يقول تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾^١. ويقول تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾^٢.

وعن أمير المؤمنين (ع) برواية الرضوي في «نهج البلاغة»:

«إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى وطول الإملء».

وقد روي هذا الحديث عن رسول الله (ص) وعن الإمام الصادق (ع): «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم وحصاد السننهم»^٣.

(١) الفرقان: ١٢.

(٢) النازعات: ٤٠ - ٤١.

(٣) أصول الكافي ٢: ٣٣٥.

١٦ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

وأيضاً عن الامام الصادق (ع) : «لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها».

المتابع الستة داخل النفس

ولكي نعرف موضع «الهوى» في النفس ودوره في حياة الانسان نقول : إن الله تعالى أودع في نفس الانسان طائفة من المصادر والمتابعات لحركة الانسان ووعيه وكل حركة للانسان - فعلية أو انفعالية - وكل وهي له مصدر عن هذه المصادر وأهم هذه المصادر ستة، وأهم هذه الستة «الهوى» وهذه الستة هي :

١- الفطرة : وفيها أودع الله تعالى الميل والتزوع والابتذاب إلى الله تعالى ومعرفته، وإلى الفضائل والقيم الاخلاقية كالوفاء، والعفة، والرحمة، والكرم، ...

٢- العقل : وهو مركز التمييز والتشخيص في تكوين الانسان.

٣- الارادة : وهي مركز القرار، ونؤمن للانسان حرية (القرار) واستقلاليته.

٤- الضمير : وهو محكمة قائمة في داخل النفس مهمته محاكمة الانسان وتوبيخه وممارسة الضغط عليه لتعديل سلوكه.

٥- القلب والفؤاد والصدر : وهو نافذة أخرى للوحي والمعرفة - كما نفهم من خلال آيات كتاب الله تعالى، يتلقى الاشارات والوحي من لدن الله تعالى -.

٦- الهوى : وهو مجموعة الغرائز والشهوات المودعة في نفس الانسان والتي تتطلب الاشباع بقوة، وتكسب الانسان لذة عند الاشباع.

وهذه المتابعات الستة التي ذكرتها للحركة والوحي في نفس الانسان هي من أهم المصادر التي أودعها الله تعالى لدى الانسان. ولست الان بصدد دراسة هذه

المصادر أو حصرها وتحديدها، وتكوين تصور علمي عنها من خلال النصوص الإسلامية.

وهذا الحقل من الثقافة النفسية في الإسلام يحتاج إلى كثير من الدراسة والبحث والتفكير، ولعل الله تعالى يقبض له من يتولى دراسته من خلال النصوص الإسلامية، وهو حقل (محصي) من حقول الفكر الإسلامي، وفي نفس الوقت حقل (بكر). وهذه الخصوبة والبكورية في هذا الحقل من حقول الثقافة الإسلامية تغري العلماء والباحثين بارتياحه.

وتحصر مهمتنا في هذه الدراسة في «الهوى» وتحديد معناه، وتعريفه، ودوره في حياة الإنسان، وخصائصه، وآثاره، وأعراضه، ووسائل مكافحته، وما يتصل بذلك من الشؤون.

ولذلك فإننا نظري الحديث عن هذه المصادر التي أودعها الله تعالى في النفس للحركة والوعي لتحدث عن «الهوى»، ولدئى استعراض النصوص الإسلامية الواردة في معنى «الهوى» نجد أن هذا المصطلح في الثقافة الإسلامية يعني مجموعة الفرائض الكامنة في النفس، والتي تتطلب من الإنسان الاستجابة. وتكون هذه الفرائض شطراً كبيراً وأساساً من شخصية الإنسان، وعاملاً أساسياً في تحريك الإنسان، وإدارته، ومفتاحاً من أهم مفاتيح حركة الإنسان الفعلية والانفعالية.

خصائص الهوى

لكي نعرف الهوى ودوره الايجابي والسلبى، في البناء والتخريب في حياة الإنسان، لابد أن نتعرف على أبرز خصائص الهوى في حياة الإنسان، ونحن فيما

يلي نستعرض أبرز هذه الخصائص من خلال التصور الإسلامي :

١- الحالة التوسعية للهوى

إن حالة التوسع والاطلاق في الطلب من أبرز خصائص الغرائز في الإنسان، وتختلف الغرائز والأهواء والشهوات في درجة الاشباع والاكتفاء، فمن الغرائز ما لا سبيل إلى إشباعها إطلاقاً، وحالة الطلب في هذه الغرائز حالة مطلقة، لا إشباع لها ولا اكتفاء. ومن الغرائز ما لا تبلغ حد الاشباع والاكتفاء إلا بعد توسع كثير، وتجمع هذه الغرائز جميعاً خصلة التوسع في الطلب وعدم الاكتفاء في الحدود المعقولة من الطلب.

وقد روي عن رسول الله (ص) في هذا المعنى :

«لو كان لابن آدم واد من ماله لا يتنقى إليه ثانياً، ولو كان له واديان لا يتنقى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»^١.

وروي عن رسول الله (ص) : «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يتنقى وراءهما ثالثاً»^٢.

وعن حمزة بن حمران قال : شكى رجل إلى أبي عبد الله (ع) أنه يطلب فيصيب، ولا يفتح، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه، قال : علمني شيئاً أنتفع به، فقال أبو عبد الله (ع) : «إن كان ما يُكْفِيكَ يُغْنِيكَ فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يُغْنِيكَ»^٣.

(١) الجامع الصغير للسيوطي بشرح المناوي ٢ : ٢٢٠ ط ١٤٧٣.

(٢) مجموعة وزام (تنبيه الخواطر) : ١٦٣.

(٣) اصول الكافي ٢ : ١٣٩.

وكان أمير المؤمنين (ع) يقول : «يا بن آدم، إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإن أسر ما فيها يكفيك، وإن كنت تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك»^١.
والمقصود من حالة الإطلاق في هذه النصوص ليس هو الإطلاق الحقيقي بالتأكيد، وإنما المقصود حالة الفهم المتزايدة للفرائض عند الإنسان، والتي ليس لها حد مفعول للاكتفاء، وإذا كانت بعض هذه الفرائض تخمد وتضعف في الاشواط المتأخرة من العمر، فإن بعضها الآخر يستمر في نهجه حتى الشوط الأخير من العمر^٢.

٢- قوة التحريك والالحاح في الهوى

إن الهوى من أقوى العوامل المحركة للإنسان، ويكفي في التعريف بقوة التحريك في عامل الهوى أن نعرف أن الهوى هو العامل الوحيد - تقريباً - لتحريك الحضارات الجاهلية على سعتها. والحضارات الجاهلية تغطي أوسع مساحة من تاريخ وجغرافية الأرض.

وإذا تجاوزنا بقايا الفطرة والضمير والعقل في الحضارات الجاهلية فإن الهوى يعتبر العامل الأكبر في تحريك هذه الحضارات، في الحرب والسلام، وفي الاقتصاد

(١) بحار الأنوار ٧٣ : ١٧٠.

(٢) روي عن رسول الله (ص) : «يهرم ابن آدم وييقن منه اثنتان : الحوص والامل».

رواه أنس عن رسول الله (ص)، الجامع الصغير للسيوطي حروف الياء ٣٧١/٢.

كنت احرف عبداً صالحاً من عباد الله مكته تعالى من ترويض نفسه منذ أيام الشباب فادركته في الثمانين من عمره فكان يقول لي فيما يقول : إن أمهات الشهوات ثلاث : الجنس، المال، والجاه، وقد استطعت أن أروى نفسي في الأولى والثانية منذ أيام الشباب وتمكنت منهما، وأما الثالثة فلا زلت أشعر بخطورتها وأخشى من الوقوع في شركها.

٢٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

والعلم، وفيما يحدث في هذه الحضارات من الجرائم.
ويكفي ذلك في التصريف بضخامة القوة التحريكية للهوى في حياة الانسان إذا عرفنا أن المساحة الجاهلية من التاريخ هي المساحة الأوسع من تاريخ الانسان.
وقد روي : إن زيد بن صوحان سأل أمير المؤمنين (ع) : أي سلطان أعظم وأقوى؟ قال : الهوى^١.

ويحكي القرآن الكريم عن امرأة العزيز هذه الجملة القوية في الدلالة على قوة الهوى وسلطانه في حياة الانسان، وذلك في سياق الاقرار : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^٢.

وعن أمير المؤمنين (ع) : «الخطايا الشهوات» خيل شمس حُمل عليها أهلها، وخُلِقَتْ لُجْمُهَا، فَتَضَمَّتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ النَّفْسَ مَطَايَا ذَلَّلَ، حَمَلَ عَلَيْهَا أَهْلَهَا، وَأَعْطَوْا أَرْصَنَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةُ»^٣.

والشمس جمع شمس، وهي : الفرس الذي يمنع ظهره أن يركب ويمتنع عن الانقياد لصاحبه، وكأنما يركبه صاحبه من دون لجام، ولا يسيطر عليه، فيأخذ الفرس صاحبه معه، ولا يأخذ الراكب فرسه حيث يشاء، وكذلك الأهواء والشهوات تحيل أهلها فيفقدون السيطرة عليها والقُدرة على توجيهها، «خيل

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٧٦، حديث ٦.

(٢) يوسف : ٥٣.

وذكر أن اسأذننا في النحر في أيام الدراسة الأولى كانوا يقولون لنا : إن هذه الجملة نحوي من أدوات التأكيد ما قل أن يحويه قول آخر.

فالجمله اسميه، ومشتقة بإنّ وهذان عاملان من عوامل التأكيد، والأشارة صيغة مبالغة تفيد التأكيد في انصاف النفس بهذه الصفة، وتصدر كلمة الأمانة باللام للأمانة مبالغة في التأكيد.

(٣) نهج البلاغة - محمد عبده ٦ : ٤٩ المصطبة : ١٥.

شمس حَيل عليها أهلها وخلعت لُجُمها، بعكس التقوى التي تُمكن الإنسان من شهواته وأموره، وتطوِّع له نفسه، وتروضها له، وتمكنه من توجيهها، وتقدم بها إلى الجنة.

٣- حالة النهم في الهوى تتضاعف بالاستجابة

وهذه حالة ثالثة من الهوى يزداد بموجبها إلحاحاً في الطلب، كلما تزداد درجة استجابة الإنسان لها... والقاعدة في سائر الطلبات تقتضي العكس، كلما يستجيب الإنسان لطلب من طلبات النفس تخف حِدَّة الطلب وضارته، وتقرب من حالة الاشباع...

أما الهوى^١ فالامر فيه على العكس كلما يبالغ الإنسان في الاستجابة لمطالبه يزداد إلحاحاً وضاروة في الطلب، وتقل سيطرة الإنسان عليه... وبالعكس كلما يحاول الإنسان أن يخضع الاستجابة لمطالب الهوى للضوابط والمقاييس والمقادير المعقولة يخف طلبه وتزداد سيطرة الإنسان على هواه.

فإن الشهوات كالنيران كلما ينفخ فيها الإنسان تزداد لهيباً وشرراً. والاستجابة المضبوطة والمحدودة بالضوابط والحدود الشرعية أدعى إلى إشباع الهوى من الاستجابة المطلقة وغير المحدودة واللامنضبطة، فإن هذا النوع من الاستجابة المطلقة واللامنضبطة تزيد الهوى علماً وإلحاحاً وضاروة، كما تقلل من قدرة الإنسان على ضبط الهوى والسيطرة عليه.

وقد ورد في النصوص الإسلامية الإشارة إلى هاتين النقطتين معاً.

النقطة الأولى: إنَّ الاستجابة المطلقة للهوى تزيد الهوى ضرارة وإلحاحاً في

(١) لا يقصد بالهوى كل الغرائز فمن الغرائز ما تصح فيه هذه القاعدة.

٢٢..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الطلب، وبالعكس، إن الاستجابة المحدودة بالحدود الشرعية تكون أدعى إلى إشباع الهوى واكتفائه.

عن علي أمير المؤمنين (ع) : «رد الشهوة أفضى لها، وقضاؤها أشد لها»^(١).
والمقصود بـ «رد الشهوة» الاستجابة المحدودة والمنضبطة، والمقصود بـ «قضاؤها» الاستجابة غير المنضبطة واللامحدودة.

النقطة الثانية : إنَّ الاستجابة المطلقة وغير المنضبطة للهوى تُضعف الإنسان تجاه عامل الهوى، إلى الحد الذي يصادر كل إرادته وقدرته على السيطرة على الهوى، فيصبح مخلوقاً خاضعاً للهوى، وبالعكس ذلك فإن الاستجابة المحدودة والمنضبطة للهوى أدعى إلى سيطرة الإنسان على الهوى، وأمكن لثلاثين من أهوائه وشهواته.

عن الإمام الباقر (ع) : «مثل الحريص على الدنيا كمثل دود القز، كلما ازدادت من القز على نفسها قلما كان أبعد لها من الخروج حتى تموت»^(٢).

سلطان العقل على الهوى

رغم أن سلطان الهوى على الإنسان سلطان نافذ، فإن العقل قادر على ضبط الهوى وتنظيمه وتوجيهه، إذا مكن الإنسان عقله من هواه، وأحكم الإنسان دور العقل في حياته.

وحتى عندما يضعف دور العقل في ضبط الهوى وتثقيت الأهواء من قبضة

(١) غرر الحكم للآمدي ١ : ٣٨٠ ط مشهورات الأعلمي.

(٢) بحار الأنوار ٧٢ : ٢٣.

سلطان العقل، يقضى موقع (العقل) موقع الأمر والنهي والحاكم والزاجر، وموقع (الهوى) الموهوم والمثير للوساوس في النفس.

عن علي (ع): «للفسوس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى»^١. وروي عنه (ع) أيضاً: «القلوب خواطر سوء، والعقل يزجر منها»^٢. ومعنى ذلك أن للهوى في النفس خواطر وأوهاماً وسواوس، وأما السلطان والحكم والزجر والنهي فللعقول. وعن علي (ع): «العقل الكامل قاهر للطبع السوء»^٣.

ومعنى ذلك أن طباع الانسان وأخلاقه، مهما ساءت، وتأثرت بالاهواء، وتردت، فإن العقل يبقى سيد الموقف، ويملك القدرة الكافية على قهر طباع السوء إذاكمل العقل واستقام، وهذا أصل مهم في منهج التربية الاسلامية نتحدث عنه إن شاء الله في هذه الدراسة بتفصيل فيما بعد.

الانسان تركيب من العقل والهوى

إذن نستطيع أن نصل إلى نتيجة محدودة وواضحة في هذا الشأن، وهي: أن الاهواء، مهما كانت قوتها ونفوذها وفاعليتها في حياة الانسان، فلا تحكم إرادة الانسان ولا تسلبه إرادته، إذا قام الانسان في إكمال عقله وتكريسه وإنضاجه وإبراز دوره في حياته ... وذلك أن الانسان تركيب من العقل والهوى، ويتردد الانسان بين هذين العاملين في صعود وسقوط بمقدار ما يقوم الانسان في تثبيت وتكريس دور

(١) تحف العقول: ٩٦.

(٢) غرر الحكم للأمتدي: ١٢١: ٢.

(٣) بحار الانوار: ١٧: ١١٦.

٢٤..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

العقل في حياته وفي انضاجه وتكميله، أو من إهمال هذا العامل وإغفاله في حياته.

أما الحيوان فيختلف أمره عن الإنسان اختلافاً كبيراً، فليس فيه للعقل شأن ودور، وإنما يتحكم «الهوى» فيه بصورة مطلقة، فهو في الحقيقة يخضع لعامل واحد، وسلوكه تجسيد لسلطان هذا العامل فقط.

عن أمير المؤمنين (ع) : «إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله، فهو شر من البهائم»^١.

تلطيف الهوى

من المسائل البارزة في الثقافة النفسية في الإسلام مسألة تلطيف الهوى وترقيقه، فإن الأهواء والشهوات والغرائز يمكن أن تُزَقَّى وتُلَطَّفَ ويمكن أن تُغْلَظَ، وفي الحالة الأولى يحكم العقل وتكتمل إنسانية الإنسان، وفي الحالة الثانية يحكم الهوى، ويهبط الإنسان إلى الحالة الحيوانية التي تتحكم فيها الأهواء والشهوات.

والإنسان يتحكم في هذه الحالة أو تلك، وإليه يعود الأمر في تلطيف الهوى وتعميده، أو تغليظه وأثباعه. فإذا انقاد للهوى، ونمذ للهوى ما يريد، وحقق كل طلباته، غلب الهوى وتمكّن من الإنسان، وبرز في حياته كقوة فاعلة وكبيرة، ومارس دوراً مؤثراً في مساحة واسعة من حياة الإنسان.

وبعكس ذلك يرق الهوى، ويتلطّف، ويتمدّل، إذا مارس الإنسان خضوعاً على

(١) وسائل الشريعة، كتاب الجهاد : جهاد النفس الباب ٩، ح ٢ .

أهوائه، وشهواته، وعمل على تعديل شهواته وضبطها والسيطرة عليها، والكف من غلوائها، وإخضاعها لسلطان العقل ونفوذه.

فإن للمتنقين أهواء وشهوات، كما لغيرهم من الناس، والفرق بين المتنقين وبين غيرهم هو: أن المتنقين تمكنوا أن يملكوا أهواءهم وشهواتهم ويروضوها، بينما ملكت هذه الأهواء والشهوات أصحابها من غير المتنقين وروضتهم وتمكنت منهم، وللإنسان - وحده - أن يختار هذا أو ذاك، وأداة هذا الاختيار هي ممارسة الضبط على الأهواء ومحاولة ترويضها أو الاستجابة لها.

وسوف نتحدث فيما يأتي من هذه الأبحاث عن وسائل السيطرة على الهوى، ونتحدث الآن عن النصوص الإسلامية التي تشير إلى حالتي الهوى من (الرقعة والغلظة) ونشير إلى طريقة ترقيق الهوى والأعمال التي تؤدي إلى غلظة الهوى. ولنبدأ بكتاب الله تعالى:

يقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمٌ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^١.

إن هذا الفسوق الذي كرهه الله إلى نفوس المؤمنين والذي ينفّر منه المتنقون، هو الذي يتهالك عليه الفاسقون، ويسعون إليه ويبدلون في السعي إليه الغالي والنفيس.

فمن الذي كره هذا الفسوق إلى المؤمنين؟ ومن الذي حجب هذا الفسوق إلى الفاسقين؟ لا ريب أن الله تعالى هو الذي كره إلى المؤمنين هذا الفسوق، وقلب المؤمن في قبضة سلطان الله، وأما الذي حجب هذا الفسوق إلى الفاسق فهو الاستجابة للفسوق والرضا والالتقياد للهوى.

وعن رسول الله (ص): «المداومة على الخير كراهية الشر»^١.

إن مواصلة الخير والاستمرار فيه يؤدي إلى كراهية الشر، والشر هنا هو الشهوات واللذات التي يطلبها الناس، وهذه الشهوات واللذات المحرمة هي بالذات التي يطلبها ويسعى إليها المنحرفون والفساق، والعكس صحيح أيضاً، فإن المداومة على الشر حب الشر، وهو أمر طبيعي ومعقول في هذا السياق.

وعن أمير المؤمنين (ع) في خطبة المتقين المعروفة بخطبة همام: «تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، فائقة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه»^٢.

إن التقوى ترقى شهوات الإنسان وأهواءه، فتحول النفوس الحريصة والجشعة بالتقوى، إلى نفوس فائقة، وتتلطف الشهوات حتى تكاد تكون ميتة.

وليس المقصود بهذا النص وأمثاله من النصوص أن دور التقوى هو كبح الشهوات والأهواء، وإن كان هذا صحيحاً في حد ذاته، إلا أن الدور الآخر للتقوى في النفس هو تلطيف الشهوات وترقيتها، وهذا هو الذي نطلبه نحن من استعراض هذه النصوص، وإليك طائفة أخرى من هذه النصوص نذكرها من دون تعليق:

عن علي (ع): «كلما قويت الحكمة، ضعفت الشهوة»^٣.

وعنه (ع): «إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة»^٤.

وعنه (ع): «العفة تضعف الشهوة»^٥.

(١) بحار الأنوار ١: ١١٧.

(٢) نهج البلاغة، خطبة المتقين (همام).

(٣) غرر الحكم للأصمدي ٢: ١١١.

(٤) بحار الأنوار ٧٢: ٦٨ ونهج البلاغة، الحكمة: ٢٤٤.

(٥) غرر الحكم للأصمدي ١: ١٦٨.

وعنه (ع) : «من اشتاق إلى الجنة سلا من الشهوات»^١.

وعن علي (ع) : «واذكر مع كل لذة زوالها، ومع كل نعمة انتفالها، ومع كل بلية كشفها، فإن ذلك أبقي للتمعة، وأنقى للشهوة، وأذهب للبطر، وأقرب للفرج، وأجدر يكشف الغمة ودرك المأمول»^٢.

والتقوى وضبط النفس بتحكما في شهوات الانسان وغرائزه، إلى حدود بعيدة جداً، حتى تتكيف أهواء الانسان وشهواته بموجب حدود الله، فيهوى الانسان ويحب ما يحبه الله تعالى، ويكره الانسان وينفر عما يكرهه الله تعالى، وذلك أقصى حدود التفاعل بين الانسان وبين حدود الله تعالى، وإلى هذا الانقلاب النفسي المصحب تشير الآية الكريمة ﴿وَوَكَّرْهُ إِلَيْكُمْ الْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^٣.

إن التقوى - في هذه المرحلة من التأثير في الانسان - لا تمنع صاحبها من الكفر والفسوق والعصيان، فحسب، وإنما تكثرها إليه.

الدور الايجابي للهوى في حياة الانسان

نظراً للدور التخريبي الواسع للهوى في حياة الانسان، والذي سوف نتحدث عنه إن شاء الله تعالى فيما يلي من هذا الحديث ... من الطبيعي أن يتساءل

(١) نهج البلاغة، الحكمة : ٧١.

(٢) غرر الحكم للامدي.

(٣) الحجرات : ٧.

٢٨..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الإنسان: لماذا خلق الله تعالى الهوى في نفس الإنسان؟ وما هو الدور الايجابي للهوى في حياة الإنسان؟
وفيما يلي نقدم الاجابة على هذا السؤال :

١- الهوى العامل المحرك الاقوى في حياة الانسان

الهوى من أعظم العوامل المحركة في سلوك الانسان، وقد ربط الله تعالى معظم القضايا الحسنة في حياة الانسان بعامل الهوى، وجعل من عامل الهوى ضماناً لتأمين هذه الحاجات الاساسية.

فالتناسل (مثلاً) أمر أساسي في حياة الانسان، ومن دونه ينقرض الانسان ولايد من توفير ضمانات كافية في حياة الانسان لاستمرار التزاوج والتناسل، حتى لا ينقرض نسله، والغريزة الجنسية هي هذا الضمان، وقد ربط الله تعالى هذا الشأن الخطير المهم من شؤون الانسان بهذه الغريزة.

وربط الله تعالى نمو الانسان بغريزة الأكل والشرب، ولولا هذه الغريزة لم ينم الانسان ولم يتمكن من إعادة بناء الخلايا التي تستهلكها الحركة والجهد.

وربط الله تعالى الحياة الاجتماعية بغريزة النزوع إليها في النفس، ولولا هذه الغريزة لتلاشت الحياة الاجتماعية، وتلاشت حضارة الانسان ونموه ونضجه وحركته.

وربط الله تعالى الحياة الاقتصادية والمعيشية للانسان بغريزة التملك، ولولا هذه الغريزة لنهدم النظام الاقتصادي في حياة الانسان.

وربط الله تعالى الدفاع عن النفس، والكرامة، والمال، والاهل بغريزة الغضب، ولولا هذه الغريزة لاتصل المدون وانقطع السلام في حياة الانسان.

وهكذا شاء الله تعالى أن يربط ضرورات حياة الانسان التي لا يستطيع أن

يعيش على وجه الأرض من دونها بسلسلة من الغرائز تؤمن له استمرار هذه الضرورات.

٢- الهوى شلّم للكمال

إن الهوى شلّم الكمال في حياة الإنسان، كما هو المنزلق الذي ينزلق الإنسان عليه للسقوط، ولهذا الشلّم الذي يرقى عليه الإنسان إلى الله تعالى دورٌ وشأن في نمو الإنسان وتكامله، وهذا إجمال لا بد له من تفصيل وشرح وإليك هذا الشرح :

إن حركة الإنسان التكاملية إلى الله ونضجه ونموه تتم من خلال (الارادة)، بعكس الجماد والحيوان والنبات فإن هذه الكائنات تنمو وتتكامل بصورة قهرية، ومن دون ارادة، أما الإنسان فقد أكرمه الله تعالى بالارادة، وجعل حركته وسيره إليه تعالى بالارادة والاختيار، والإنسان والكائنات الأخرى ومن الجماد والنبات والحيوان، سواء في أنها جميعاً تنفذ إرادة الله تعالى ومشيته، إلا أن الإنسان ينفذ المشية الإلهية بارادة واختيار، والكائنات الأخرى تنفذ المشية بصورة قهرية ومن دون إرادة واختيار.

إن (الحدود الإلهية) هي مشية الله تعالى وإرادته، ينفذها الإنسان بارادته واختياره، كما أن (السنن الإلهية) هي مشية الله تعالى وإرادته، ينفذها الجماد والنبات والحيوان بصورة قهرية ومن دون اختيار وإرادة.

ولذلك فإن الإنسان في القرآن ﴿خليفة الله﴾^١ وسائر الكائنات ﴿مسخرات بأمره﴾^٢

(١) البقرة : ٣٠.

(٢) الأعراف : ٥٤، النحل : ١٢ و ٧٦.

٣٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

و«الخلافة» و«التسخير» يشتركان في نقطة، ويفترقان في أخرى، أما التي يشتركان فيها فهي : أنهما ينفذان ويطيعان أمر الله تعالى ومشيبته، وأما التي يفترقان فيها فهي : أن «الخلافة» ينفذ أمر الله تعالى عن إرادة واختيار، و«المسخرات بأمره» تنفذ أمر الله تعالى من دون اختيار وبصورة قهربية.

وهذه النقطة بالذات هي سر قيمة الإنسان وسموه، ولولا أن طاعة الإنسان لله تعالى وتنفيذه لمشيئته تعالى تنم عن إرادة واختيار لما كان للإنسان قيمة فوق قيمة الكائنات الأخرى.

وهذه الحركة والطاعة عن إرادة واختيار هي التي أهلت الإنسان ليكون «خليفة» لله تعالى من دون سائر الكائنات، وتتناسب قيمة عمل الإنسان مع ما يبذله من جهد في الطاعة، والامثال، فكلما كانت إرادة الطاعة تتطلب جهداً نفسياً ومعاناة أكثر كانت قيمة العمل أعظم عند الله، والحركة الناجمة عن هذا العمل أسرع وأقوى، فلا يمكن أن تساوى قيمة عمل لا يتطلب جهداً ومعاناة من الإنسان وعمل آخر يتطلب من الإنسان جهداً ومعاناة كبيرة.

وفرق كبير بين قيمة «الاكل والشرب» وقيمة «الصوم» رغم أن كلا من «الاكل والشرب» و«الصوم» يتم عن إرادة وتنفيذ لأمر الله تعالى وحكمه، ولكن «الاكل والشرب» لا يكلف الإنسان جهداً ومعاناة في الإرادة، وقيمة العمل تقدر بقدر هذه المعاناة، والجهد النفسي الذي يتطلبه العمل، وبمقدار الكدح الذي تتطلبه هذه الحركة.

وكلما تكون هذه المعاناة أعظم، والكدح أكبر، تكون للعمل قيمة أعظم، ويكون له دور أكبر في نمو الإنسان وكماله وحركته إلى الله وقربه منه تعالى، إذن الشأن كل الشأن في هذه المعاناة التي يتطلبها العمل، والتي لولاها لم يكن للعمل قيمة.

فما هي هذه المعاناة؟ وكيف تحصل؟ ولماذا تختلف درجاتها؟
هذه المعاناة هي التي يصطلح عليها في الثقافة الاسلامية بـ«الابتلاء»، وتحدث هذه المعاناة بمواجهة الاهواء والشهوات، ولولا هذه الاهواء والغرائز التي أودعها الله تعالى في نفوسنا، ولولا أن طاعة الله تعالى تتم بمخالفة هذه الاهواء والشهوات، لم تكن للعمل قيمة، ولم يكن العمل عاملاً في حركة الانسان وقربه إلى الله تعالى.

ويأتي اختلاف درجات المعاناة نتيجة اختلاف درجات الاهواء والشهوات في القوة والشدة، فكلما كانت الأهواء والشهوات أقوى وأكثر إلحاحاً، كانت معاناة الانسان في ضبطها^١ ومخالفتها والسيطرة عليها أعظم، وكلما كان العمل يتطلب من الانسان جهداً أكبر في مخالفة الاهواء والشهوات، يكون ذلك العمل أعظم قيمة في حركة الانسان إلى الله وفي تقربه منه تعالى، وفيما يؤتيه الله تعالى به من الثواب في الجنة.

وقبرل لنا بهذا الشرح قيمة «الهوى» في حركة الانسان إلى الله، فإن حركة الانسان إلى الله وكدهحه لا بد أن نمر عبر هذه الاهواء والشهوات التي أودعها الله تعالى في النفس.

وهذا هو معنى ما ذكرنا من أن الهوى سلك لحركة الانسان إلى الله تعالى كما هو منزلق لسقوطه وهلاكه، وهذا المعنى من طرائف الفكر الاسلامي، وإليه تشير مجموعة من النصوص الاسلامية نورد فيما يلي نصين منها في هذا المعنى :

(١) نحن في غنى عن التأكيد على الموقف الاسلامي الوسط من الغرائز، فالاسلام لا يدعو الى كبت الغريزة وحرماتها، ولا يسمح باطلاق عنان الغريزة، وإنما يطلب من الانسان الاستجابة لتنويرة ضمن الحدود والضوابط الشرعية.

١- من أبي الجبير، وكان من أصحاب النبي (ص) قال: أصاب النبي (ص) يوماً جوع شديد، فوضع حجراً على بطنه ثم قال: «لَا رُبَّ طامعة، ناعمة، في الدنيا جائعة، عارية، يوم القيامة» أَلَا رُبَّ مكرم لنفسه، وهولها مهين، أَلَا رُبَّ مهين لنفسه، وهولها مكرم، أَلَا يا رب متخوض، متنعم، فيما آفاه الله على رسوله، ما له عند الله من خلاق، أَلَا وَإِنْ «عمل الجنة» حَزْنَةٌ بربوة، أَلَا وَإِنْ «عمل النار» سهلة بشهوة، أَلَا يا رب شهوة ساهرة أُرِثت حزنًا طويلاً^(١).

وفي هذا النص مجالات واسعة للتأمل والتفكير والاستنتاج: فرب نفس طامعة، ناعمة، تستجيب لأهوائها ولذاتها وتنال ما تطلب من غير كف ولا ورع... تأني يوم القيامة جالعة عارية.

ورب إنسان يترأى له أنه يكرم نفسه بالاستجابة لطلبها وشهواتها وهو في الواقع مهين ومؤذي لها.

ورب إنسان يأخذ نفسه على الخشونة والتقص والشدّة، ويمتعها، وبذلها وبهينها إذا رامت شيئاً من الاسترسال مع شهواتها ولذاتها... وهو في الحقيقة مكرم لنفسه.

ورب إنسان يخوض في لذاته وشهواته ولا خلاق له في الآخرة ولا ينال شيئاً من متاع الآخرة ولذاتها.

ثم تقول الرواية: «أَلَا وَإِنْ «عمل الجنة» حَزْنَةٌ بربوة، والحزنة: هي الأرض الخشنة، وما غُلِطَ من الأرض، و«عمل الجنة» كالحركة على أرض خشنة بربوة عالية، وأما «عمل النار» فهو كالحركة على أرض سهلة بشهوة ولذة وراحة. والذي يتحرك على أرض خشنة بربوة عالية يماكس الجاذبية، ويكافحها،

(١) ذم الهوى لابن الجوزي: ٣٨، ورواه السيوطي في الجامع الصغير باختلاف يسير.

ويصددها، أما الذي يتحرك على أرض سهلة فهو يستجيب للجاذبية ويستسلم لها. وهذا هو الفرق بين «عمل الجنة» و«عمل النار» وبين الطاعة والمعصية.

٢- وفي «نهج البلاغة» أيضاً عن علي (ع) : أن رسول الله (ص) كان يقول : «إن الجنة حفت بالمكاره، وإن النار حفت بالشهوات، واعلموا : أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم الله امرءاً نزع نفسه عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء منزعا، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى»^١.

وهذا نص معبر ودقيق في هذا الأصل الذي ذكرناه واستخرجناه من النصوص الإسلامية، فإن الجنة والنار هما غايتان للإنسان : إحداهما : غاية لحركة الإنسان الصاعدة إلى الله، والأخرى : غاية لسقوط الإنسان.

والأولى محفوفة بالمكاره، ويجتاز الإنسان إليها الطريق عبر المكاره، وتأتي هذه المكاره من مكافحة الشهوات، وخطبها، وكفها من داخل النفس، وهي ما عثرنا عنها بالمعاناة، والأخرى محفوفة بالشهوات، فإن انزلاق الإنسان للسقوط يمر من خلال الشهوات واللذات والأهواء.

ثم يقرر الإمام (ع) أصلاً عاماً في ضوء حديث رسول الله (ص) : «ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة»، ففي كل طاعة لله كراهية، وهذه الكراهية تنبع من انتزاع النفس في الطاعة عن شهواتها، ولذاتها، وكف النفس عن الشهوات، وفي كل معصية لذة وشهوة، لأنها تأتي استجابة لأهواء النفس وشهواتها.

ويعد هذا التفصيل والاستعراض لا نجد مشقة في قبول هذه الحقيقة، وهي : أن

(١) نهج البلاغة، المخطبة : ١٧٦.

٣٤..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

طريق تكامل الانسان وتموه وحركته إلى الله يمر عبر الاهواء والشهوات، وهذه الاهواء والشهوات هي السلم الذي يصعد عليه الانسان إلى الله تعالى ... ولولا هذه الاهواء التي أودعها الله تعالى في نفس الانسان لما تستنى للانسان أن يصعد إلى هذه القمة التي أعدها الله تعالى لها.

٣- التفاعلات التي تجري داخل النفس

وهذه الاهواء والشهوات التي أودعها الله تعالى في نفس الانسان، ذخائر أدخرها الله تعالى للانسان، يستخرج منها ما يحتاج إليه في حركته، فكما أودع الله تعالى في جوف الارض ذخائر لمأكله وملبسه ومعيشته، وأودع في البحار ذخيرة الماء التي يحتاجها الانسان في شربه وسقيه، وأودع في الجو ذخيرة الهواء والغازات التي يحتاجها الانسان في تنفسه، والانسان يستخرج ويأخذ حاجته من الهواء والماء والطعام والملبس والمواد الخام من هذه المصادر الثلاثة بالتدريج، ... كذلك أودع الله تعالى للانسان كنوزاً من العلم، والعزم، واليقين، والوفاء، والشجاعة، والاخلاص، والعفة، والفن، والبصيرة، والابداع، والصبر، والىءاء، والعبودية، والحسم، ... في طيات نفسه ضمن هذه الاهواء والشهوات والفرائز.

ان هذه الفرائز هي مقدمات وجود الحيوان، ومعظم هذه الفرائز توجد في فصائل الحيوانات، ولكن الانسان من دون سائر الحيوانات، آتاه الله تعالى القدرة على كف هذه الفرائز وصدها، وضبطها، وتحديد ما ... وعامل هذا الكف والضبط هو الارادة، والغريزة الحيوانية الجامحة تتحول تحت هذا العامل المضابط إلى قيم معنوية، وفضائل أخلاقية، وبصيرة، ويقين، وعزم، وحزم، وإقدام، وتقوى ...

وهذه الفرائز الحيوانية بالذات التي تشكل الشطر الحيواني من شخصية الانسان تتحول إلى قيم خلقية تعتبر هي المادة الاساسية للشطر السامي من

شخصية الانسان ... تحت عامل الضغط والكف.

كيف تتحول هذه الغرائز الهائمة والجامحة بفضل «الكف» و«التقوى» إلى هذه القيم السامية في شخصية الانسان، وأي فعل وانفعال يجري داخل النفس حتى تتحول هذه الغرائز - عند الكف والتقوى - إلى علم ويقين وصبر وبصيرة؟

لا نعلم، ونأسف أن نقول لا نعلم، فهذا باب واسع من المعرفة لا يزال مغلوقاً على الانسان، ولم يتهيأ لحد الان لها من يفتحها ويفتحها، لا من أصحاب الدراسات النفسية القديمة والحديثة، ولا من ذوي الدراسات الاسلامية، ولكننا نرجع إلى أنفسنا فنجد إشارات ومعالم واضحة لهذه التفاعلات الضخمة التي تجري في داخل النفس، فالحياة - مثلاً - ليس عاملاً للضغط على غريزة الجنس فحسب، وإنما هو نتيجة هذا الكف والضغط على الغريزة أيضاً، ويقدر ما يكف الانسان هذه الغريزة يكتسب حياةً تجاه هذه الممارسة في الحدود المنافية للأخلاق، والأدب، والفن، والذوق - في بعض الحدود - نتيجة هذا الكف والضغط الذي يمارسه الانسان على غريزة الجنس، ونقصه بالأدب شيئاً آخر غير أدب الفرائض المبذول، أما الادب الرفيع والفن والذوق الذي يتميز به الانسان دون الحيوان فيأتي نتيجة هذا الكف والتقوى الذي يمارسه الانسان في حقل الغريزة. ونعود إلى القرآن، فنجد أننا نلتقي بنفس الاشارات والمعالم الواضحة التي كنا نعرفها في أنفسنا، من قبل هذه التفاعلات الضخمة التي تجري في النفس.

يقول تعالى: ﴿... واتقوا الله ويعلمكم الله...﴾^١. هل أن جملة «ويعلمكم الله» معطوفة على جملة «واتقوا الله» دون أن يكون بينهما صلة وارتباط؟ أم ان هاتين الجملتين تعتبران طرفي معادلة واحدة.

٣٦..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

والذي يألف أسلوب القرآن الكريم لا يشك أن هاتين الجملتين طرفاً معادلة واحدة، وهذا العلم الذي يؤتاه الله تعالى عبادة هو نتيجة التقوى وأثرها، وهذا العلم شيء آخر غير العلوم والمعارف التي يكتبها الإنسان بالدراسة وإنما هو النور الذي يمنحه الله تعالى من يشاء من عباده.

وإلى هذا النور تشير الآية الكريمة من سورة الحديد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^١ هذا النور هو ذلك العلم، والعلاقة بينه وبين التقوى علاقة واحدة في سورتي البقرة والحديد. إن التقوى هي ممارسة الكف عن الغريزة، وهذا الكف الذي يمارسه الإنسان على الفرائض والأهواء يتحول إلى نور وعلم وبصيرة.

ونقرأ في قصة يوسف (ع) في القرآن: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٢.

ونقرأ نفس النص في قصة موسى (ع): ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^٣.

فلماذا خص الله تعالى موسى بن عمران ويوسف عليهما السلام بهذه الموهبة دون سائر الناس؟ وهل هذه الموهبة «الحكم والعلم» يعطيها الله تعالى لبعض عباده دون بعض اعتباطاً؟ أو أن ذلك يدخل ضمن السنن الإلهية الثابتة؟

إن الذين يألّفون لغة القرآن لا يترددون لحظة واحدة في أن القرآن الكريم يربط الحكم والعلم في هاتين الآيتين في سورتي يوسف والقصص بأصل «الاحسان»،

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) القصص: ١٤.

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾. وعندما يربط الحكم والعلم اللذين تلقاهما موسى ويوسف عليهما السلام من لدن الله تعالى بالاحسان بموجب سنن الله تعالى ... فإن معنى ذلك أن إحسان المحسنين هو الذي يستدعي رحمة الله تعالى ويستتول المعكم والعلم من لدن الله تعالى على عياده المحسنين.

ولو اقتصرننا الطريق وتجاوزنا الوسائط في المعادلة، واخترنا هذه المعادلة لقنا: إن الاحسان يتحول إلى حكم وعلم.

ولا شك أن التقوى وكف النفس من أبرز مصاديق الاحسان.

ولست أحب أن أسترسل في هذا البحث أكثر من هذا الحد، وذلك لأني لا أملك مفاتيح هذا البحث الخطير، وأرجو أن يهيئ الله تعالى لهذا البحث من يدخله بجدارة وكفاءة، فليس من شك في أن هناك تفاعلات وتبادلات ضخمة تجري داخل النفس، كما تجري هذه التفاعلات والتبادلات داخل حقول الفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، فتتحول الحرارة إلى حركة، والحركة إلى حرارة، وتتحول الطاقة الكهربائية إلى حركة، وتتحول الحركة إلى طاقة كهربائية ... كذلك تجري تفاعلات كبيرة وضخمة في داخل النفس، ويشير القرآن الكريم إشارات سريعة وخاطفة إلى هذه التفاعلات والتبادلات التي تجري في داخل النفس، وعلى علماء النفس الاسلاميين أن يكتشفوا هذا الحقل المهم من حقول النفس وقوانينه وأصوله.

الدور التخريبي للهوى

الهوى والطاغوت

«الهوى» أحد قطبي التخريب في حياة الإنسان والتقطب الآخر هو «الطاغوت».

٣٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

و«الهوى» يعمل في التفریب من داخل النفس، و«الطاغوت» يعمل في التخریب من الخارج، وكلاهما یجزان الإنسان إلى الفساد وفسدان الإنسان، إلا أن الهوى یفسد الإنسان من الداخل و«الطاغوت» یفسده من الخارج.

والشیطان ینفذ إلى داخل النفس من خلال الهوى غالباً، وإلى المجتمع والحياة الاجتماعية من خلال الطاغوت غالباً.

وقد أمر الله تعالى في كتابه أن نهى النفس عن الهوى ولا نتبعه، ونكفه عن نفوسنا :

﴿فلا تتبعوا الهوى﴾^١

﴿ولا تتبع الهوى فیضلك عن سبیل الله﴾^٢

﴿ولا تتبع أهواءهم مما جاءك من الحق﴾^٣

كما أمرنا الله تعالى أن نكفر بالطاغوت ونتجنب الطاغوت :

﴿یریدون أن یتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن ینکفروا به﴾^٤

﴿والذین اجتنبوا الطاغوت أن یمیدوها وأنابوا إلى الله لهم البشری﴾^٥

﴿ولقد بعثنا فی کل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٦

(١) النساء : ١٣٥.

(٢) سورة ص : ٤٩.

(٣) المائدة : ٤٩.

(٤) النساء : ٦٠.

(٥) الزمر : ١٧.

(٦) التحمل : ٣٦.

العقل والدين

وفي مقابل الهوى والطاغوت فتح الله تعالى للإنسان دليلين على الاستقامة هما «العقل» و«الدين»، ودور العقل هو تقويم سلوك الإنسان من الداخل، ودور «الدين» هو تقويم سلوك الإنسان من الخارج.

وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) : «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج»^١.

و عن الإمام الكاظم (ع) : «إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، و حجة باطنة، فأما الحجة الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (ع)، وأما الباطنة فالعقول»^٢. و«العقل» و«الدين» يتصدیان داخل النفس وفي المجتمع لمكافحة الهوى والطاغوت، وقد روي عن علي (ع) : «قاتل هواك بعقلك»^٣.

الحالة التخريبية للهوى

هذه القوة المطلقة ذات الطلب المطلق تملك قدرة واسعة على التخریب والافساد في داخل النفس لاتضاهيها قوة أبدأ، حتى الشيطان والطاغوت.

وأخطر ما في هذا الامر أن هذه القوة ذات المقدرة الواسعة على التخریب كامنة في داخل النفس ومودعة بين جنبي الإنسان، ولا سبيل للإنسان للتخلص منها، ولذلك فإن «الهوى» أحد التين هما أخوف ما يخافه رسول الله (ص) على

(١) مجمع البحرين لفنريحي مادة «عقل».

(٢) بحار الأنوار ١ : ١٣٧ وأصول الكافي ١ : ١٦٠.

(٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار.

٤٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

أمته، عن رسول الله (ص): «إن أخوف ما أخاف على أمتي: الهوى وطول الأمل، أما الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينبسي الآخرة»^١.

ذلك أن الهوى عامل تخريب وإفساد للإنسان من داخله. وقد روي عن أمير المؤمنين (ع): «اللذات مفسدات»^٢.

المرحلة الأولى من عمل الهوى

ولنتأمل في طبيعة الدور التخريبي الذي يؤديه الهوى في حياة الإنسان! ففي نفس الإنسان - كما ذكرنا - طائفة من المصادر التي تمون الإنسان بالتوحي والحركة، وهذه المصادر هي التي تقوم حياة الإنسان المادية والمعنوية، وتقوم الشطر السامي والشطر الحيواني الغريزي من حياة الإنسان.

والهوى، هو واحد من هذه المصادر إذا استشرى وطفن يعطل سائر المصادر في نفس الإنسان، فيلغي دور العقل، والقلب، والضمير، والفطرة، والإرادة، ويفرغها من محتواها.

والتخريب الذي يجري في هذه المصادر تخريب شامل لدى شخصية الإنسان، ولا يبق بعد عملية التخريب الواسعة لهذه المصادر في النفس إلا الهوى، وهو يعتبر الجانب الحيواني من شخصية الإنسان.

وهكذا يتحول هذا العامل المفيد والنافع في حياة الإنسان إلى عامل للتخريب والافساد والتضييع.

(١) بحار الأنوار ٧٠: ٨٨، حديث ١٩ و ٧٠: ٧٥، حديث ٣ و ٧٠: ٧٧، حديث ٩ و ٧٠.

(٢) غرر الحكم للأندلسي ١: ١٣.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْلَثْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَا﴾^١ والفرطه من الضرب بمعنى التضييق والافساد.

وقد أولت النصوص الإسلامية اهتماماً كبيراً للدور التخريبي للهوى في حياة الإنسان، محذرة الناس من الوقوع في شركه، ومن تمكين الهوى من أنفسهم.

وفيما يلي نحاول أن نستعرض الدور التخريبي للهوى في حياة الإنسان من خلال النصوص الإسلامية على منهجنا في هذه الدراسة.

وتجد عند استعراض النصوص الإسلامية أن لتخريب الهوى مرحلتين اثنتين: في المرحلة الأولى يقوم الهوى بدور تخريبي واسع في إفساد وتعطيل الطاقات ومصادر الوعي والحركة التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان.

وفي المرحلة الثانية، بعد أن يتم للهوى تعطيل وإفساد مصادر الحركة والوعي في النفس يقوم الهوى بعرض سلطانه ونفوذه الشامل على الإنسان، ويعمل على إخضاع الإنسان إخضاعاً كاملاً لتنفوذه وسلطانه، وعلى إبقائه في أسرته بشكل كامل، وعند ذلك يتحول الإنسان بما آناه الله تعالى من طاقات وكفاءات، وذكاء، وفهم وموقع، إلى أداة طيعة للهوى.

وفيما يلي نستعرض إن شاء الله هاتين المرحلتين من الدور التخريبي للهوى في حياة الإنسان من خلال النصوص الإسلامية:

المرحلة الأولى من الدور التخريبي للهوى:

يقوم الهوى في هذه المرحلة - كما ذكرنا - بعمل واسع في إفساد وتعطيل الطاقات والكفاءات، ومصادر الوعي والحركة التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان.

ونجد لدى مراجعة النصوص الإسلامية طائفة واسعة من عناوين التخریب والافساد للهوى في حياة الانسان، انتقينا منها هذه المجموعة لهذه الدراسة :

١- الهوى يغلق منافذ القلب على الهدى :

يقول تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشَاوَةً لَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^١ ويقول تعالى : ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾^٢.

إذن يؤدي اتباع الهوى إلى انغلاق القلب انغلاقاً كاملاً على الله ورسوله، وعلى آيات الله وحججه، وبيّناته، وهداه، ويسلب القلب الاستجابة لله ورسوله، ويفلق منافذه على الله ورسوله.

عن علي (ع) : «من اتبع هواه أصمّاه، وأصمّه، وأذله»^٣.

وعنه (ع) : «الهوى شريك العمى»^٤.

وعنه (ع) : «إِنَّكَ إِنْ أَطَعْتَ هَوَاكَ أَصَمَّكَ وَأَعْمَاكَ»^٥.

وعنه (ع) : «أوصيكم بمجانبة الهوى، فَإِنَّ الهوى يدعو إلى العمى وهو الضلال في الآخرة والدين»^٦.

(١) الجاثية : ٢٣.

(٢) القصص : ٥٠.

(٣) غرر الحكم للأندي ٢ : ٢٤٢.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب رقم : ٣١.

(٥) غرر الحكم للأندي ١ : ٢٦٠.

(٦) مستدرك وسائل الشيعة ٢ : ٣٤٥ ط / قدّم.

٢- الهوى ضلال وصد عن سبيل الله :

يقول تعالى : ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون عقاباً^١﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد^٢﴾ .

وعن رسول الله (ص) : «إن أخوف ما أخاف علي أمتي؛ الهوى، وطول الأمل، أما الهوى فإنه يصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»^٣.

٣- الشهوات سمومات :

عن علي (ع) : «الشهوات سمومات قاتلات»^٤.

٤- الهوى آفة ومرض :

عن علي (ع) : «من تسرع إلى الشهوات تسرع إلى الآفات»^٥.

وعنه (ع) : «احفظ نفسك من الشهوات، تسلم من الآفات»^٦.

وعنه (ع) : «رأس الآفات، الوله بالذات»^٧.

وعنه (ع) : «قرين الشهوة مريض النفس معلول العقل»^٨.

(١) مريم : ٥٩.

(٢) سورة ص : ٢٦.

(٣) الفصالح للصدوق ١ : ٢٧ وبحار الأنوار ٧٠ : ٧٥ حديث ٣، و ٧٠ : ٧٧ حديث ٧، و ٧١ : ٨٨ حديث ١٩.

والحديث مروي عن أمير المؤمنين (ع) أيضاً.

(٤) غرر الحكم للأندي ١ : ٤٤.

(٥) غرر الحكم للأندي ٢ : ٢٠١.

(٦) نفس المصدر.

(٧) غرر الحكم للأندي ١ : ٣٧٢.

(٨) غرر الحكم للأندي ٢ : ٧٧ - ٧٨.

٤٤ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

وعنه (ع) : والشهوات أحوال فآتلات، وأفضل دوائها اقتناء الصبر عنها^١.

وعنه (ع) : والانتقاد للشهوة من أدواء الداء^٢.

وعنه (ع) : وأول الشهوة طرب وآخرها صليب^٣.

٥- الهوى أساس محنة الإنسان :

عن علي (ع) : «الهوى أس المحن»^٤.

٦- الهوى مطية الفتن :

عن علي (ع) : «الهوى مطية الفتن»^٥.

وعنه (ع) : «إنا بدء وفرع الفتن أهواء تتبع»^٦.

وعنه (ع) : «إياكم وتمكن الهوى منكم، فإن أوله فتنة، وآخره محنة»^٧.

٧- الهوى سقوط وردى :

عن علي (ع) : «الهوى يُردى»^٨.

وعنه (ع) : «الهوى هوى إلى أسفل السافلين»^٩.

وعن الصادق (ع) : «لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها»^{١٠}.

(١) غرر الحكم للأمدى ١ : ٩٠.

(٢) غرر الحكم للأمدى ١ : ٧٢.

(٣) غرر الحكم للأمدى ١ : ١٩٥.

(٤) غرر الحكم للأمدى ١ : ٥٠.

(٥) غرر الحكم للأمدى ١ : ٥١.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة : ٥٠.

(٧) نفس المصدر.

(٨) غرر الحكم للأمدى ١ : ١٢.

(٩) غرر الحكم للأمدى ١ : ٩٥.

(١٠) البحار ٧٠ : ٨٩ حديث ٢٠.

٨- الهوى هلاك :

من علي (ع) : «أهلك شيء الهوى»^١.

وعنه (ع) : «الهوى قرين مهلك»^٢.

٩- الهوى عدو الانسان :

عن الصادق (ع) : «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهواءهم»^٣.

١٠- الهوى يعطل العقل :

من علي (ع) : «آفة العقل الهوى»^٤.

وعنه (ع) : «من لم يملك شهوته لم يملك عقله»^٥.

وعنه (ع) : «زوال العقل بين دواعي الشهوة والغضب»^٦.

هذه هي حالة الهوى إذا طغى، فإنه يتحول من عنصر نافع ومفيد وأساسي في حركة الانسان إلى الله، إلى عامل للتخريب والهدم وتمعيل المنابع والمصادر الرئيسية لانسانية الانسان.

هذه هي المرحلة الاولى من عمل الهوى، وهو الجانب السلبي التخريبي من دور الهوى في حياة الانسان.

(١) غرر الحكم للأمدى ١ : ١٨٠.

(٢) غرر الحكم للأمدى ١ : ٤٧.

(٣) البحار ٧٠ : ٨٢ حديث ١٢.

(٤) غرر الحكم للأمدى ١ : ٢٧٢.

(٥) مستدرك وسائل الشيعة ٢ : ٢٨٧ ط قديم.

(٦) المصدر السابق.

المرحلة الثانية من الدور التخريبي للهوى :

ولا يقتصر إفساد الهوى وتخريبه على الجانب السلبي الذي شرحناه آنفاً، وإنما يتجاوز الأمر بعد ذلك إلى المرحلة الثانية من الإفساد.

ففي المرحلة الأولى يعطل الهوى إرادة الإنسان، وعقله، وضميره، وقلبه، وفطرته، وهي التي يعبر عنها القرآن الكريم بـ «إغفال القلب».

وفي المرحلة الثانية حيث يتم للهوى تعطيل هذه المراكز الأساسية في شخصية الإنسان ويفرض الهوى سلطانه الكامل وسيطرته على الإنسان بصورة كاملة وشاملة، ويستولي على الإنسان، استيلاءً كاملاً، فيكون الإنسان عندئذ تبعاً لهواه، ويعبر القرآن الكريم عن هذه المرحلة من إفساد الهوى بـ «اتباع الهوى».

والآية الكريمة التالية تشير إلى هاتين المرحلتين :

﴿وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْفَالِنَا قَلْبِهِ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا﴾^١.

ففي المرحلة الأولى يتم إغفال القلب واستفراغه من الوعي والبصيرة والهدى باللهوى، وفي المرحلة الثانية يفرض الهوى سيطرته الكاملة على الإنسان فيتبع الإنسان هواه، فإذا تحقق هذا وذاك وأغفل الهوى قلب الإنسان وأتبع هواه، فإن النتيجة التي تتمخض عن ذلك لا تتجاوز الحقيقة المرة التي يذكرنا بها القرآن، وكان أمره فُرطاً.

في أسر الهوى :

في هذه المرحلة يقع الإنسان في قبضة الهوى، بشكل كامل، ويكون الإنسان أسيراً للهوى، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ... بل إن سيطرة الهوى على الإنسان تكون أقوى من سيطرة الأسر على أسراه في المعركة. وإن سيطرة الطرف المنتصر

على الاسرى سيطرة محدودة، فهو يحجزه عن الفرار، ويمنعه عن المقاومة، ويفرض عليه سلوكاً معيناً، ويخضعه لرقابة حسية، ويمنعه من الكلام في ما لا يحب ... ولكي يبقى للاسير استقلاله وحرية في ثلاث :

١- في إحساسه، سمعه وبصره فهو يسمع ويرى، ويحس بصورة مستقلة عن إحساس الآخرين، ومهما أوتي الطرف المنتصر الأسر من سلطان فلا يستطيع ان يفرض عليه إحساساً معيناً، فلا يستطيع مثلاً ان يفرض عليه ان يرى الجميل قبيحاً ويرى القبيح جميلاً.

٢- في عقله، فهو يستطيع ان يفكر ويتعقل الامور، كما يريد ويحكم عقله، لا كما يفكر ويتعقل الذين أسروه، ولا يستطيع الذين أسروه أن يفرضوا عليه ان يفكر ويتعقل الاشياء والامور كما يريدون.

٣- في قلبه، فهو يستطيع أن يحب ويبغض كما يملئ عليه قلبه، لا كما يملئ عليه أسروه، وقد يبغض أسريه ويحب اعداءهم، ولا يملكون من أمر قلبه شيئاً. أما أسير الهوى فالامر فيه أشد واغلظ، فان الهوى ينفذ إلى احساسه وعقله وقلبه، ويتصرف فيها جميعاً، ويفرض سلطانه عليها جميعاً.

فهو يرى الاشياء كما يريد الهوى، فيرى القبيح جميلاً، ويرى الجميل قبيحاً، ويرى الطيب خبيثاً، والخبيث طيباً.

ويفكر في الاشياء ويتعقل الاشياء بالطريقة التي يفرضها الهوى عليه، فيغير الهوى متطنه وعقله وفهمه وادراكه للحقائق.

واخيراً ينفذ الهوى إلى قلبه، ويتصرف في قلبه، فيحب الانسان ويبغض كما يريد الهوى، فيحب من أعداء الله ما يجب عليه أن يكرههم، ويكره من أولياء الله ما يجب عليه حبهم ... بل ينفذ الهوى إلى ضمير الانسان وهو المعقل الاخير الذي يقاوم في النفس، فيسلب الانسان ضميره، وإذا سلب الهوى من الانسان ضميره،

فإن هذا الانسان يبقى من دون مناعة ولا حماية في مقابل عدوان الهوى، والشیطان، والطاغوت، وهكذا نجد أن أسر الهوى أبلغ وأشد من أسر الناس بعضهم لبعض في المعارك، وإلى هذه المقارنة بين أسر الهوى وأسر الناس واسترقاقهم بعضهم لبعض يشير النص التالي والذي يرويه الأحمدي في «غرر الحكم» عن أمير المؤمنين (ع) : «عبد الشهوة أذل من عبد الرق»^١. وكلاهما ذل وسيطرة، وسلطان. ولكن الذل، والسيطرة، والسلطان في الرق أهون وأيسر من ذل الانسان وعبوديته عند ما يقع أسيراً في قبضة الهوى.

أسر الهوى في النصوص الإسلامية :

ولنتأمل في هذه الآية المباركة لننتعرف على عمق هذا الأسر في وجود الانسان : يقول تعالى : ﴿ أَقْرَأْتَ مِنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^٢ ... هكذا يسلبه الله سمعه، وبصره، وقلبه فيتحول إلى إثم لا يملك من أمره شيئاً، وإنما يؤول الأمر كله إلى الهوى، ويكون إلهه هواه، وهو غاية في الانقياد للهوى وطاعته. روي عن علي أمير المؤمنين (ع) : «مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ حَلَا أَمْرُهُ، وَمَنْ مَلَكَتْهُ نَفْسُهُ ذَلَّ قَدْرُهُ»^٣.

وعنه (ع) : «أَرْزَىٰ بِنَفْسِهِ مِنْ مَلَكَتْهُ الشَّهْوَةُ، وَاسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ»^٤.

وعنه (ع) : «عَبَدَ الشَّهْوَةَ أَسِيرٌ لَا يَنْفُكُ أَسْرَهُ»^٥.

(١) غرر الحكم للأحمدي ٢ : ٤١.

(٢) النجاشي : ٢٢.

(٣) مستدرک الوسائل ٢ : ٢٨٢ الطبعة الأولى.

(٤) غرر الحكم للأحمدي ١ : ١٩٥.

(٥) غرر الحكم للأحمدي ٢ : ٤٠.

وعنه (ع) : «كم من عقل أسير تحت هوى أمير»^١.

وعنه (ع) : «الشهوات تسترق الجهول»^٢.

وهو تعبير دقيق، فإن الجهول إذا إنساق وراء الشهوات أخرجته من سلطان نفسه وأدخلته في حيز سلطانها، وكذلك الهوى يخرج الإنسان من سلطان عقله، وإرادته، وضميره، ويدخله تحت حكمه وسلطانه، وكما تتم السرقة في الخفاء والكتمان، كذلك تتم سيطرة الهوى على الإنسان في الخفاء، كما يسرق السارق متاع الناس.

استعباد الهوى للإنسان :

والسيطرة بهذه الدرجة تؤدي إلى استعباد الهوى للإنسان، فإن السيطرة التي يفرضها الهوى على الإنسان هي نحو من استعباد.

وتستوفنا هاتان الآيتان في كتاب الله طويلاً، وإنهما لندعوان إلى كثير من التأمل والتفكير: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَمَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ فَمَنْ يُهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^٣ ﴿وَأَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^٤.

ورغم كل الاستغراب، فإنها حقيقة، وإن الإنسان قد يتخذ من هواه إلهاً يعبد، وبطبيعته، ويتولاه، من دون الله تعالى.

وقد روي عن رسول الله (ص) : «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله

(١) نهج البلاغة، باب الحكم، الحكمة رقم : ٢١١.

(٢) هرو الحكم للأمدى ١ : ٤٥.

(٣) البجاية : ٢٣.

(٤) الفرقان : ٤٣.

٥٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

أعظم عند الله من هوى متبع^١.

وروي عن علي (ع) : «الجاهل عبد شهوته»^٢.

نسوا الله فسيهم :

وإذا بلغ الإنسان هذه الحالة من الانفصال عن محور العبودية لله والارتباط بمحور الهوى، والخروج عن دائرة طاعة الله، والدخول في دائرة نفوذ الهوى ... فإن هذا الإنسان يتعرض لردة كاملة في شخصيته من عبودية الله تعالى إلى عبودية الهوى.

ويصح في هؤلاء قوله تعالى : ﴿نسوا الله فسيهم﴾^٣.

ذلك أنهم إذا انفصلوا عن محور عبودية الله، وخرجوا عن دائرة طاعته فقد

نسوا الله تعالى، والله تعالى يقابلهم النسيان بالنسيان، ويكلهم إلى أنفسهم، وإذا

أوكل الله تعالى عبداً إلى نفسه، فقد وقع فريسة للشيطان في نفس الوقت.

بيان القرآن عن الدور التخريبي للهوى

يقول تعالى في استعراض قصة «بلعم بن باعورا»^٤ من علماء بني إسرائيل في

سورة الاعراف : ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان

فكان من الفاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتیع هواه فمثله

كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا

(١) اللوامع ٥ : ٧٢. والطبري في الكبير، والترغيب والترهيب ١ : ٨٦.

(٢) غرر الحكم للأعمدي ١ : ٢٨.

(٣) النوبة : ٦٧.

(٤) وهذه إحدى الروايات المروقة، وقيل إن المصود هو صفيي الرامب الذي سمّاه رسول الله (ص) بالفاسق وقيل أمية بن أبي الصلت، وقيل غير ذلك.

ناقص القصص لعلمهم يتفكرون^١.

وقد كان «بلعم بن باعورا» من علماء بني اسرائيل، وقد آناه الله تعالى آيات بينات ورزقه علماً ومعرفة ... ورزقه الله تعالى دعاءً مستجاباً، وكان موسى بن عمران (ع) يستعين به في شؤونه ... إلا أنه اتبع هواه.

واتباع الهوى في مثله يتم باحدثى صورتين :

أن يضع علمه في خدمة الغايات الشخصية، ويحاول أن يكتسب بالعلم مجدداً أو سمعة، ويحاول أن يظهر بين الناس بالعلم.

وإذا أن يضع علمه في خدمة الطاموت، ويرتزق بعلمه، وحال كلنا الصورتين إلى صورة واحدة، وهي تحكّم الهوى في علمه.

إن صورة العالم ليست في الكمية التي يحملها من العلم، فقد تحمل مكتبة من الكتب ما لا يحمله عدد كبير من العلماء، وإنما قيمة العلم في حامله وفي مصرفه، وإذا كان حامل العلم متخلفاً بأخلاق الانبياء، وإذا كان مصرف العلم هداية الناس وتوجيههم وخدمة الناس ... فهو مصدر قيمة العالم وإلا فلا قيمة للعالم ولا كرامة. يقول أمير المؤمنين (ع) : في الخطبة الشقشقيه عن دور العالم ومسؤوليته :

«وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاتروا على كلفة ظالم ولا سَنَبَ مظلوم».

فاذا نهض العالم بما أخذ الله عليه علا قدره وقيمته وكرامته.

وقد كان «بلعم بن باعورا» - لو صحت الرواية في تفسير هذه الآيات به - من أولئك الذين حكّموا أهواءهم في علمهم، واتبعوا أهواءهم، ولننظر في عاقبة هذا الرجل فيما نقره من كتاب الله.

والاية الكريمة وإن كانت تشير إلى قصة بلعم بن باعورا - إن صحت الرواية - إلا

أن حكمها بمم كل انسان بحكم الهوى على نفسه.

عن الامام الباقر (ع) : «ان الاصل في ذلك بلعم، ثم ضرب الله مثلاً لكل مؤثر هواء على هدى الله، من اهل القبلة»^١.

ولنتأمل في النتائج التي يؤول اليها أمر هؤلاء الناس من الذين يتبعون اهواءهم فيما يحدثنا به القرآن الكريم :

١- الخلود إلى الارض :

الخلود إلى الارض هو السقوط في الحياة الدنيا، وهو حالة الركون إلى الدنيا، فإن الارض هي الدنيا، والخلود إلى الارض في مقابل الترفع عنها، ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض﴾ وهو السقوط في الحياة الدنيا. وإذا كان في الارتفاع عن الارض مشقة وصعوبة في مكافحة جاذبية الارض، فإن في الخلود إلى الارض والسقوط فيها استجابةً واستسلاماً لجاذبية الارض، وكذلك للترفع عن الحياة الدنيا، والسقوط فيها نفس الحكم.

ففي الترفع عن الدنيا مشقة وصعوبة، بينما في الدنيا والركون إليها استجابة واستسلام لجاذبية الحياة الدنيا وإغرائها، وهذه هي النتيجة الاولى.

٢- الانسلاخ عن آيات الله :

﴿فانسلاخ منها﴾ ومعنى الانسلاخ عن آيات الله هو الانسلاخ عن وعي آيات الله ومعرفتها، والانسلاخ عن الحكمة والمعرفة والبصيرة، والانسلاخ في مقابل الالتصاق، بمعنى البينونة الكاملة بين الشيتين وهؤلاء الناس الذين يحكمون شهواتهم وأهواءهم على أنفسهم تنقطع علاقتهم بالوعي والبصيرة بآيات الله انقطاعاً كاملاً، وترفض أواني نفوسهم العلم والحكمة، كما ترفض المعدة المريضة

(١) مجمع البيان في تفسير هذه الآية من سورة الاعراف الآية : ١٧٥ - ١٧٦.

الطعام الشهى اللذيذ.

فإن إناء النفس إذا كان ملوثاً بالشهوات والاهواء، فلا تحل فيه آيات الله والمعرفة، والبصيرة والحكمة، كما لا تحل فيه الفضائل والقيم.

عن رسول الله (ص) : «حرام على كل قلب متولِّه بالشهوات أن يسكنه الورع»^١.
وعنه (ص) أيضاً : «حرام على كل قلب أهوى بالشهوات أن يحل في ملكوت السموات»^٢.

وعن علي (ع) : «حرام على كل قلب مغلول بالشهوة أن ينتفع بالحكمة»^٣.
فإن القلب إناء ولا يمكن أن يجتمع في إناء واحد الهوى وذكر الله معاً، فاما أن يحل فيه ذكر الله تعالى أو يحل فيه الهوى ﴿وما جعل الله لرجل من قلبين فمي جوفه﴾^٤. فاذا اتبع الانسان هواه غفل عن ذكر الله بالضرورة، كما أنه يصح العكس أيضاً فاذا غفل عن ذكر الله اتبع هواه : ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾^٥ وهذه هي النتيجة الثانية.

٣- استيلاء الشيطان عليه :

يقول تعالى : ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي أدركه وناله وتمكن منه بعد أن كان الشيطان يمحز عن إدراكه والنيل منه، فإن أتباع الهوى يحكم قبضة الشيطان على الانسان، وكلما كان أتباع الانسان للهوى أكثر كان نفوذ الشيطان من الانسان أكثر وقدرته عليه أعظم، وهذه هي النتيجة الثالثة.

(١) مجموعة وزام (تنبيه الخواطر) : ٣٦٢.

(٢) مجموعة وزام (تنبيه الخواطر) : ٣٦٢.

(٣) غير الحكم للأمتدي ١ : ٣٤٤.

(٤) الاحزاب : ٤.

(٥) للكهف : ٢٨.

٤- الغواية والضلال :

﴿فكان من الغاوين﴾ وهذا أمر طبيعي في حال هؤلاء الناس، فإن الإنسان إذا أتبع هواه غفل عن ذكر الله، وتمكّن منه الشيطان، فلا يمكن أن يبتدي إلى الصراط المستقيم، ولا يمكن أن يستقيم في حياته، وحياته وحركته لا محال في تيه وضلال، وهذه هي النتيجة الرابعة.

٥- الحرص والجد :

يقول تعالى في هؤلاء : ﴿لمثلّه كمثّل الكلب إنّ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ وهذا هو الداء المعروف بداء الكلب، في الكلاب، حيث يصيب الكلب فيه عطش لا يرويه الماء، فهو يلهث بصورة مستمرة، تحمل عليه أو تتركه وتسكت عنه، كذلك أهل الهوى يصيبهم ظمأ إلى الدنيا وحطامها ومناعبها لا يرويه شيء، أخرجهم الله أم اغناهم، ونالوا الدنيا أم لم ينالوا منها شيئاً، كما يعطش الكلب المصاب بداء الكلب قبلهث وراء الماء، ثم لا يرويه الماء أبداً.

عن رسول الله (ص) : «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثاً»^(١).

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال لرجل اشتكى إليه حرصه على الدنيا وإقباله عليها : وإن كان ما يكفيك يغنيك، فأدنى ما فيها يغنيك، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك، فكل ما فيها لا يغنيك^(٢)، وهذه هي النتيجة الثالثة.

(١) مجموعة ورام (تنبيه الخواطر) : ١٦٣.

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٣٩.

علاج الهوى

الطاقة التخريبية للهوى

على قدر أهمية الهوى ونفعه للإنسان تكون قدرته وطاقته، وعلى قدر قدرته وطاقته يكون تخريبه وإفساده في حياة الإنسان، وهاتان معادلتان ثابتتان في داخل النفس لا سبيل إلى التشكيك بأي واحدة منهما، فإن الأهواء هي الطاقة المحركة لعجلة حياة الإنسان، ولولا هذه الأهواء التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان من حب للجنس، والمال، والأنا، وحب الأكل، والشرب، والدفاع عن النفس، والغضب، لم تستقم حياة الإنسان، ولم تتحرك عجلة هذه الحياة. وعلى قدر أهمية الأهواء ودورها في حياة الإنسان تكون الأهواء قوية وفعالة وذات طاقة تحريكية عالية، وعلى مقدار قوتها وطاقتها في التحريك تنصف بالتخريب والافساد.

عن أمير المؤمنين (ع): «الغضب مفسد للآليات ومبعد عن الصواب»^(١).
وعن أمير المؤمنين (ع): «أكثر مصارع العقول تحت بريق المطامع»^(٢).

بين الكبت والاسترسال في اتباع الهوى

ولذلك فليس الموقف الصحيح من الهوى هو «الكبت» والكبح، فإن الهوى طاقة نافعة ومحركة في حياة الإنسان، والناء هذه الطاقة واستفادها، وتعطيلها،

(١) غرر الحكم للأمدى ١: ٦٧.

(٢) غرر الحكم للأمدى ١: ١٩٨.

وعدم الاعتراف بها يؤدي إلى تعطيل شطر مهم وكبير من شخصية الانسان، وتعطيل القوة المحركة للانسان، وإلى إثارة مضاعفات في داخل النفس تنشأ من حبس وكبت واستفزاز الغريزة، كما لا يصح الاسترسال مع الهوى والاستجابة المطلقة له، من غير حدود، والسماح المطلق له بالظهور والبروز، فإن الهوى إذا أطلق له العنان ينقلب دوره إلى دور تخريبي ضار في حياة الانسان.

إذن لابد من الاعتراف بالغريزة «الهوى» وموقعها الشرعي من حياة الانسان ونفسه، ولابد من الاستجابة المحدودة للغريزة، ولا يصح رفض الهوى بصورة مطلقة، كما لا يصح الاستجابة للهوى بصورة مطلقة.

وعلى هذه الاسس يحدد الاسلام موقفه من الهوى، فهو يعترف بالهوى أولاً، ولا يستقذره، يقول تعالى: ﴿رَبِّينَا لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْإِتْنَامِ وَالْحَرْثِ﴾^١.

ويقول تعالى: ﴿وَالْعَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٢.

فهو يعترف به ويعتبره زينة وجمالاً وليس أمراً قبيحاً وقذراً في حياة الانسان. وهذه نقطة ذات أهمية بالغة في معرفة موقف الاسلام من الأهواء والشهوات. ويسمح ثانياً بالاستجابة للشهوات والتمتع بمتع الحياة الدنيا.

يقول تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^٣.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^٤. ويقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ

(١) آل عمران : ١٤.

(٢) الكهف : ٤٦.

(٣) طه : ٨١.

(٤) القصص : ٧٧.

الله التي أخرج لمبادئ والطيات من الرزق^١.

وهذه هي النقطة الثانية في تحديد موقف الاسلام من الهوى، ولا يسمح بالتباعد الهوى بصورة مطلقة، والاسترسال في الاستجابة له واتباعه من دون ضوابط ولا حواجز.

عن ابي عبد الله الصادق (ع): «لا تدع النفس وهواها فإن هواها رداها». ويضع طائفة واسعة من الحواجز والضوابط والحدود لممارسة الشهوات والاهواء، وهذه هي النقطة الثالثة في تحديد موقف الاسلام من «الهوى»، فالممارسة الجنسية - مثلاً - لا يحرمها الاسلام ولا يستفذرهما، ولا يمنع منها، وإنما يبيحها، ويدعو إليها، ثم يضع عليها جملة من الضوابط والحواجز والحدود الشرعية التي تحددها، وحب المال لا يرفضه الاسلام، ولا يستفذرهما، وإنما يبيحها، ويضع له الحدود والضوابط التي تحددها.

رسالة «العقل» في ضبط الهوى

وينهض العقل يدور فعال في تحديد الهوى وضبطه في حياة الانسان، والمنع من طغيانه، وكُتِبَ الانسان عن الاسترسال المطلق في الاستجابة له، ولعل كلمة «العقل» في اللغة العربية مقتبسة من هذا الاصل، فالعقل والعقال في العربية يأتي بمعنى القيد والتقييد، وهو الذي أعطاه الله تعالى للعقل في حياة الانسان بالنسبة الى الهوى، وقد روي في هذا المعنى عن رسول الله (ص): «إن العقل عقال من

(١) الاعراف : ٣٢.

(٢) أصول الكافي : ٢ : ٣٣٦.

الجهل، والنفس مثل أخيت الدواب^١.

وفي النصوص الإسلامية إشارات كثيرة إلى هذا المعنى :

عن علي (ع) : «فكرك يهديك إلى الرشاد»^٢.

وعنه (ع) : «لنفس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى»^٣.

وعنه (ع) أيضاً : «للقلوب خواطر سوء والعقول تزجر منها»^٤.

وعنه (ع) أيضاً : «النفس طليقة، لكن أيدي العقول تمسك أعتنّها»^٥.

وعنه (ع) أيضاً : «ثمرة العقل مفت الدنيا وقمع الهوى»^٦.

فالذو الذي يتنهض به العقل في حياة الانسان هو ضبط الهوى وتحديدده، وكف

الانسان عن الاسترسال في الاستجابة للهوى، والتمنع من طغيان الهوى، وعلى قدر

كمال عقل الانسان وقوته يكون توفيق الانسان في ضبط أهوائه وقهرها وتحديددها.

عن علي (ع) : «العقل الكامل قاهر الطبع السوء»^٧.

وضبط الهوى وقهره أمانة سلامة العقل.

عن علي (ع) : «حفظ العقل بمخالفة الهوى والعزوف عن الدنيا»^٨.

وعن الامام الباقر (ع) : «لا عقل كمخالفة الهوى»^٩.

(١) بحار الأنوار ١ : ١١٧.

(٢) غرر الحكم للأمدى ٢ : ٥٨.

(٣) تحف العقول : ٩٦.

(٤) غرر الحكم للأمدى ٢ : ١٢١.

(٥) غرر الحكم للأمدى ١ : ١٠٩.

(٦) غرر الحكم للأمدى ١ : ٣٢٣.

(٧) بحار الأنوار ٧٨ : ٩.

(٨) غرر الحكم للأمدى ١ : ٣٤٥.

(٩) بحار الأنوار ٧٨ : ١٦٤.

وعن علي (ع) : «من جانب هواء صح عقله»^١.
 فالعقل والهوى كل منهما يؤدي دوراً ضرورياً في حياة الانسان، فيمنح الهوى
 الانسان الحركة ويحرك عجلة حياة الانسان، وينهض العقل بدور حساس وخطير
 في تحديد الهوى وضبطه، والمنع من طغيانه وتخريبه وإفساده.
 ولا بد للانسان من هذا وذاك معاً :

العقل والدين :

ورسالة «الدين» في حياة الانسان هي نفس رسالة العقل في تحديد وضبط
 الهوى ومنعه عن الاسترسال والطفيان، وإن «العقل» و«الدين» يتطابقان بصورة
 دقيقة في الرؤية والعمل، فإن الدين هو «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل
 لخلق الله ذلك الدين القيم»^٢، هذه الفطرة التي تحكم الانسان، ويستجيب لها
 العقل هي الدين، الذي جعله الله تعالى قواماً لحياة الناس، وقوم به حياة الانسان.
 إذن فالدين يدغم دور العقل في تحديد الهوى وضبطه، وينهض بنفس الدور، وإن
 العقل والدين وجهان لعملة واحدة.

عن أمير المؤمنين (ع) : «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج»^٣.
 وعن الامام موسى بن جعفر (ع) : «إن لله على الناس حجتين : حجة ظاهرة
 وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة (ع) وأما الباطنة فالعقول»^٤.
 وعن الصادق (ع) : «حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين

(١) بحار الانوار ١ : ١٦٠.

(٢) الروم : ٣٠.

(٣) كتاب الشاب «جوان» للشيخ محمد تقي الفلسفي ١ : ٢٦٥.

(٤) بحار الانوار ١ : ١٣٧.

الله العقل^١.

الأدوار الثلاثة للعقل :

وللعقل ثلاثة أدوار ومهام في حياة الإنسان :

١- معرفة الله تعالى منطلق كل مهام العقل وأدواره.
٢- طاعة الله تعالى فيما أوجبه على عباده، فإن المعرفة الصحيحة لربوبية الله تعالى تنتج الطاعة والمعبودية.

٣- تقوى الله وهو الوجه الآخر لطاعة الله، فإن طاعة الله تعالى ذات وجهين :
امتنال الواجبات، والكف عن المحرمات، والتقوى هي كف النفس عن المحرمات.
ولعل في النص التالي إيضاحاً لهذه الأدوار الثلاثة :

عن رسول الله (ص) : «قَسَمَ الْعَقْلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ كَمَلُ عَقْلِهِ، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلَا عَقْلَ لَهُ : حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَسَنَ الطَّاعَةِ لِلَّهِ، وَحَسَنَ الصَّبْرِ عَلَى أَمْرِهِ»^٢.

والصبر على أمره هو التقوى، وضبط الهوى، فإن ضبط الهوى والسيطرة عليه وتحديده يتطلب من الصبر ما لا يتطلبه غيره.

وفيما يلي شرح وإيضاح لهذه الأدوار الثلاثة :

١- المعرفة والاحتجاج :

الرسالة الأولى للعقل هي المعرفة، والعقل أداة للمعرفة وللكشف عن حقائق هذا الكون، وبمكس الانجاذبات الصوقية التي تسقط العقل عن مرتبة المعرفة والكشف، وتلغي دور العقل في الكشف عن حقائق هذا الكون، وخالف هذا

(١) أصول الكافي ١ : ٢٥.

(٢) بحار الأنوار ١ : ١٠٦.

الكون، ومعرفة الغيب، فإن الاسلام يعترف بتشخيص العقل، ويعتبره أداة للمعرفة ويؤكد ذلك في أفق المادة وفيما وراء هذا الافق المادي من هذا الكون، وفي خالق هذا الكون وفيما يجب على الانسان وفيما يحرم عليه.

عن رسول الله (ص): «إنما يدرك الخير كله في العقل»^١.

وعنه (ص): «استرشدوا العقل فترشدوا ولا تعصوه فتندموا»^٢.

وعن علي (ع): «العقل أصل العلم وداعية الفهم»^٣.

وعن الصادق (ع): «العقل دليل المؤمن»^٤.

والى جانب دور العقل وقيمه في الكشف عن حقائق هذا الكون، تؤكد النصوص الاسلامية على أن الله تعالى يحتج بالعقل على عباده، وهذا الاحتجاج وما يستتبعه من عتوبة وعذاب ومسؤولية يكشف عن قيمة العقل الكبيرة في حياة الانسان وأهميته في دين الله.

عن الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع): «إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة، (ع) وأما الباطنة فالمقول»^٥.

وعنه (ع) أيضاً: «إن الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضل إليهم بالبيان، ودلهم على ربيته بالدلة»^٦.

(١) تحف العقول: ٥٤ وبحار الانوار ٧٧: ١٥٨ عنه أيضاً.

(٢) اصول الكافي ١: ٢٥.

(٣) غرر الحكم للأمدى ١: ١٠٢.

(٤) اصول الكافي ١: ٢٥.

(٥) بحار الانوار ١: ١٣٧.

(٦) بحار الانوار ١: ١٣٢.

٦٢ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

فالعقل إذن حجة على الإنسان، يحتاج الله تعالى به على عباده، ولولا هذه القيمة الكبيرة التي يعطيها الإسلام للعقل في مجال الفهم والادراك لم يكن العقل حجة ولم يمكن الاحتجاج به.

وقد ورد في النصوص الإسلامية : أن الله تعالى يثيب ويعاقب بالعقل.

٢- طاعة الله عز وجل :

وإذا كان للعقل مثل هذه القيمة الكبيرة في الادراك والمعرفة النظرية ... فإن هذه المعرفة النظرية نستطيع معرفة عملية تلزم الإنسان سلسلة من الواجبات والمحرمات.

وهذه المعرفة النظرية التي تستطيع هذه المعرفة العملية هي معرفة الله تعالى من موقع الربوبية والالوهية، ومعرفة الإنسان من موقع العبودية ... فإن هذه المعرفة النظرية تستلزم معرفة عملية توجب الطاعة والامثال والالتزام بأمر الله تعالى.

وهذه المعرفة من خصائص العقل، وهي التي تجعل الإنسان في موقع الامر والنهي من قبل الله تعالى، وبالتالي في موقع الثواب والعقاب لدى الطاعة والمخالفة، ولولا هذه المعرفة العملية التابعة للمعرفة النظرية لم يصح أن يكون الإنسان موضعاً للامر والنهي، ولا موضعاً للمسؤولية ولا للعقوبة والمؤاخذه.

والتي هذا المعنى تشير النصوص الإسلامية :

عن الامام أبي جعفر الباقر (ع) : قال : «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال له : وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملك إلا فيمن أحب. أما إني أياك أمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أتنبأ»^١.

(١) أصول الكافي ١ : ١٠٠.

وعن أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) : قال : «لما خلق الله عز وجل العقل قال له أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فأقبل، فقال وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك» وإياك أمر وإياك أنهى، وإياك أنيب وإياك أعاقب»^١.

ووردت نصوص أخرى بنفس المضمون^٢، وهذه الروايات تتحدث عن طاعة العقل لله تعالى بلغة الرمز : «قال له : أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر». ولغة الرمز لغة شائعة في أمثال هذه الأمور في النصوص الإسلامية.

وورد في العلاقة بين العلم «النظري» والعمل عن علي (ع) : «العقل إذا علم عمل، وإذا عمل أخلص»^٣.

والنصوص الإسلامية في دور العقل في تطويع الإنسان لله تعالى وتعميده له وفي طاعة الله عز وجل وامتنال أوامره كثيرة، نذكر منها بعض النماذج :
عن رسول الله (ص) : «العقل من أطاع الله»^٤.

وروي أنه قيل للنبي (ص) : ما العقل؟ قال : «العمل بطاعة الله، إن العمال بطاعة الله هم العقلاء»^٥.

وقيل للإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) : ما العقل : قال : «ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان». قلت : فما الذي كان في معاوية؟ فقال : «تلك النكراء، تلك الشبهة»^٦.

(١) بحار الأنوار : ١ : ٩٦.

(٢) بحار الأنوار : ١ : ٩٧.

(٣) غرر الحكم للأشعري : ١ : ١٠١.

(٤) بحار الأنوار : ١ : ١٦٠.

(٥) بحار الأنوار : ١ : ١٣١.

(٦) بحار الأنوار : ١ : ١١٦.

وعن علي أمير المؤمنين (ع): «أعقلكم أطوعكم»^١.

وعن أبي عبد الله الصادق (ع): «العقل من كان ذلولاً عند إجابة الحق»^٢.

ومعنى ذلك أن العقل يذلل الإنسان للاستجابة لدعوة الله وطاعته تعالى.

٣- الصبر في مكافحة الهوى :

وهذه ثلاثة الأدوار التي أناطها الله تعالى بالعقل، وهي مهمة شاقة وأساسية من مهام العقل، وكما قلنا من قبل تعتبر هذه المهمة الوجه الآخر لطاعة الله تعالى، وكلاهما طاعة، إلا أن الوجه الأول طاعة لله في امتثال الواجبات، والوجه الثاني هو الالتزام بالكف عما نهى الله تعالى عنه، وضبط النفس عن الشهوات، وكف الهوى والصبر على ذلك كله ... وبموجب ذلك فإن العقل مسؤول عن السيطرة على الهوى وإخضاع الأهواء والشهوات لسلطانه.

وفد وردت في النصوص الإسلامية تأكيدات كثيرة على هذا الدور الخطير الذي ينهض به العقل في ضبط الهوى وتحديده، والاهتمام بتنمية كفاءات العقل وقدراته في هذا المجال، وإليك بعض النماذج من هذه النصوص :

عن علي أمير المؤمنين (ع): «العقل حسام قاطع»^٣.

وعنه (ع): «قاتل هواك بمقلتك»^٤.

وعنه (ع): «لنفس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهر»^٥.

(١) غرر الحكم للأمندي ١ : ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار ١ : ١٣٠.

(٣) نهج البلاغة، باب الحكم وقصار الكلمات.

(٤) نفس المصدر.

(٥) تحف العقول : ٩٩.

- وعنه (ع): «القلوب خواطر سوء والمقول تزجر منها»^١.
 وعنه (ع): «العاقل من غلب هواه، ولم يبع آخرته بدينه»^٢.
 وعنه (ع): «العاقل من هجر شهوته، وباع دينه بآخرته»^٣.
 وعنه (ع): «العاقل عدو لذته، والجاهل عبد شهوته»^٤.
 وعنه (ع): «العاقل من عصى هواه في طاعة ربه»^٥.
 وعنه (ع): «العاقل من غلب نوازع أهويته»^٦.
 وعنه (ع): «العاقل من أمات شهوته، والقوي من قمع لذته»^٧.
 هنا أدوار ثلاثة للعقل:

معرفة الله، وطاعة الله تعالى في الواجبات، والكف عن الأهواء فيما نهى الله تعالى عنه.

والذي يهمنا في هذا البحث هو الدور الثالث الأخير وهو مكافحة الهوى والسيطرة عليه وضبطه وتحديد به وإليك إيضاح وشرح هذه النقطة الأخيرة في الصراع القائم داخل النفس بين «العقل» و«الهوى».

مصير الإنسان يقرره الصراع بين «العقل» و«الهوى»:

وهذا الصراع الذي يجري بين «العقل» و«الهوى» هو الذي يقرر مصير الإنسان

(١) غرر الحكم للأمدى ٢: ١٢١.

(٢) غرر الحكم للأمدى ١: ١٠٤.

(٣) غرر الحكم للأمدى ١: ٨٦.

(٤) غرر الحكم للأمدى ١: ٢٨.

(٥) غرر الحكم للأمدى ٢: ٨٧.

(٦) غرر الحكم للأمدى ٢: ١٢٠.

(٧) غرر الحكم للأمدى ٢: ٥٨.

٦٦..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

بين السعادة والشقاء، والناس في هذا الصراع ينشطون إلى شطرين اثنين وهما :
المتقون والفاسقون.

والسلوك البشري ينشط إلى شطرين هما : «التقوى» و«الفجور».

والتقوى في تحكيم العقل على الهوى، والفجور في العكس في تحكيم الهوى على العقل، وعند هذا المفرق يتقرر مصير الناس من السعادة والشقاء ذات اليمين وذات الشمال، والاختلاف بين هذين الشقين من الناس : أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، اختلاف حقيقي وجوهري ومصيري، وهذا الاختلاف يتقرر في هذا المفرق، فيحكم قوم عقولهم على أهوائهم، فهم الابوار الاتقياء الصالحون، ويحكم آخرون أهواءهم على عقولهم فهم الفاسقون والفجار، وعند هذا المفرق ينشط الناس شطرين : شطر صاعد إلى الله تعالى، وشرط يسقط في نار جهنم.

روي عن علي أمير المؤمنين (ع) : «من غلب عقله هواه أفلح، ومن غلب هواه عقله افتضح»^١.

وعنه (ع) : «العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان والنفس متجاذبة بينهما، فأيهما يغلب كانت في حيزه»^٢.

إن الصراع قائم داخل النفس بين هذين الطرفين، والنفس بتجاذبها هذان الطرفين، فأيهما ينتصر على الآخر تدخل النفس في حيز سلطانه : العقل أم الهوى.
عن علي (ع) : «العقل والشهوة ضدان، مؤيد العقل العلم، مؤيد الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما، فأيهما فخر كانت في جانبه»^٣.

(١) غرر الحكم للأمازي ٢ : ١٨٧.

(٢) غرر الحكم للأمازي ١ : ١١٣.

(٣) غرر الحكم للأمازي ١ : ١١٣.

إن العقل والهوى يتصارعان على النفس فأيهما صرع الآخر كانت النفس في جانبه، ومطبوعة بطابعه.

ضعف العقل وقوة الهوى :

في هذا الصراع المصيري الذي يتقرر بموجبه مصير الإنسان، يعتبر العقل الطرف الضعيف بينما يعتبر الهوى الطرف القوي؛ وذلك أن العقل أداة للإدراك والفهم، بينما الهوى يعتبر قوة كبيرة داخل النفس تستطيع أن تحرك الإنسان. إن العقل يبصر ويدرك، وهذا مما لا شك فيه، ولكنه لا يعتبر قوة محركة وضابطة داخل النفس، بينما الهوى يملك قوة وقدرة عالية جداً على التحريك والضغط.

عن علي (ع) : «كم من عقل أسير عند هوى أمير»^(١).

والهوى يستدرج الإنسان بالترغيب والاعراء فينزلق الإنسان معه، بينما العقل يدعو الإنسان لما ينفر منه ويكرهه.

وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) : «أكره نفسك على الفضائل، فإن الرذائل أنت مطبوع عليها»^(٢).

وكان طريق الإنسان إلى الشهوات والرذائل منزلق، يسهل انزلاق الإنسان عليه، بينما طريق الإنسان إلى الفضائل طريق صاعد يجهد الإنسان، ولهذا السبب فإن دور العقل دور ضعيف في هذا الصراع الدائر بين العقل والهوى، في الوقت الذي يدخل الهوى في هذه المعركة بدرجة عالية ومتفوقة من القوة والتأثير والفاعلية، وفي كثير من الموارد يضعف العقل عن مواجهة الهوى ويتمكن الهوى من السيطرة

(١) نهج البلاغة - باب الحكم والكشاكش القصار.

(٢) مستدرك وسائل الشيعة ٢ : ٣١٠ ط / قديم.

على الموقف ودحر العقل في هذه المعركة واستيعاب صاحبه استيعاباً كاملاً.
جنود العقل :

إلا أن الله تعالى أودع في نفس الإنسان مجموعة من القوى والعوامل التي تدعم العقل في مهماته الصعبة، وهذه المجموعة من نوازع الرحمة والخير في النفس موزعة على الفطرة والضمير والعواطف، وتملك هذه المجموعة من الدوافع والنوازع قدرة على تحريك الإنسان في مقابل الغريزة، وتستطيع أن تقاوم الغريزة وتصدّها وتكفّرها، ومن مهماتها الرئيسية دعم موقف العقل في تحديد وضبط الهوى، فإن العقل كما ذكرنا أداة للإدراك والابصار والفهم، وهذه الأداة تمكّن الإنسان من التشخيص الصحيح والفهم، ولكنها لا تمكّنه من مقاومة ضغط الغريزة وضبطها وصدّها، فيستعين العقل بهذه المجموعة من العوامل والدوافع التي أودعها الله تعالى في النفس لضبط الفرائز والشهوات وتحييدها وكفّها، وبذلك يتمكن العقل من مقاومة الفرائز ومواجهتها.

ولقد ورد التعبير عن هذه المجموعة من العوامل بلغة الثقافة الاخلاقية في الاسلام بـ «جنود العقل» وهو اسم على المسمى تماماً، وإلّا فكم بعض الامثلة عن استعانة «العقل» بهذه المجموعة.

١- قد يقع الإنسان تحت ضغط غريزة حب المال فيلتمس المال من موارد مذلة فيستعين العقل بـ «عزة النفس» الكامنة في نفس كل إنسان، فيمتنع عن طلب المال من الموارد التي تكسب الإنسان الذل، ولا شك أن العقل يرفض الموارد المذلة للمال، ولكن هداية العقل وتوجيهه لوحده غير كاف في كفّ النفس عن طلب المال من مثل هذه الموارد، فيستعين العقل بحالة «عزة النفس» فيتمكن من مواجهة غريزة حب المال.

٢- يتدفع الإنسان تحت ضغط عامل الغريزة الجنسية لتحصيل اللذة الجنسية

بالطرق والوسائل المحرمة والقييحة، وعامل الغريزة الجنسية من أكثر الغرائز طلباً والحاحاً، وليس من ريب أن العقل يدرك بصورة قطعية قبح إتيان مصادر الاغراء الجنسي في موارد كثيرة، ولكن أئني للعقل بما أوتني من بصيرة وفهم أن يقاوم ضبط الغريزة الجنسية القاهرة، لولا أن يستعين العقل بـ «عفة النفس» الكامنة في نفس كل انسان سوي بالفطرة، فيمتنع الانسان عندئذ عن الممارسة التي تستبجحها الفطرة السرية.

٣- وقد ندفع غريزة الاستعلاء والاستكبار والتميز على الآخرين الانسان إلى إذلال الآخرين وفهرهم لاشباع حالة الانانية الفردية بهذه الصورة ... وهي حالة يستبجحها العقل بشكل قطعي، ولكن العقل لا يستطيع أن يقاوم سلطان الأنا في النفس، إلا أن يستعين بما أودع الله تعالى في فطرة الانسان السوي من حب للتواضع للآخرين، فيقاوم العقل عندئذ هذه الحالة من التطرف في إشباع الانانية.

٤- وقد يقع الانسان تحت غريزة الغضب وهي من العوامل القوية في النفس، فتدعوه هذه الغريزة إلى الفتك بالآخرين، ومهما كانت بصيرة العقل وإدراكه بقبح هذا العمل، فإن العقل يحجز عن مقاومة هذه الغريزة التي تفرض نفسها على الانسان بقوة وتفقده وعيه وصوابه، إلا أن العقل يستعين «بالرحمة» الكامنة في الفطرة غالباً، وهذه الرحمة تملك من القوة أحياناً ما تملكه غريزة الغضب أو تزيد عليها، فتدفع الانسان عن كثير من الجرائم التي يدفعه الغضب إليها.

٥- وقد يندفع الانسان إلى معصية الله تعالى بتأثير واحدة من هذه الغرائز الكثيرة التي أودعها الله تعالى في النفس، فينسى العقل بـ «مخافة الله» فيرتدع من تلك المعصية.

والامثلة على ذلك كثيرة نذكر هذه النماذج للتمثيل والنوصيح فقط، ونضيف إلى هذه الامثلة بعض العناوين الاخرى من باب التمثيل أيضاً من دون شرح.

٧٠..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

ويستعين العقل يشكر النعمة، في مقابل التهتك والوقاحة، ويستعين العقل بالحجب، في مقابل البخضاء والحقد، ويستعين العقل بالرجاء، في مقابل اليأس والقنوط.

هذه أمثلة لجنود العقل، ودور جنود العقل في دعم وإسناد موقف العقل من الأهواء والشهوات، واستعانة العقل بها في ضبط وصّد الشهوات والأهواء في النفس.

استعراض نصوص جنود العقل :

ونحصى النصوص الإسلامية خمساً وسبعين خصلة في النفس من جنود العقل، مهمتها دعم العقل وإسناده في مقابل خمس وسبعين خصلة أخرى في النفس، وهي جنود الهوى، أو كما ورد في هذه النصوص «جنود الجهل»، وهاتان طائفتان متقابلتان من الخصال في داخل النفس تعتبران جبهتين في داخل النفس : جبهة العقل وجنود العقل، في مقابل جبهة الهوى والجهل أو جنود الجهل.

وقد روي العلامة المجلسي في المجلد الأول من «بحار الأنوار» بعض هذه النصوص عن الإمام الصادق (ع) والإمام الكاظم (ع) نوردها بالنص لنقوم بتحليلها بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

الرواية الأولى :

عن سعد الحميري مماً، عن البرقي، عن علي بن حديد، عن سماعة قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) وعنده جماعة من مواله فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله (ع) : «اعرفوا العقل وجاهده، والجهل وجاهده تهتدوا» قال سماعة : فقلت : جعلت فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله (ع) : «إن الله جل ثناؤه خلق العقل وهو أول خلق خلقته من الروحانيين، عن يمين العرش من نوره، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى : خلفتك خلقاً

عظيماً، وكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي، قَالَ ثُمَّ خَلَقَ الْجَهْلُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ ظُلُمَانِيَا، فَقَالَ لَهُ أَذْبِرْ فَأَذْبِرْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَلَمْ يَقْبَلْ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَكْبَرْتَ ؟ فَلَعَنَهُ، ثُمَّ جَعَلَ لِلْعَقْلِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ جَنْدًا، فَلَمَّا رَأَى الْجَهْلُ مَا أَكْرَمَ بِهِ الْعَقْلَ وَمَا أَعْطَاهُ أَضْمَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ فَقَالَ الْجَهْلُ : يَا رَبِّ هَذَا خَلَقَ مِثْلِي خَلَقْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَقَرَّبْتَهُ، وَأَنَا ضِدُّهُ وَلَا قُوَّةَ لِي بِهِ، فَأَعْطَنِي مِنَ الْجَنْدِ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ، فَقَالَ : نَعَمْ، فَإِنْ عَصَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَخْرَجْتُكَ وَجَنْدُكَ مِنْ رَحْمَتِي قَالَ : قَدْ رَضِيتُ، فَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ جَنْدًا. فَكَانَ مِمَّا أَعْطَى الْعَقْلَ مِنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّبْعِينَ الْجَنْدِ : الْخَيْرُ وَهُوَ وَزِيرُ الْعَقْلِ، وَجَعَلَ ضِدَّهُ الشَّرُّ وَهُوَ وَزِيرُ الْجَهْلِ، وَالْإِيمَانُ وَضِدُّهُ الْكُفْرُ، وَالتَّصَدِيقُ وَضِدُّهُ الْجَبَرُوتُ، وَالرَّجَاءُ وَضِدُّهُ الْقَنُوطُ، وَالْعَدْلُ وَضِدُّهُ الْجَوْرُ، وَالرِّضَا وَضِدُّهُ السَّخَطُ، وَالشُّكْرُ وَضِدُّهُ الْكَفْرَانُ، وَالطَّمَعُ وَضِدُّهُ الْيَأْسُ، وَالثَّوْكُلُ وَضِدُّهُ الْحَرَصُ، وَالرَّأْفَةُ وَضِدُّهَا الْغَرَّةُ، وَالرَّحْمَةُ وَضِدُّهَا الْغَضَبُ، وَالْعِلْمُ وَضِدُّهُ الْجَهْلُ، وَالْفَهْمُ وَضِدُّهُ الْحُمُقُ، وَالْعِفَّةُ وَضِدُّهَا التَّهْنُكُ، وَالزُّهْدُ وَضِدُّهُ الرُّغْبَةُ، وَالرَّفْقُ وَضِدُّهُ الْخُرْقُ، وَالرَّهْبَةُ وَضِدُّهَا الْجَرَأَةُ، وَالتَّوَاضُّعُ وَضِدُّهُ التَّكَبُّرُ، وَالتَّوَدُّعُ وَضِدُّهُ التَّنَجُّعُ، وَالْحِلْمُ وَضِدُّهُ السَّفَهُ، وَالصَّمْتُ وَضِدُّهُ الْهَذَرُ، وَالْإِسْتِسْلَامُ وَضِدُّهُ الْإِسْتِكْبَارُ، وَالنَّسْلِيمُ وَضِدُّهُ التَّجَبُّرُ، وَالْعَفْوُ وَضِدُّهُ الْحَتْدُ، وَالرَّقَّةُ وَضِدُّهَا الْقَسْوَةُ، وَالْيَقِينُ وَضِدُّهُ الشُّكُّ، وَالصَّبْرُ وَضِدُّهُ الْجَزَعُ، وَالصَّنْعُ وَضِدُّهُ الْإِنْتِقَامُ، وَالْغِنَى وَضِدُّهُ الْفَقْرُ، وَالتَّنَكُّرُ وَضِدُّهُ السُّهُوُ، وَالْحِفْظُ وَضِدُّهُ النِّسْيَانُ، وَالتَّعَطُّفُ وَضِدُّهُ الْقَطِيعَةُ، وَالْقَنُوعُ وَضِدُّهُ الْحَرَمُ، وَالْمَوَاسَاةُ وَضِدُّهَا الْمَنَعَ، وَالْمُودَّةُ وَضِدُّهَا الْعَدَاوَةُ، وَالْوَفَاءُ وَضِدُّهُ الْغَدْرُ، وَالطَّاعَةُ وَضِدُّهَا الْمَعْصِيَةُ، وَالْخَضُوعُ وَضِدُّهُ التَّنَاطُلُ، وَالسَّلَامَةُ وَضِدُّهَا الْبَلَاءُ، وَالْحُبُّ وَضِدُّهُ الْبَغْضُ، وَالصَّدْقُ وَضِدُّهُ الْكُذْبُ، وَالْحَقُّ وَضِدُّهُ الْبَاطِلُ، وَالْإِمَانَةُ وَضِدُّهَا الْخِيَانَةُ، وَالْإِحْلَاصُ وَضِدُّهُ الشُّوْبُ، وَالشَّهَامَةُ وَضِدُّهَا الْبِلَادَةُ، وَالْفَهْمُ وَضِدُّهُ الْغِيَاوَةُ، وَالْمَعْرِفَةُ وَضِدُّهَا الْإِنْكَارُ، وَالْمَدَارَاةُ وَضِدُّهَا الْمَكَاشَفَةُ، وَسَلَامَةُ

٧٢..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الغيب وضدها المماكرة، والكتمان وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الاضاعة،
والصوم وضده الانطمار، والجهاد وضده النكول، والحج وضده نبد الميثاق، وصون
الحديث وضده النميمه، ويزّ الوالدين وضده العقوق، والحقيقة وضدها الرياء،
والمعروف وضده المنكر، والستر وضده التبرج، والتقية وضدها الاذاعة،
والانصاف وضده الحمية، والمهنة وضدها البني، والنظافة وضدها القذر، والحياء
وضده الخلع، والقصد وضده المدوان، والراحة وضدها التعب، والسهولة وضدها
الصعوبة، والبركة وضدها المحق، والعافية وضدها البلاء، والقوام وضده المكاثرة،
والحكمة وضدها الهوى، والوقار وضده الخفّة، والسعادة وضدها الشقاء والتربة
وضدها الاصرار، والاستغفار وضده الاغترار، والمحافظة وضدها التهاون، والدعاء
وضده الاستكفاف والنشاط وضده الكسل والفرح وضده الحزن، والالفة وضده
الفرقة، والسخاء وضده البخل. فلا تجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلاّ
في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان، وأما سائر ذلك من
موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل
ويتقي من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاوصياء
(ع)، وأنما يدرك الفوز بمعرفة العقل وجنوده ومجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله
وإياكم لطاعته ومرضاته^١.

الرواية الثانية :

وهي رواية هشام بن الحكم عن الامام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم (ع)،
وقد رواها الكليني رحمه الله في «أصول الكافي»^٢، ورواها عنه المجلسي رحمه

(١) بحار الانوار ١: ١٠٩ - ١١١ كتاب العقل والجهل.

(٢) اصول الكافي ١: ١٣ - ٢٣ وموضع الحاجة في هذه الرواية في صفحة: ٢٢ - ٢١.

الله في «بحار الانوار»^١. والرواية طويلة فأعذ منها موضع الحاجة : قال الامام موسى بن جعفر (ع) : «يا هشام اعرف العقل وجنده والجهل وجنده تكن من المهتدين» قال هشام : لا تعرف إلا ما عرفتنا فقال (ع) : «يا هشام ان الله خلق العقل وهو أول خلق خلقه الله ... ثم جعل للعقل خمساً وسبعين جنداً. فكان مما أعطى العقل من الخمس والسبعين جنداً : الخير وهو وزير العقل، والشر وهو وزير الجهل. الايمان، الكفر. التصديق، التكذيب. الاخلاص، النفاق. الرجاء، القنوط. العدل، الجور. الرضاء، السخط. الشكر، الكفران. اليأس، الطمع. التوكل، الحرص. الرأفة، القلظة. العلم، الجهل. العفة، التهلكة. الزهد، الرغبة. الوق، الخرق. الرهبة، الجراءة. التواضع، الكبر. التزود، العجلة. الحلم، السفه. الصمت، الحذر. الاستسلام، الاستكبار. التسليم، التجبر. العفو، الحقد. الرحمة، القسوة. اليقين، الشك. الصبر، الجزع. الصفح، الانتقام. الغنى، الفقر. التفكير، السهو. الحفظ، النسيان. التواصل، القطيعة. الفتاعة، الشره. المواساة، المنع. المودة، العداوة. الوفاء، الفدر. الطاعة، المعصية. الخضوع، التناول. السلامة، البلاء. الفهم، الغباوة. المعرفة، الانكار. المدارة، المكاشفة. سلامة الغيب، المماكرة. الكتمان، الافشاء. البر، العقوق. الحقيقة، التسويف. المعروف، المتكر. النقية، الاذاعة. الانصاف، الظلم. النفي، الحسد. النظافة، القذر. الحياء، الفحة. القصد، الاسراف. الراحة، التعب. السهولة، الصعوبة. العافية، البلوى. القوام، المكاثرة. الحكمة، الهوى. الوفاء، الخفة. السعادة، الشقاء. الثوبة، الاحرار. المخافة، التهاون. الدعاء، الاستكفاف. النشاط، الكسل. القرح، الحزن. اللثة، الفرقة. السخاء، البخل. الخشوع، المعجب. صدق الحديث، النسيمة. الاستغفار، الإغترار. الكياسة، الحمق. يا هشام لا تجتمع هذه الخصال الا

(١) بحار الانوار ١ : ١٥٩.

لنبي أو وصي أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، وأما سائر ذلك من المؤمنين فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل، حتى يستكمل العقل ويتخلص من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء والاروصياء (ع) وقفنا الله وإياكم لطاعته.

تأملات في نصوص جنود العقل والجهل :

بعد استعراض نصوص وروايات جنود العقل والجهل، يحق لنا أن نقف بعض الوقت لتأمل في معطيات هذه النصوص، وهي جديرة بالكثير من التأمل والتفكير، وفيما يلي مجموعة من النقاط التي تستحق التفكير والتأمل من هذه النصوص :

١- إن أول ما نلاحظه في هذه النصوص أن هذه الروايات تحدث بلغة الرمز، وهي لغة مألوفة في الكتاب والسنة، وأكثر ما تألف هذه اللغة في النصوص التي تتعلق بخلق الانسان والكون، وفهم هذه النصوص يحتاج إلى تدقيق لروح النص وتجاوز لحرفيته.

٢- ثم يلفت نظرنا في النص الاول والثاني أن العقل والجهل امثالا معاً أمر الله تعالى لهما في الإدبار، واختص العقل وحده بامثال أمر الله تعالى في الأقبال، أما الجهل فقد أعرض عن تكليف الله تعالى له بالاقبال ولم يمثل.

والجهل هنا هو «الهوى» كما أفهمه من هذين النصين بقرينة مقابلة العقل وبقرينة مفردات الهوى الواردة في قائمة جند الهوى.

وأظن - والعلم عند الله - أن الأمر بالإدبار في هذا النص هو الامر التكويني الذي يشير إليه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

وفي هذا الامر يشترك العقل والهوى، بل الكائنات كلها تشترك في تلقي هذا

الامر من لدن الله تعالى، والاستجابة له، والانقياد.

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾^١.

﴿سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^٢.

والشهوات تستجيب لأوامر الله تعالى الكونية، كما يستجيب العقل وجنده. وأما الامر بالاعتقال فبقريئة مقابلته للأمر بالادبار، وتختلف الهوى عن العقل في امتثال هذا الامر، من المظنون أن يكون المقصود منه الاوامر التشريعية، وهذه الطائفة من الاوامر هي التي يطيعها العقل ويتمرد عليها الهوى.

٣- ومما بلغت النظر في كل من هذين النصين الشريفين : أن العقل خلق من مادة تختلف عن مادة الهوى والشهوات.

وقد ورد في النص أن العقل من الروحانيين وقد خلقه الله تعالى من نوره، من يمين العرش، بينما خلق الله تعالى الجهل «الهوى» من بحر ظلماتي أجاج، وعلى نحو التحديد والتشخيص لا نستطيع أن نحدد المادة الأولية لكل من العقل والهوى، وعلم ذلك عند من أودع الله تعالى لديه علمه ممن علمهم تعالى تأويل الاحاديث، إلا أن الذي لا نشك فيه في كل من هذين النصين هو أن مادة العقل مشتقة من الوعي والفهم والادراك، وهو من نور الله تعالى، ومادة الهوى مجردة عن الوعي والادراك، إن الهوى تراكم ظلماتي من الحاجة والطلب لا يتخلله نور الوعي والادراك، والعقل تراكم من الوعي والادراك وقد جعلهما الله تعالى المحورين الاساسيين لشخصية الانسان.

٤- ووردت في النصين إشارة إلى أن الله تعالى أكرم العقل وعظمه، بعد أن

(١) التعليل : ٤٠.

(٢) مريم : ٣٥.

٧٦..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

أطاعه العقل في الادبار والاقبال معاً، بينما لمن الجهل حينما استكبر على أمر الله تعالى وتمرد وعصى، واللمن هنا الطرد والابعاد عن الله تعالى، وكأن النص يقرر أن لشخصية الانسان محورين أساسيين : أحدهما يقربه إلى الله تعالى، والآخر يبعده عن الله تعالى ويطرده، وهذان المحوران هما العقل والهوى يتجاذبان الانسان في اتجاهين متعاكسين، وقد خلقهما الله تعالى كذلك، فيدفع العقل الانسان إلى الله، بينما يطرد الهوى الانسان عن الله، وهما اتجاهان متعاكسان.

٥- ورد في كل من النصين : أن الله تعالى عندما منح العقل خمساً وسبعين خصلة جنوداً له، طلب الجهل والهوى : أن يرزقه الله من الجنود عدد جتود العقل، وعند ذلك خاطب الله تعالى الجهل وقال له : «فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي».

ونحن إذ نعيد إلى ذاكرة القارئ، مرة أخرى أن كلاً من هذين النصين يتحدثان بلغة الرمز، وليس بالضرورة أن يكون الحوار في كل من هذين النصين بين الله تعالى وبين العقل والهوى، حواراً حقيقياً، نقول : إن هذه النقطة من النص ذات دلالة عميقة على موقع الهوى وقيمة الهوى في التصور الاسلامي، ففي الوقت الذي يقرر النص، إن من شأن العقل أن يوجه الانسان إلى الله، ومن شأن الهوى أن يطرد الانسان ويبعده عن الله ... يقرر النص أن الهوى إذا لم يدخل الانسان في معصية الله فهو باقٍ مقيم في حيز رحمة الله، فإذا أدخل الهوى الانسان في معصية الله عندئذ فقط يخرج من دائرة رحمة الله.

إذن الاسلام لا يستنذر الهوى، ولا يعتبره عذاباً ونقمة على الانسان، وإنما هو رحمة من رحمة الله تعالى ما لم يخرج الانسان من دائرة طاعة الله إلى دائرة معصيته، فإذا أخرج الانسان إلى معصية الله انقلب الهوى إلى عذاب ونقمة في حياته.

إذن على عكس طائفة من النظريات المنسوبة إلى الدين، التي تستغذر الاهواء والغرائز والشهوات، يقرر الاسلام مبدأ بالغ الأهمية في تقييم الهوى ويضعه وجنده في قائمة رحمة الله، ولا يعتبر الاستجابة للهوى أمراً معيياً يجب على الإنسان أن ينتزه عنه، ما لم يخرج الإنسان من طاعة الله إلى معصيته، بل يقرر الاسلام أن الاستجابة المضبوطة والمقبولة لهذه الشهوات تعتبر في بعض الحالات سُلماً إلى الكمال في حياة الإنسان.

٦- والنص يشير إلى أن العقل له وجهان : الوجه الأول الوعي والادراك، والوجه الثاني التنفيذ والفعل، ويقدر مايجتمع للعقل من جنود وخصال يستكمل العقل وجهه التنفيذي، ويقدر ما ينقص من خصال العقل وجنده تنخفض قدرة العقل على التنفيذ، وقدرته على التحكم بالشهوات والاهواء.

يقول النص : «لا تجتمع هذه الخصال - خصال العقل - إلا لنبي أو وصي نبي، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من المؤمنين فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل، حتى يستكمل العقل، ويتخلص من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء».

وليس من ريب في أن كمال الوجه التنفيذي للعقل ينعكس على الوجه الآخر للعقل، فتكتمل رؤية العقل وبصيرته ووعيه.

وبذلك تكتمل هذه المعادلة في حلقاتها الثلاثة :

إذا استكمل الإنسان خصال العقل وجنوده تستكمل قدرة العقل على التنفيذ ومقاومة الهوى، وهذا يكمل بصيرة العقل ووعيه، وإدراكه، وعندئذ يكون الإنسان في درجة الأنبياء والأوصياء كما يقول النص، وهذا الذي يحدده ويشخصه النص يشكل أساساً ومطلقاً جيداً للتربية وتقويم السلوك في الاسلام، فإن العقل بصيرة

٧٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

وتنفيذ، وضعف البصيرة من ضعف القوة التنفيذية للعقل، وضعف هذا الأخير من ضعف خصال العقل، فإذا استكمل الإنسان في نفسه هذه الخصال، كملت شخصيته، من حيث البصيرة والتنفيذ معاً.

٧- هذه النصوص تقسم السلوك البشري إلى شطرين متميزين : «التقوى والفجور»، وتحدد «التقوى» باتباع العقل وتحكيمه على السلوك، و«الفجور» باتباع الهوى وتحكيم جنود الجهل والهوى على السلوك، وتتلخص حركة الإنسان إلى الله تعالى في التخلص من جنود الجهل، والخروج من قبضة سلطان الهوى، والدخول في دائرة جنود العقل، وتحكيم العقل على السلوك.

٨- في هذه القائمة خمس وسبعون زوجاً من أنماط السلوك البشري، كل زوج منه يتألف من نحوين متقابلين من السلوك، أحدهما يدخل في قائمة السلوك العقلاني، والاخر يدخل في قائمة السلوك الشهواني، وعليه فإن هذه القائمة تتألف من خمس وسبعين مفردة من مفردات السلوك العقلاني، وخمس وسبعين مفردة من مفردات السلوك الشهواني، والطائفة الاولى هي جنود العقل، والطائفة الثانية هي جنود الجهل.

٩- وعند التأمل في هاتين القائمتين من مفردات السلوك البشري يظهر أن الله تعالى قد جعل لكل هوى في نفس الإنسان قوة مكافئة له في الاتجاه المقابل للهوى، لئلا يقع الإنسان في أسر الهوى بصورة قهرية، وإذا كانت ضرورة تكامل الإنسان ونموه وحركته تتطلب وجود الهوى في نفس الإنسان، فإن الله تعالى قد أودع في نفس الإنسان في مقابل كل هوى قوة مكافئة لها لتحقيق هذا التبادل.

١٠- ولكل من هذه المفردات المائة والخمسين من مفردات السلوك البشري عمق ورصيد وجذور في داخل النفس، وليس شيئاً طارئاً على نفس الإنسان، فما يرتكبه الإنسان ويعمله من خير أو شر، له في النفس جذور، ورصيد، وعمق، وقد

بشير إلى هذا المعنى قوله تعالى ﴿قَالَهُمَا فُجُورًا وَقَوَاهُ﴾^١ فكل من الفجور والتقوى نابع من داخل النفس، وليس أمراً يضاف إلى سلوك الإنسان من الخارج.

١١- التأمل في قائمة «جنود العقل» يمكن الإنسان من تصنيف جنود العقل إلى صنفين هما: «المحفزات والضوابط».

أما المحفزات فهي العوامل الباعنة في نفس الإنسان كالإيمان والمعرفة والرحمة والصدق، وأما الضوابط فهي عوامل الكف والصد، والضبط والتحديد في نفس الإنسان «كالعفة، والرغبة، والصبر، والقناعة، والحياء».

والمحفزات هي مجموعة الروافد التي ترفد شخصية الإنسان وتمطيه ما يحتاجه من الخير والرحمة والمعرفة ... والضوابط هي مجموعة العوامل التي تحصن شخصية الإنسان وتحفظه من السقوط، وهذه المجموعة من المحفزات والضوابط تبني وتقوم وتصون شخصية الإنسان، وتدعم دور العقل في بناء وتكوين الشخصية.

ولابد لهذا الإجمال من تفصيل :

للعقل نوعان من الفعل في حياة الإنسان : النوع الأول تحريك الإنسان باتجاه الغايات التي تحقق للإنسان كماله ونضجه الخاص به، والنوع الثاني كف الإنسان عن الانزلاق إلى مواقع الخطر، وتوضح ذلك ببعض الأمثلة: إن الإنسان يتكامل في مسير الحركة إلى الله تعالى، ومن أهم أدوار العقل دعوة الإنسان إلى الانشداد بالله وذكر الله وعبادة الله وحب الله، وهذه الحركة من «الأنا» إلى «الله» حركة ضرورية وأساسية في حياة الإنسان.

والإنسان يتكامل كذلك في مسير الحركة إلى الالتحام بالمؤمنين وأولياء

٨٠..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

المؤمنين، وهو ما يسميه الاسلام بـ «الولاء»، وذلك بالانصهار في المجتمع الاسلامي والتعاون والتواصل والتراحم والتحابب مع المؤمنين، وهذه الحركة من «الأنا» والفردية إلى «الانصهار في الأمة المؤمنة» هي حركة أساسية وضرورية للإنسان.

وهذان مثالان للفعل الإيجابي للعقل، والإنسان يواجه خطر الانزلاق على كل من هذين الخططين، فينزلق من السير من «الأنا» إلى «الله» إلى الانزلاق في اتجاه معاكس للعودة من «الله» إلى «الأنا» وذلك في الارتواء في المعاصي والذنوب، والركون إلى الشهوات والاهواء، والخضوع لآغراءات الشيطان ووساوسه وجاذبية الهوى.

وقد ينزلق الإنسان من السير من الحالة «الفردية» إلى الذويان في «الأمة»... إلى اتجاه معاكس، بالعودة من «الذويان في الأمة» إلى «الحالة الفردية» بالركون إلى التواضع الفردية في النفس، وحالة الاستئثار وسوء الظن والحساسية من الآخرين والطمع بما في أيدي الآخرين، فيقوم العقل بدور فعال ومؤثر، وقوي في كل من هذين الاتجاهين :

١- في حركة الإنسان من «الأنا» إلى «الله» وحركة الإنسان من الحالة «الفردية» إلى «الذويان في الأمة».

٢- وفي صد الإنسان عن الاسترسال في الاستجابة للهوى والانزلاق معه في الاتجاه المعاكس في العودة من «الله» إلى «الأنا» والعودة من الذويان في «الأمة» إلى الحالة «الفردية» ومن «الايثار» إلى «الاستئثار»، إلا أن العقل وحده، لا يقوى على أن يتنهض بهذين المشروعين الكبيرين، في حركة الإنسان إلى «الله» و«الأمة» وفي صد الإنسان عن الانزلاق إلى «الأنا» و«الفردية»، فيستعين العقل بالخصال التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان لدعم العقل في هذا الشأن وذاك الشأن.

وهذه الخصال على طائفتين، طائفة منها ترفد شخصية الإنسان بالحركة التي يحتاجها الإنسان في حركته من «الأنا» إلى «الله» والحركة التي يحتاجها الإنسان من «الفردية» إلى «الولاء» للمؤمنين، وتمنح طائفة أخرى منها الإنسان القدرة على المقاومة أمام ضغط الهوى لصدّه وتحديدّه، وأمثلة ذلك كثيرة : فالنزوع الفطري إلى الله، والنزوع إلى حب الله وذكره وعبادته يحرك الإنسان إلى الله، كما أن النزوع إلى الحياة الاجتماعية وعاطفة الحب والرحمة تجاه الآخرين تحرك الإنسان إلى المجتمع.

وهذه الطائفة من خصال العقل تعتبر الحوافز والدوافع والبواعث في السلوك الإنساني العقلاني. وتقع في مقابلها مجموعة الخصال التي تشكل الضوابط والروادع في السلوك الإنساني العقلاني.

فالحياء مثلاً يردع الإنسان عن التهلك، والحلم يردع الإنسان عن الاسترسال في الغضب، والعفة تردع الإنسان عن الممارسات غير المشروعة لغريزة الجنس، والقناعة تردع الإنسان عن الحرص والجشع، وهكذا ... وهذه المجموعة هي الضوابط السلوكية في حياة الإنسان، وهذه الضوابط هي «العصم» التي تعصم الإنسان، وتحفظه من السقوط والهلاك، ولولا هذه العصم التي أودعها الله تعالى في النفس لم يتمكن العقل بمفرده أن ينهض بمسؤولية مقاومة الهوى. وهذه «العصم» تقوى وتضعف في حياة الإنسان، ولكل من هذه القوة والضعف قوانين وأسباب محددة، وسوف تقدم توضيحاً أكثر لـ «العصم» بعد قليل إن شاء الله.

١٢- وهذه الخصال التي سُمّيناها «جنود العقل» والتي تدعم العقل وتسنده، لا بد أن تكون محكومة للعقل والدين، وعندما تتحرر هذه الخصال «جنود العقل» من سلطان العقل والدين، فقد تتحول أحياناً، أو في الغالب، إلى عناصر ضارة وعوامل سلبية في حياة الإنسان، فالرحمة كما ذكرنا من جملة المحفزات التي ترفد

٨٢..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

شخصية الانسان، ولكن عندما يتحرر من سلطان العقل والدين فقد تتحول إلى عنصر ضار، كما لو كانت الرحمة بالمجرمين، حيث ينهى العقل وينهى الدين عنها ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾، وقد يتحول الاتفاق عندما ينحرف عن العقل والدين إلى عامل للتخريب يمنع عنه العقل والدين ﴿ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾.

١٣- وليس لجنود الجهل سلطان قاهر على إرادة الانسان، ومهما تقوى جنود الجهل فلا يسلبون الانسان إرادته، ويبقى حق اتخاذ القرار خاصاً لإرادة الانسان، وأقصى ما في الامر أن جنود الجهل تُعدّ عاملاً ضاعطاً على إرادة الانسان، ويكون لها دور تحريكى وتحفيزى على الإرادة من دون أن تسلب إرادة الانسان، أو يلبها الاستسلام في اتخاذ القرار ... إلا أن الإرادة تتأثر من دون شك بهذه الخصلة أو تلك من جنود العقل وجنود الجهل.

١٤- من المسائل الاساسية في محاسبة قوة وضعف جنود العقل التربية الاخلاقية وسوء التربية، فإن التربية الاخلاقية، والتقوى ... تكوّن وتدعم خصال العقل، وفي المقابل ترقق وتضعف الشهوات والاهواء في النفس.

والعكس أيضاً صحيح، فإن الاستجابة للشهوات والاهواء، وإهمال عامل التقوى والتربية يغلظ ويضاعف الشهوات والاهواء، ويضعف خصال جنود العقل ويرققها، ولذلك ورد في النصوص الاسلامية التحذير من الاستجابة المطلقة للاهواء حتى فيما يحلّ منها، تنزيهاً للانسان عن حالة الانجراف مع اللذات والشهوات، وقد روي عن رسول الله (ص) في هذا الباب: «من أكل ما يشتهي لم ينظر الله إليه حتى ينزع أو يتركه»^١. فإن الاسترسال في الاستجابة للشهوات

(١) بحار الانوار ٧٠ : ٧٨ حديث رقم ٩٠.

والاهواء أن يأكل الانسان ما يشتهي كما يشتهي، فإذا فعل الانسان ذلك في الحلال، فلا يكاد أن يسيطر على نفسه في الحرام، ومثل هذا الانسان لا تهبط عليه رحمة الله كثيراً «ولم ينظر الله إليه».

وهناك مجموعة عوامل لترقيق الشهوات والاهواء وإضعافها، يقول إبراهيم الخواص: «دواء القلب خمسة أشياء: ١- قراءة القرآن ٢- وإخلاء البطن ٣- وقيام الليل ٤- والتضرع عند السحر ٥- ومجالسة الصالحين^١، وكان يقول أحدهم: خلق الله القلوب مساكن للذكر، فصارت مساكن للشهوات ولا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق^٢».

والن هنا الحالة من ترفيق وإضعاف الشهوات، ودعم وإسناد خصال العقل يشير أمير المؤمنين (ع) في كلمته المعروفة في وصف المتقين: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق^٣». وهذا الجليل الذي يدق، والغليظ الذي يلطف هو الهوى.

ومهمة التربية والتزكية في الإسلام هو ما يشير إليه الامام من تلطيف الغليظ من الاهواء وتدقيق الجليل من خصال الهوى، التي يحصيها النص بخمس وسبعين خصلة، وفي مقابل ذلك تكريس ودعم لخصال العقل البالغة خمسا وسبعين خصلة.

١٥- وعندما يتم تكريس ودعم هذه الخصال من جنود العقل فإن العقل يستكمل قوته وكماله وسلطانه على الهوى، ويفرض سيطرته الكاملة على

(١) ذم الهوى لابن الجوزي: ٧٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نهج البلاغة، المعلقة: ٣٢٠.

٨٤..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الشهوات والغرائز، ويخصن الانسان ويقهر سلطان شهواته وغرائزه، وقد روي عن علي (ع) : «العقل الكامل قاهر للطبع السوء»^١. وعندئذ فقط يكون الانسان قوياً وشديداً على خلاف ما يتصوره الناس، فإن الناس يفهمون من القوة والشدة سلطان الهوى وسيطرة الهوى، وأما في الاسلام فإن القوة والشدة في السيطرة على الهوى وليس في سيطرة الهوى.

عن رسول الله (ص) : «ليس الشديد من غلب الناس، ولكن الشديد من غلب نفسه»^٢.

وعنه (ص) أيضاً : «ليس الشديد بالصرعة، إنما الذي يملك نفسه عند الغضب»^٣.

وعنه (ص) أيضاً : «أشجع الناس من غلب هواه»^٤.

ثمرات والمراعات العقل الكامل :

وعندما يستكمل العقل سلطاته ونفوذه على الاهواء، ويستكمل دوره ورسالته في توجيه الانسان بنقله العقل إلى مصدر لكثير من البركات والتوفيقات، ومبدأ لكثير من الانقلابات في حياة الانسان، وفيما يلي نستعرض بعض هذه النقاط من إفرازات العقل وثمراته في حياة الانسان من خلال النصوص الإسلامية، ونترك تفصيل ذلك للدراسات التفصيلية في هذا الموضوع.
ومن ثمرات العقل الكامل الاستقامة على الحق :

(١) بحار الأنوار ٧٨ : ٩.

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي : ٣٩.

(٣) أخرجه احمد في المستدرك والبيهقي.

(٤) بحار الأنوار ٧٠ : ٧٦ حديث ٥، ومستدرك وسائل الشيعة ٢ : ٣٤٥ / ٢ / ٢٤١.

عن علي (ع) : «ثمرة العقل الاستقامة»^١.
 وعنه (ع) : «ثمرة العقل لزوم الحق»^٢.
 ومن ثمرات العقل الكامل مقت الدنيا :
 هن علي (ع) : «ثمرة العقل مقت الدنيا، وقمع الهوى»^٣.
 ومن ثمرات العقل الكامل السيطرة على الهوى :
 عن علي (ع) : «إذا كمل العقل نقصت الشهوة»^٤.
 وعنه (ع) : «من كمل عقله استهان بالشهوات»^٥.
 وعنه (ع) : «العقل الكامل قاهر للطبع السوء»^٦.
 ومن ثمرات العقل الكامل حسن العمل وسلامة السلوك :
 وعن علي (ع) : «من كمل عقله حسن عمله»^٧.

المعصم

والآن بعد هذه الجولة في نصوص «جنود العقل» ودلالات هذه النصوص نعود إلى دراسة وسائل علاج الهوى ومكافحته.
 وقد عرفنا خلال هذه الجولة أن العقل وحده لا يملك القدرة الكافية على

(١) غرر الحكم للأندلي ١ : ٣٢٠.

(٢) غرر الحكم للأندلي ١ : ٣٢٠.

(٣) غرر الحكم للأندلي ١ : ٣٢٣.

(٤) غرر الحكم للأندلي ١ : ٢٧٩.

(٥) غرر الحكم للأندلي ١ : ١٨٠.

(٦) بحار الأنوار ٧٨ : ٩.

(٧) نفس المصدر.

٨٦..... الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

مقاومة الهوى وصده، ولو كان العقل وحده يقع في مقابل جبهة الهوى الواسعة والقوية لكان جانب العقل هو الجانب الضعيف والمهزوم... إلّا أن الله تعالى قد أودع في داخل النفس للعقل جنوداً في مقابل جنود الهوى، تدعم موقع العقل وتُسده، وتمكّنه من مجابهة الهوى، وهذه الجنود كما ذكرنا تكافيه من حيث العدد جنود الهوى وتعاكسها من حيث الاتجاه والطلب.

وهذه الجنود هي «العصم»، والعقل يستعين بهذه «العصم» لصدّ الهوى ومجاوبته وضبطه، وبناءً على ذلك فإنّ تكرّس هذه العصم من بين جنود العقل وخصاله وتثبيتها في النفس هو الطريقة التربوية الصحيحة لمعالجة الهوى ومكافحته في النفس، وهو المنهج الإسلامي في مكافحة الهوى وعلاجه، فإن مهمة «العصم» في حياة الإنسان هي حفظه من السقوط في المعاصي، وتحصينه من سيطرة الأهواء والشهوات، ولولا هذه العصم التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان لم يكن العقل وحده قادراً على كَفّ النفس وصدها وضبط الشهوات، ولكن «العصم» هذه تدخل في ساحة النفس لضبطها وصدها، وتملك قدرة وكفاءة على درجة عالية جداً لضبط النفس وتحديد الشهوات والسيطرة عليها.

وهذه العصم تقوى وتضعف، فإذا قويت حصّنت الإنسان بصورة كاملة، وعصمته عن الذنوب والمعاصي، وإذا ضعفت تمكّنت الشهوات من الإنسان وتمكّنت أمره بصورة كاملة، وبالتقوى تقوى هذه العصم، وبالتفجور والذنوب تضعف، حتّى كأنّ الذنوب تهتكها، فيكون الإنسان معرضاً للهبب الأهواء والشهوات من غير عازل ولا حجاب عاصم، وقد ورد في دعاء كميل في هذا المعنى: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم».

والعلاقة بين «التقوى» و«العصم» علاقة نبادلية «جدلية» تؤثر التقوى في دعم العصم، وتؤكّر «العصم» في دعم «التقوى»، كما أن العلاقة بين «الذنوب» و«العصم»

علاقة متبادلة أيضاً، ولكن بعكس الاتجاه السابق، فإن الذنوب تؤثر في ترفيق وهتك العصم، ورقة العصم وهتكها يؤثر في تمكين الاهواء والشهوات من الانسان. وهذه العصم تابعة من داخل النفس، ولها رصيد وعمق ومدد في الفطرة، وقد أودع الله تعالى في عمق نفس الانسان وفطرته كنوزاً من هذه «العصم» تدعم العقل في مهمته التي وضعه الله تعالى لها.

ومن رأي بعض علماء الاجتماع: أن هذه العصم تنتقل إلى النفس من الخارج، من داخل المجتمع، وليست هي من الامور «القلبية» التابعة من داخل النفس، وإنما هي من الامور «التعدية» التي يكتسبها من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولذلك نرى أن درجة قوة العصم تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى، فنرتفع في الاوساط الاجتماعية المحافظة بينما تنخفض في الاوساط الاجتماعية المتحللة. وقد يبلغ المجتمع درجة من التحلل الخلقي تنعدم معها العصم في النفوس بصورة كاملة.

ويخضع هذا الرأي لمنافشات ومؤاخذات قوية، لا سبيل إلى دفعها فإن الظواهر النفسية التابعة من عمق الفطرة والنفس تتأثر بالتأكيد بالوسط الاجتماعي، ولا سبيل لعزل الظاهرة النفسية عن الوسط الاجتماعي، ومن الخطأ أن نتصور أن الظاهرة النفسية تختلف عن الظاهرة غير النفسية (الاجتماعية) بقبول الثانية للمؤثرات الاجتماعية، ورفض الاولى لهذه المؤثرات، فإن الظاهرة النفسية لا يمكن أن تنعزل، ولا يمكن أن تنسلخ عن الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه سلباً وإيجاباً.

والفارق بين هذه الظاهرة وتلك هو: أن الظاهرة النفسية ظاهرة شاملة لكل المجتمع البشري، وممتدة على كل التاريخ الحضاري للانسان على درجات مختلفة، بينما الظاهرة الاجتماعية تعيش وتموت، تعيش في منطقة من الارض،

ولا يكون لها وجود في منطق آخرى منها.

ولنضرب لذلك مثلاً يوضح الأمر أكثر: «الايمان بالله» ظاهرة نفسية نابعة من الفطرة في مقابل «الالحاد» الذي يعتبر حالة اجتماعية من التمرد على الاستجابة للفطرة في الايمان بالله، والتمرد على الله تعالى.

وكل من هاتين الحالتين: «الايمان والالحاد» توجدان في تاريخ الانسان، وعلى ظهر هذا الكوكب، إلا أن حالة «الايمان» حالة ممتدة على امتداد التاريخ الحضاري للانسان ولا تخلو فترة من فترات التاريخ عن هذه الحالة، حتى حالة عبادة الاولان والشمس والقمر تعود في جذورها إلى هذه الحالة، وتعتبر تعبيراً منحرفاً عن هذه الحالة والحاجة العميقة في نفس الانسان، بينما «الالحاد» لا يملك مثل هذا الامتداد في التاريخ الحضاري للانسان، وتمز على الانسان فترات طويلة لا يكون للالحاد حضور فاعل وقوي ورسمي، يدعمه فكر وثقافة وفلسفة.

وحالة «الايمان بالله» حالة شاملة وعامة على ظهر الارض، بينما حالة «الالحاد» تعتبر فقاعات تبرز هنا وهناك بصورة ضعيفة ولفترة محدودة ثم تنفجر، وآخر هذه الفقاعات وأقواها في التاريخ السياسي والحضاري والفكري للانسان «الماركسية» التي أسست كياناً دولياً وسياسياً عالمياً ضخماً، ثم انفجرت هذه الفقاعة مرة واحدة.

وليس «الايمان بالله» كذلك قطعاً، ومن لا يفرق بين ظاهرة «الايمان بالله» و«الالحاد» يغالط نفسه حتماً.

عودة إلى البحث عن العصم:

لقد شغلنا البحث عن عمق «العصم» في النفس عن البحث في نظام العصم ودورها في حياة الانسان، وعن منهج التربية الاسلامية في استثمار العصم في مكافحة الهوى.

وأود أن أبسط الحديث عن «المصم» في هذه النقطة من البحث بشيء أكثر من هذا الإيجاز المخفل الذي قدمته الآن، وقد كتبت قبل زمن بحثاً عن المصم، اقتبس منه بعض الفقرات التي لها علاقة بهذا البحث.

قلنا: إن سلطان الهوى على الإنسان سلطان نافذ قوي، وإن لهذا السلطان دوراً تخريبياً واسعاً في حياة الإنسان، وما لم يتمكن الإنسان من ضبط الهوى وتحديده، وتعديله فإنه لا يسلم من الفعل التخريبي للهوى في حياته، إذن فلا بد من منهج تربوي كامل لمواجهة سلطان الهوى وطفياته وآثاره التخريبية في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، فما هو هذا المنهج؟ وما هو هذا الاتجاه التربوي الذي يمكن الإنسان من سلطان أهوائه وشهوته.

تتجه النظرية الرهبانية إلى نظرية «كبت» الأهواء، وكبح الشهوات وداخل النفس من جانب، واعتزال الفتن والمثيرات والمنغريات في واقع الحياة من جانب آخر، وهذا اتجاه معروف في هذه المدرسة وله جذور عميقة تمتد إلى أعماق التاريخ.

وتتلخص هذه النظرية في عزل «الأهواء» عن «الفتن» وتجنب متاع الحياة الدنيا، والابتعاد عنها، فإن مشكلة الإنسان ما دامت تكمن في الاحتكاك، وفي العلاقة بين الهوى والفتنة، فإن سلامة الإنسان تكمن في عزل الهوى عن الفتن، واعتزال الدنيا ومنغرياتها ومثيراتها، وتتم هذه المنهجية من خلال «اعتزال» الحياة الدنيا، ومن خلال «كبت» الفرائز وكبحها.

وهذه منهجية معروفة في تاريخ الفكر، وتمتد هذه المدرسة في بعض خطوطها وامتداداتها المعاصرة إلى المسيحية الفايرو، والإسلام يعارض هذه المنهجية معارضة شديدة، ويرى أن «الاعتزال»، و«الكبت» و«الكبح» ليس فقط لا يحل مشكلة الإنسان تجاه الأهواء والفتن، وإنما تحرف الإنسان إلى اتجاه معاكس

لمسيرة سنن الله في خلق الانسان، ولنقرأ هذه الطائفة من الآيات من سورة الاعراف: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾.

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

وهذه الآية الكريمة تدعو أولاً إلى الدخول في الدنيا والتمتع بطيباتها من دون إسراف: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾، ثم تشجب موقف أولئك الذين يحرمون ما أحل الله من طيبات الدنيا: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.

ثم تذكر الآية: أن الدنيا وما فيها من الطيبات للذين آمنوا يشاركون فيها غيرهم من المشركين، وأما في الآخرة فلهم هذه الطيبات خالصة دون المشركين، ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾، ثم تبين الآية المباركة: أن الله تعالى حرم الفواحش في هذه الدنيا ما ظهر منها وما بطن، وحرم الائم والبغي والمدوان فقط.

إذن فالاسلام يرفض الدعوة إلى مقاطعة الدنيا، ويأمر بالتمتع بطيباتها، ويشجب عمل أولئك الذين يقاطعون الدنيا ويحرمون ما أحل الله من الطيبات، ومن هذه الطيبات ما يفتن الله بها عباده، ومع ذلك كله لا يأمرنا الله تعالى أن

(١) الاعراف: ٣١.

(٢) الاعراف: ٣٢ - ٣٣.

نعتزلها ونبترياً منها، وإِنَّمَا يَأْمُرُنَا تَعَالَى أَنْ نَتَجَنَّبَ الْفَوَاحِشَ مِنْهَا فَقَطْ، وَأَنْ نَحْذَرَ التَّجَاوُزَ لِحُدُودِ اللَّهِ.

سمع أمير المؤمنين (ع) رجلاً يقول: «اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ؛ قَالَ (ع): «أَرَأَيْكَ تَتَعَوَّذُ مِنْ مَالِكَ وَلَوْلَاكَ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وَلَكِنْ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَضَلَّاتِ الْفِتَنِ»^١.

وعن أمير المؤمنين (ع): «لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ اسْتِعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مَضَلَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾»^٢.

اذن فما هي النتيجة التي يتبناها الاسلام في ضبط الهوى ونعديله وتحديده؟ إن الاسلام يطرح بهذا الصدد طريقة جديدة، ومنهجاً تربوياً جديداً لضبط الهوى. وهذه النظرية هي نظرية «العصم».

إن العصم في سلوك الانسان تشبه «العازل» في القيزياء، أرايت كيف يمكن للانسان أن يتعامل مع النار والكهرباء من خلال العازل دون خطر؟ كذلك الانسان يستطيع أن يتعامل مع الفتن والمغريات والمنبهرات في الحياة الدنيا من خلال «العصم» دون أن يمسّه أي خطر من ناحية هذه الفتن والمغريات، ومن الخطأ أن ندعو الناس إلى مقاطعة التعامل مع النار والكهرباء لأنها حارقة وصاعدة، ولكن من الضروري أن يكون التعامل مع النار والكهرباء من خلال العازل الذي يعصم الانسان من خطر النار والكهرباء.

كذلك لا يصحّ أن ندعو الناس إلى مقاطعة «الفتن»، ومن هذه الفتن أموال الناس

(١) بحار الأنوار ٩٣ : ٢٢٥.

(٢) الانفال : ٢٨.

وأولادهم، وإنما يجب على الإنسان أن يعصم نفسه في التعامل مع هذه الفتن والمثيرات والمفريات بمجموعة من العصم التي تحميه منها، وهذه العصم إذا تكاملت في حياة الفرد والمجتمع تقوم بدور هام في تلطيف الفرائض وتعديلها وضبطها وتمكين صاحبها منها، وهي تملك الإنسان أهواءه وشهواته، كما ورد في التصوص الإسلامية، والتعبير دقيق، فإن من الناس من تملكه أهواؤه وشهواته، ومن الناس من يملك أهواءه وشهواته، إذن فلا يصح في دين الله المنع من دخول الدنيا، ولكن من يدخل الدنيا يجب أن يملك هواه ويتمكن منه، وهذا هو المقياس الفاصل بين الهوى والهدى في حياة الإنسان.

وقد روي عن الإمام الصادق (ع): «من ملك نفسه إذا غضب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، حرم الله جسده على النار»^١.

وفي حديث آخر: «من ملك نفسه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضي حرم الله جسده على النار»^٢.
والعصم على ثلاث طوائف:

منها ما أودعه الله تعالى في عمق القطرة والنفس بصورة تكوينية، والتربية نعمتها وتكرسها كالحياء والعفة والرحمة، فإن هذه العصم تستر الغريزة وتلطّفها وتعديلها، فالغريزة الجنسية في الحيوان والإنسان سواء، إلا أنها في الحيوان مكشوفة وعارية، وفي الإنسان يكسوها الحياء والعفة، فيمتنع الإنسان عما لا يمتنع عنه الحيوان، ليس لعجز في الغريزة عند الإنسان، وإنما بسبب من عصمتي الحياء والعفة فإنهما يُلطِّقان غريزة الجنس كثيراً ويعدّلانها ويحدّدانها

(١) بحار الأنوار ٧٨ : ٢٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٧١ : ٣٥٨.

ويضبطانها، ويكفان الغريزة الجنسية ويلطفان إفرازها وعملها، وكذلك «الرحمة» تقوم بدور كبير في تلطيف وتعديل غريزة الغضب، فإن الإنسان والحيوان سواء في غريزة الغضب، إلا أن هذه الغريزة مكشوفة وعارية في الحيوان وتكسوها «الرحمة» في الإنسان.

ومن هذه المعصم ما يكتسب الإنسان ويقوم به، وللثبوتية دور أساس في تمكين هذه المعصم في حياة الإنسان، مثل: الذكر، والصلاة، والصوم، والتقوى، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والذكر مطردة للشيطان، والصوم مجنة من النار، والتقوى لباس يستر الإنسان ويحفظه من لدغ الذنوب والخطايا.

﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾^١.

ومن المعصم ما أودعه الله تعالى في حياة الإنسان الاجتماعية كالجماعة المؤمنة والحياة الزوجية، فإن الجماعة تحفظ المؤمن من الانزلاق والسطو، والحياة الزوجية عصمة للزوجين، وهذه ثلاث طوائف من المعصم في النفس وفي المجتمع^٢.

وفيما يلي نستعرض نموذجين من هذه المعصم التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، وهما «الخوف» و«الحياة».

الخوف من الله

الخوف من الله من أهم المعصم التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان، وورد ذكرها في حديثي جنود العقل والجهل تحت عنوان جنود العقل، وهو بالتأكيد من

(١) الاعراف : ٢٦.

(٢) اقتباس بتصرف عن رسالة المعصم للمؤلف : ٦٠ - ٦٦.

٩٤ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

أعظم العوامل الرادعة للهوى وله دور كبير في صدّ الهوى وضبطه.
يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَوَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^١.

والآية الكريمة تعبّر بوضوح عن التلازم والترابط القائم بين «الخوف من الله» و«نهي النفس عن الهوى»، كما هو واضح في الآية الكريمة.
وقد روي عن الإمام الصادق (ع): «من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول، ويعلم ما يعمل من خير أو شر، فيحجزه ذلك عن القبيح، فذلك الذي خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى»^٢.

وروي عن أمير المؤمنين علي (ع): «الخوف مسجن النفس من الذنوب، وراذعها عن المعاصي»^٣.

إذن «الخوف» يحجز الإنسان عن المعاصي ويحدّها في دائرة الحلال، فلا ينزلق إلى الحرام ويدعه عن المعاصي والمحرمات.

عن رسول الله (ص): «سبعة يظلّهم الله يوم لا ظلّ الا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله عز وجل اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله عز وجل»^٤.

(١) الطّواغيت : ٤٠.

(٢) أصول الكافي ٢ : ٧١.

(٣) ميزان الحكمة ٣ : ١٨٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه بوجوب صلاة الجماعة باب ٨ وفي وجوب الزكاة باب ١٨ وفي كتاب الرقاق باب ٢٤ وفي كتاب المحاريب باب ٤. وأخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الزكاة باب ٣٠ ورواه

إذن مخافة الله تعالى تردع الانسان عن أقوى الشهوات وأكثرها إلحاحاً وهي شهوة الجنس، ومخافة الله تكف النفس عن الأهواء وتحجزها عن المعاصي.
عن علي (ع) : «العجب ممن يخاف العقاب فلم يكف بورجى الثواب فلم ينب ويعمل»^١.

وعن الامام الباقر (ع) : «لا خوف كخوف حاجز ولا رجاء كرجاء معين»^٢.
إذن فالخوف يكف الانسان عن التماذي في الشهوات، ويحجز الانسان عن الشهوة.

وعن علي (ع) : «نعم الحاجز من المعاصي الخوف»^٣.
الخوف أمان :

ومن عجب أن الخوف الذي يشق من القلق ويشق منه «القلق»، وينفع في مقابل «الامان» ... يعتبره الاسلام «أماناً» للانسان، فإن الخوف لما كان يحجز الانسان عن المعاصي، فهو في الحقيقة يحجز الانسان عن المهالك والسقوط، فإن حقيقة المعصية هلاك وسقوط، وحدود الله تعالى هي السياج الآمن الذي يحفظ الانسان من السقوط ... ولذلك فإن الخوف أمان في حياة الانسان بعكس ما يتصوره الانسان في البدء وفي النظرة الأولية الساذجة.
وقد روي في هذا المعنى عن علي (ع) روايات ذات دلالات عميقة، وإليك جملة من هذه النصوص العلوية :

أبو القرج في ذم الهوى : ٢٤٣.

(١) بحار الانوار ٧٧ : ٢٣٧.

(٢) بحار الانوار ٧٨ : ١٦٤.

(٣) ميزان الحكمة ٣ : ١٨٣.

«الخوف أمان»^(١).

«ثمرة الخوف الأمان»^(٢).

«خف ربك وارح رحمة، يؤمنك مما تخاف، ويملك ما رجوت»^(٣).

«لا ينبغي للعاقل أن يقيم على الخوف إذا وجد إلى الأمن سبيلاً»^(٤).

والخوف الذي تشير إليه الروايات هو الأمن من عقوبة الله، والأمن الذي تشير إليه الروايات هو الخوف من عقوبة الله، وهو من المعاني المتضادة والمتعاكسة اللطيفة في الثقافة الإسلامية، فإن «الخوف» في الدنيا «أمن» في الآخرة «والأمن» في الدنيا «خوف» في الآخرة.

وأعبر المؤمنين (ع) يستفي هذا المفهوم الاسلامي من المعين النبوي الذي لا ينضب: فقد روي عن رسول الله (ص) أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: «وحرّتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمتين، فإذا أمنتني في الدنيا أخفّته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنتني يوم القيامة»^(٥).

قصص عن دور «الخوف» في كَفّ الهوى :

وفيما يلي نذكر بعض القصص في تأثير «الخوف» في كَفّ النفس عن الانزلاق إلى المعاصي والشهوات، وقد ورد بعض هذه القصص في نصوص الروايات :

حدثني عثمان بن زفر التيمي قال: حدثني أبو عمر يحيى بن عامر التيمي: أن رجلاً من الحبي خرج حاجاً، فإذا هو بامرأة في بعض الليل ناشرة شعرها في بعض

(١) ميزان الحكمة ٢: ١٨٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) كنز العمال للمفاتيح الحديث: حديث: ٥٨٧٨.

المياه قال : فأعرضت عنها، فقالت : هلم إلي لم تعرض عني؟ قال قلت : إني أخاف الله رب العالمين، فتجلبيت ثم قالت : هيت مهاباً، إن أولي من شركك في الهية لمن أراد أن يشركك في المعصية : قال : ثم وكلت فتبعتها فدخلت بعض خيام الاعراب، فلما أصبحت أتيت رجلاً من القوم فوصفتها، فقلت : فتاة كذا وكذا من حسننها من منطفها، قال شيخ منهم : ابنتي والله، قلت : هل أنت مزوجي؟ قال : على الاكفاء، قلت : رجل من تيم الله، قال : كفوه كريم، فما رمت حتى تزوجتها ودخلت بها ثم قلت جهزوها إلي عند قدومي من الحج، فلما قدمت حملتها إلي الكوفة فما هي عندي لي منها بنين وبنات^١.

كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلي وجهها في المرأة، فقالت لزوجها : أتري أحداً يرى هذا الوجه لا يفتن به؟ قال : نعم قالت : من؟ قال : عبيد بن عمير، قالت : فاذن لي فيه فلافتنه. قال : قد أدنت لك، قال : فأنته كالمستغنية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، قال : فاسفرت عن مثل خلفه القمر، فقال لها : يا أمة الله! قالت : إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال : إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال : أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت : اللهم لا، قال : صدقت، قال : فلو أدخلت في فيرك وأجلست للمسألة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة، قالت : اللهم لا، قال : صدقت، قال : فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك يمينك أم بشمالك؟ أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت : اللهم لا، قال : صدقت، قال : فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين نخفين أم نتقلين؟ أكان يسرك أني

قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت : اللهم لا، قال : صدقت، قال : فلو وقفت بين يدي الله للمسألة! أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت : اللهم لا، قال : صدقت، قال : انهي الله يا أمة الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك، قال : فرجعت إلى زوجها فقال : ما صنعت؟ قالت : أنت بطلان وتحن بطالون! فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، قال : فكان زوجها يقول : ما لي ولعبيد بن عمير، أفسد علي امرأتي كانت في كل ليلة عروساً فصبرها راحة^١.

روى أبو سعد بن أبي أمامة، أن رجلاً أحب امرأة فأحبه فاجتمعا فراودته المرأة عن نفسه، فقال : إنَّ أجلي ليس بيدي، وأجلك ليس بيدك، فرثما كان الاجل قد دنا فلفى الله عاصين، فقالت : صدقت، فتأبها وحسنت حالهما^٢.

عن خارجة بن زياد : أن رجلاً من بني سليمة يذكر قال : هويت امرأة من الحي، فكنت أتبعها إذا خرجت من المسجد، فعرفت ذلك مني، فقالت لي ذات ليلة : لك حاجة؟ قلت : نعم، قالت : وما هي؟ قلت : مودتك، قالت : دع ذلك ليوم التناهي، قال : فأبكتني والله فما عدت إلى ذلك^٣.

روى شيخ من بني عبد القيس قال : سمعتهم يقولون : إن رجلاً راود امرأة عن نفسها، فقالت : أنت قد سمعت الحديث وقرأت القرآن، فأنت أعلم، فقال لها : أغلقي أبواب القصر، فأغلقتها، فدنا منها فقالت : بقي باب لم أغلقه، قال : أي باب؟ قالت : الباب الذي بينك وبين الله تعالى، قال فلم يعرض لها^٤.

يقول ابن الجوزي : بلغنا أن بعض المتعبدات البصريات وقعت في نفس رجل

(١) ذم الهوى لابن الجوزي : ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي : ٢٦٨.

(٣) نفس المصدر : ٢٧٢.

(٤) ذم الهوى لابن الجوزي : ٢٧٤.

مهلبي، وكانت جميلة، وكانت تُخطب فتأبي، قبلخ المهلبي أنها تريد الحج، فاشتري ثلاثمائة بعير ونادى: من أراد الحج فليكن المهلبي. فاكثرت منه، فلما كانت في بعض الطريق جاءها ليلاً، فقال: إما أن تزوجيني نفسك وإما غير ذلك، فقالت: ويحك اتق الله! فقال: ما هو إلا ما تسمعيني والله ما أنا بجمال، ولا خرجت في هذا الامر إلا من أجلك، فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقني في الرجال أحد لم يسم؟ قال لا، قالت: فانظر فمضى وجاء وقال: ما بقي أحد إلا وقد نام، فقالت ويحك أنام رب العالمين؟^(١)

الحياء

والحياء خصلة ثانية من جنود العقل، ودوره هام في تحصين الإنسان وحفظه من الانزلاق والسقوط، وقد ينفق كثيراً أن الإنسان يندفع إلى ذنب من الذنوب، فلا يتمكّن العقل من صدّه عن ارتكاب الذنب، لولا أنه يستحي من الله تعالى، أو من الناس فيردعه الحياء عن اقتراف الذنب.

فالحياء - على كل المستويات - عصمة للإنسان بدرجات مختلفة، الحياء من الأهل والأقربين يحمل درجة من العصمة، والحياء من الناس البعيدين يحمل درجة أعلى، والحياء ممن يحلّه الإنسان ويحترمه يحمل درجة أعلى من العصمة، والحياء من الله تعالى يحمل أعلى درجات العصمة في حياة الإنسان، وإذا استطاع الإنسان أن يكرّس في نفسه الحياء من الله تعالى، ويستحضر حضور الله وحضور ملائكة الله الموكّلين به، فإن هذا الاحساس يعصمه من الذنوب والمعاصي والانزلاق وراء الشهوات بدرجات عالية جداً.

(١) ذم الهوى لابن الجوزي: ٢٧٧.

الحياء من الله تعالى :

وكيف يمكن أن بعضي الانسان الله تعالى وهو يستحضر في قلبه حضوره تعالى، ويشعر بأن الله تعالى يبصره وبسمعه، وأن ملائكة الله تعالى موكلون قريون منه لا يخفي عليهم من شأنه وأمره شيء إلا ما يخفيه الله تعالى؟ وقد روي عن رسول الله (ص) في وصيته لأبي ذر (رحمه الله) : «يا أباذر اسبح من الله، فأني والذي نفسي بيده لأظل حين أذهب إلى الغائط مضطجاً بثوبي استحي من الملائكة الذين معي»^١.

وهذه درجة عالية جداً من الحياء آتاهها الله تعالى رسوله (ص) فلما بنائها سائر الناس، فإذا تمكن الحياء من الله تعالى من نفس الانسان واستولى على مشاعر الانسان، فإن الحياء عندئذ يعصم الانسان عن الذنوب والمعاصي والاستسلام للاهواء والشهوات.

فإذا كان الحياء من الناس في حضورهم يحجز الانسان عن الكثير من الموبقات التي لا يرتدع عنها في خلواته، وفي غياب الناس، فإن الحياء من الله تعالى إذا تمكن منه، فسوف يحجزه عن المعاصي والذنوب التي يبغضها الله تعالى بدرجة أعلى بكثير، وفي الخلاء والملا على نحو سواء، لأن حضور الله تعالى في الخلاء والملا معاً، وإذا استطاع الانسان أن يخفي على الناس من أمره شيئاً، فإن الانسان لا يستطيع أن يخفي من أمره شيئاً على الله تعالى.

عن رسول الله (ص) : «استح من الله استحياءك من صالح جيرانك، فإن فيها زيادة البقية»^٢.

(١) بحار الأنوار ٧٧ : ٨٣، وكنز العمال : ٥٧٥١.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ٢٠٠.

وعن رسول الله (ص) : «ليسبح أحدكم من ملكيه الذين معه، كما يستحي من رجلين صالحين من جيرانه، وهما معه بالليل والنهار»^١.

وقد روي عن الامام الكاظم (ع) في الاستحياء من الله في السر والخلاء : «استحيوا من الله في سرائركم، كما تستحون من الناس في علانياتكم»^٢.

فالحياة من الله تعالى إذن يكسب الانسان درجة عالية وكاملة من العصمة، ويحفظ الانسان من السفوط، ويمنع الانسان في الخلاء والملا على نحو سواء، وقد تكرر ذكر هذا المعنى في النصوص الاسلامية.

عن علي (ع) : «الحياة يصدّ عن الفعل القبيح»^٣.

وعنه (ع) : «على قدر الحياة تكون العفة»^٤.

وعن رسول الله (ص) : «استحيوا من الله حق الحياء فليل يا رسول الله : ومن يستحي من الله حق الحياء ؟ فقال : من استحيى من الله حق الحياء فليكتب أجله بين عينيه، وليزهّد في الدنيا وزينتها، ويحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى»^٥.
وعن الامام موسى بن جعفر (ع) : «رحم الله من استحيى من الله حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى»^٦.

ومن خلال الرأس والبطن تطلّ جملة من شهوات الانسان على الحياة، فالحسين نافذة للشهوة، والسمع نافذة أخرى للشهوة، والبطن موقع للشهوة، والفرج موقع

(١) ميزان الحكمة ٢ : ٥٦٨.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ٣٠٩.

(٣) ميزان الحكمة ٢ : ٥٦٤.

(٤) نفس المصدر.

(٥) بحار الأنوار ٧٠ : ٢٠٥.

(٦) بحار الأنوار ٧٠ : ٢٠٥.

آخر للشهوة.

فإذا كان الانسان يستحي من الله تعالى فإن حياته من الله سوف يحفظ له الرأس وما حوى من نوافذ الشهوة، والبطن وما وصى من مواقع الشهوة.
وعنه (ع): «من أفضل الورع أن لا تبدي في خلواتك ما تستحي من إظهاره في علانيتك»^١.

الشكوى إلى الله من قلة الحياء :

وفي الادعية نلتقي كثيراً شكوى الامسان إلى الله تعالى عن نفسه لقلة الحياء من الله تعالى وهو من أرق المعاني في الأدعية، حيث يشتكي الانسان إلى الله تعالى من نفسه من قلة الحياء منه تعالى، فيكون الحاكم في هذه الشكوى هو الله تعالى، والمدعى الشاكي هو الانسان «الأنا» والمدعى عليه النفس الـ «هو»، ومادة الشكوى والدعوى هي «وقاحة النفس» الـ «هو» تجاه الله تعالى، والذي هو الحاكم في هذه الدعوى ... وبالنتيجة مضمون الدعوى شكوى الانسان من نفسه إلى الله لعدم استحيائه من الله تعالى، ففي دعاء أبي حمزة: «أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء، ولم أراقبك في الملاء، أنا صاحب الدواعي العظمى، أنا الذي علني سيده اجترئ ... أنا الذي سترت عليّ فما استحييت، وعملت بالمعاصي فتعذبت، واسقطتني من عينيك فما باليت»^٢.

وفي هذا السياق من شكوى الانسان من نفسه إلى الله تعالى في معصيته لله تعالى وتجاوزه لحدود الله، ورد في مناجاة الشاكين من كلمات الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع): «الهي أشكو إليك نفساً بالسوء أثاره، وإلى الخطيئة مبادرة،

(١) غرر الحكم للأمدى ٢ : ٢٥٣.

(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي

ويمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرّضة^١.

(١) الصحيفة السجادية، السجادة الثانية من المناجاة الخمس عشرة من كلام سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين (ع).

الفصل الثاني
من يؤثر
هواه على هوى الله

بعد هذه الجولة في ١- معنى الهوى

٢- أعراضه

٣- علاجه.

وهي الفقرة الأولى من هذا البحث، نبدأ بالتأمل في الفقرتين الثانية والثالثة، وهما فيمن يؤثر هواه على هوى الله، ومن يؤثر هوى الله على هواه. ولتبدأ بالفقرة الثانية فيمن يؤثر هواه على هوى الله.

وقد ورد في الحديث القدسي فيما يتعلق بهذه الفقرة :

عن رسول الله (ص) بقول الله تعالى : «وعزّتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري، وعلوّي، وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلاّ تسّت أمره، ولجست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم أوتّه منها إلاّ ما قدّرت له»^١.

(١) أخرجه ابن قهدة الحلبي في معجزة الداعي : ٧٩، والكليني في أصول الكافي ٢ : ٤٣٥، والمجلسي عنهما في البحار ٧٠ : ٧٨ حديث ١٤ و ٧٠ : ٨٥ - ٨٦، وقد أشرنا من قبل في مقدمة الكتاب إلى جملة من طرق هذا الحديث ومصادره.

وفي هذه الفقرة في الحديث القدسي نلفت النظر إلى نقاط ثلاث :

١- يعاقب الله تعالى هذه الطائفة ممن يؤثر هواءه على هوى الله تعالى بثلاث عقوبات :

أ - يشتت عليهم أمرهم.

ب - يلبس عليهم دنياهم.

ج - يشغل قلوبهم بالدنيا.

٢- وتسبق هذه العقوبات في الحديث الشريف إيمان شديدة مغلفة : «وعزتي، وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، ونوري، وحلوتي، وارتفاع مكاني، وهذه الأيمان والأقسام تكشف عن أهمية الموضوع الذي يعقب هذه الأيمان.

٣- وطريقة الأداء والتعبير في الحديث الشريف طريقة حاضرة وبالنفى والاثبات، «لا يؤثر عيد هواء... إلا شتت أمره» ومعنى هذا الحصر أن الإنسان إذا أثر هواءه على هوى الله تعالى فلا يمكن أن ينفلت عن قبضة العقوبات الإلهية الثلاث يحال من الاحوال. فلننظر - إذن - في هذه العقوبات الثلاث التي يشير إليها الحديث القدسي :

١- شتت أمره

وهذه هي العقوبة الاولى : «إلا شتت أمره» هؤلاء يعاقبهم الله تعالى، أول ما يعاقبهم يشتت أمرهم، فيسلبهم الثبات، والاستقرار، ووحدة السلوك، والمنطلق، والغاية، والموقف، والوسيلة، ويجعلهم في مهب الرياح، كالريشة، أو كالخشبنة التي تطفو على الماء ليس لها من موجه يوجهها إلى جهة واحدة.

فإن الناس على شاكلتين اثنتين :

١- النموذج المنسجم.

٢- النموذج القلق والمرتبك.

الشخصية المنسجمة

الشخصية المنسجمة نمط من الشخصية يقع تحت سلطان عامل واحد، بينما النموذج القلق والمرتبك والمتخبط من الشخصية هو النموذج الذي يتأرجح بين مجموعة مختلفة ومتعددة من العوامل، والحالة الأولى هي الحالة «التوحيدية» والحالة الثانية هي حالة «الشرك» في الإنسان، إن النموذج «التوحيدي» من الشخصيات يقع تحت سلطان إرادة الله تعالى وحكمه وتكليفه، ويخضع لجاذبية «مرضاة الله» فقط.

فالتكليف الإلهي يحكمه في سراء أو ضراء، ووجه الله ومرضاته هو غايته في الحياة لا ينغي غيرها، وهو محكوم لهذا التكليف، وخاضع لسلطانه، ومنجذب إلى هذه الغاية، ومن دفع إليها، والتكليف وحده والغاية بهذه الصورة هي التي تمنح شخصية الإنسان انسجاماً، ووحدته، حتى مع اختلاف الموقف السياسي والاجتماعي أحياناً، فقد ينقلب التكليف الشرعي السياسي للإنسان المسلم من موقف إلى موقف معاكس تماماً، من الحرب إلى السلم والصلح، ومن رفع السلاح إلى إلقاء السلاح، دون أن يستبطن ذلك تشبهاً وصراعاً واختلافاً داخل الشخصية، ودون أن يكون ذلك سبباً في انقلام الوحدة والانسجام الناتج من التوحيد في الشخصية، وهذه الحالة هي حالة «التوحيد العملي» في مقابل «التوحيد النظري»، وهذه الحالة من التوحيد هي انعكاس التوحيد النظري في سلوك الإنسان وحياته، وفي هذه الحالة من التوحيد العملي يخرج الإنسان من دائرة نفوذ كل سلطان في النفس وخارجها، من هوى وطاغوت، ويدخل في دائرة سلطان حكم الله

وتكليفه، فيكون حكم الله تعالى هو وحده الحاكم على سلوكه وتصرفاته، وهو الصبغة العامة التي تصبغ سلوكه وحياته، وهو مصداق لما روي عن رسول الله (ص): «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»^(١).

وحالة «الشرك» حالة معاكسة لهذه الحالة تماماً، ففي حالة الشرك يخرج الإنسان عن دائرة النفوذ الانحصاري لحكم الله تعالى، فتتوزع العوامل الكثيرة داخل النفس وخارجها من الأهواء والطاغوت، فإن الإنسان إذا خرج من حصن «التوحيد» توزعت عوامل الهوى والطاغوت، وأغرقت وشئت بناءً، وتعبير القرآن بهذا الصدد دقيق: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾^(٢) فالذين آمنوا ليس لهم إلا ولاء واحد، وارتباط واحد، وانتماء واحد، وأما الذين كفروا فتتوزعهم الولاءات والارتباطات والانتماءات المتعددة بصيغة الجمع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾.

أما النمط المتسجم من الناس فيحكمه فقط التكليف الشرعي، وبوجهه وجه الله ومرضاه ...

وهذه الشريحة من الناس تُقدِّم على تكليفها الشرعي من دون تردد، ولا تأمل، ولا خوف، ولا خجل، ولا حرج، ... فإن الخوف والخجل والتردد والحيرة والقلق من أمارات التآرجح والانشطار، على مجموعة من العوامل داخل النفس وخارجها، فإذا كان الإنسان محكوماً للعامل الواحد ومتجهاً لوجهه واحدة فلا يصيبه شيء من ذلك.

ومن الأمارات المميزة لهذه الشريحة من الناس: الثقة، والاطمئنان، والنبات،

(١) رواه الطبري في الجامع الكبير.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

والاستقرار في الرأي، والشجاعة، وراحة الضمير والنفس، وعدم الاستيحاش من الانفراد في الموقف، أو قلة الانتصار والمؤيدين، وكثرة المعارضين.

يقول أمير المؤمنين (ع) : « لا يزيدي كثرة الناس عزة، ولا تفرقهم حني وحشة^١. وهذه الخصال في هذه الشريحة من الناس لا تخص حالة اليسر والسراء فقط، وإنما تعم حالة السراء والضراء، واليسر والعسر، وفي حالة النصر أو حالة الانتكاس والهزيمة.

عمار بن ياسر :

ورحم الله عمار بن ياسر، كان مثلاً للشخصية المطمئنة الثابتة، والمنسجمة، وقد قاتل معاوية إلى جنب علي (ع) في صفين وهو في التسعينات من عمره، رابط الجأش، ثابتاً، يخوض لهوات الحرب، ولم يدخله شك أو ريب لحظة واحدة في أن علياً عليّ الحق وأن معاوية عليّ الباطل.

وكان يدعو الله تعالى في ساحة المعركة، في صفين بين يدي علي (ع) فيقول : «اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضيع ضبّة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم وإني أعلم مما علمتني أنني لا أعمل اليوم عملاً هو أرضي لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملاً أرضي لك منه لفعلت^٢.

وروي عن أسماء بن الحكم الفزاري قال : كنا بصفين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر، ارتفاع الضحى - استظلنا بيّرد احمر، اذ اقبل رجل

(١) نهج البلاغة : ٣٦.

(٢) صفين : نصر بن مزاحم : ٣١٩ - ٣٢٠ تحقيق الدكتور عبد السلام هارون.

يستقري الصحف حتى انتهت إلينا فقال : أفبكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر : هذا عمار قال : أبو اليفطان؟ قال : نعم، قال : إن لي حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سراً؟ قال : اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال : لا، بل علانية، قال : فأنطق، قال : إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه لا أشك في صلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليالي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم مناديتنا فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونادى بالصلاة، فتادى مناديتهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودهونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحداً، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال : هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت : لا، قال : فائقه فانظر ما يقول لك فاتبعه، فجئت لك، قال له عمار : هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي فانها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله (ص) ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن، أشهدت بدراً واحداً وحنينا أو شهدا لك أب فيخبرك عنها؟ قال : لا، قال : فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله (ص) يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته. والله لدمائهم جميعاً أحل من دم عصفورة أفترى دم عصفور حراماً؟ قال : لا، بل حلال، قال : فانهم كذلك حلال دماؤهم، أفترى بيتك لك؟ قال : قد بيت لي، قال : فاختر أي ذلك أحببت، قال : فانصرف الرجل ثم دعاه عمار بن ياسر فقال : أما إنهم سيخبروننا بأسيا فاهم حتى يوثاب المبطلون منكم فيقولون : لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقدري عين ذباب، والله لو ضربونا

بأسياهم حتى يبلغونا سمفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل، وأيم الله لا يكون سَلماً سَلماً أبداً حتى يبرء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا أكافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم، ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة، وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياءهم على الباطل^١.

الشخصية القلقة وغير المنسجمة

ويبدأ الصراع والانشطار والقلق في الشخصيات القلقة وغير المنسجمة أولاً بين العقل والهوى، فيعمل الهوى في انتزاع النفس من سلطان العقل وفرض سلطانه عليها، فتشطر النفس شطرين متصارعين.

ومعاناة الانسان وعذابه في هذه المرحلة من الصراع كبيرة، فإن للضمير والفطرة والعقل سلطاناً قوياً على شخصية الانسان، وتبقى هذه العوامل تقاوم نفوذ الهوى، داخل الشخصية، وتحاول أن تقوم شخصية الانسان وتعيدها إلى حالتها الاولى، الفطرية من الانسجام، وتحمل الانسان في هذه المرحلة من الصراع الداخلي الكثير من العذاب والمعاناة.

فإذا عجز العقل عن تقويم سلوك الانسان، وعجز الانسان عن تحمل معاناة الصراع الداخلي حاول أن يتهرب من وعيه، وهو الحل السلبي للمعاناة التي يلقاها الانسان، والحل الايجابي هو أن يستقيم ويستجيب لدعوة العقل والفطرة.

ولكن الانسان يضمف أمام سلطان الهوى فلا يستقيم، وعندئذ يلجأ إلى القرار من وعيه، ليسلم من عذاب الصراع ومعاناته، وه السكره والقماره والجريمة،

و«الجنس» ... هي العلاجيء التي يقر إليها الإنسان من وعيه وضميره.

ومن العجب أن يقر الإنسان من الهوى إلى «الهوى»، ومن الجريمة إلى الجريمة، ولو عكس الأمر وقر من الهوى إلى الله لسلم وارتاح ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^١.

ولكن الإنسان ضعيف أمام سلطان الهوى ما لم يلجأ إلى الله تعالى، وإنما يهرب الإنسان إلى «السكرة» و«الجنس» ... لينسى نفسه ومعاناته وعذابه، وليتخلص من نفسه، والقرآن الكريم يسمي الأمور باسمائها عند ما يقول ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^٢.

فإن الذين يهربون من وعيهم إلى «الخمر» و«اللهو الحرام» إنما يريدون أن ينسوا أنفسهم: وهذا هو فرار الإنسان من «الذكر» إلى «النسيان» وهو من أفبح الفرار وآخر قلعة تقاوم داخل الشخصية سلطان الهوى، وتحاول أن تحمي الإنسان من نفوذ الهوى والشيطان هو «الضمير»، فإذا سقط الضمير كان إيذاناً بسقوط القلعة الأخيرة للمقاومة داخل الشخصية، وهذه هي المرحلة الأولى من الصراع، وهي مرحلة معاناة وعذاب للإنسان، فإذا انتصر الهوى، وفرض سلطانه ونفذه على الإنسان ودخل الإنسان في حيز الهوى بصورة كاملة ... لم يسلم من الصراع الداخلي والانشطار النفسي، كما قد يتصور الإنسان، وإنما يدخل مرحلة جديدة من الصراع داخل النفس تتنازع فيها الأهواء، هذه المرة بصورة قوية وعنيفة، ويتأرجح الإنسان في دائرة الهوى بين الأهواء المتعددة والمتخالفة، والصراع النفسي في هذه المرحلة أشد من المرحلة الأولى، وعذاب الإنسان في الصراع في

(١) الذاريات: ٥٠.

(٢) الحشر: ١٩.

هذه المرحلة داخل دائرة الهوى لا يختلف عن عذابه ومعاناته في المرحلة الاولى من الصراع، إن لم يكن أشد وأقسى، والانسان في هذه المرحلة يعاني من عذاب الفلق والانشيت في الامر، كما كان يعاني في المرحلة الاولى، غير أن تشئت الانسان وانشطاره النفسي كان في المرحلة الاولى بين محوري العقل والهوى، وفي هذه المرحلة في دائرة الأهواء والشهوات، وكل هوى من هذه الأهواء الكثيرة في النفس يتطلب الاستجابة والاشباع فيقع الصراع هذه المرة بين الأهواء في داخل النفس.

ولنضرب لذلك بعض الامثلة :

١- قد يقع الانسان فريسة بين غريزة الانتقام والغضب، وغريزة حب الحياة والسلطان، فيتطلب منه حب السلطان والجاه المدارة والرفق بالمعارضين، وتدفعه غريزة الانتقام والغضب إلى الفتك باعدائه المعارضين له ... مع العلم أن الرفق والمدارة هنا ليست من الحلم الذي يعد من جنود العقل، وإنما هو من إبنار هوى على هوى.

٢- وقد يقع التضارب بين غريزة حب الجاه والسلطان والموقع الاجتماعي الذي يتطلب مستوى معيناً من اللياقات الاجتماعية، وسائر الغرائز التي ترفض هذه اللياقات الاجتماعية، كالغريزة الجنسية مثلاً، علماً بأن ضبط الغريزة الجنسية والتحكم بها لكسب هذه اللياقات والاعتبارات الاجتماعية ليست من العقبة في شيء، وإنما هي من إبنار هوى على هوى آخر، ويتفق كثيراً أن غريزة الجنس تغلب غريزة حب الجاه فتصبح الغريزة الجنسية مصدراً للفصاح الجنسية التي يتعرض لها الرؤساء بين حين وآخر.

٣- وقد يقع الانسان فريسة للصراع بين غريزة حب الجاه والسلطان وغريزة الخوف على النفس ... فتتطلب الغريزة الاولى الهجوم والفتك والمجازفة بينما

تتطلب الغريزة الثانية التريث والتحفظ والأخذ بالاحتياط، هذه أمثلة ثلاثة لصراع الأهواء والفرائض في داخل النفس، والتضارب والصراع من هذا القبيل أمر شائع في حياة الإنسان، في داخل نفسه، بين الأهواء والفرائض المختلفة والمتعددة، فتجاذب الأهواء والفرائض المختلفة داخل النفس الإنسانية باتجاهات متعاكسة ومتقابلة وتتوزع الإنسان أهواء متعاكسة من الخوف، والطمع، والحرص، وحب الجاه، والبخل، والحسد، وشهوة الجنس، والغضب، والانتقام، وحب المال وغير ذلك فينشطر الإنسان بين هذه الأهواء والفرائض المختلفة، ويستد عذابه، ومعاناته في هذا الصراع والقلق والارتباك والانشطار النفسي، يقول تعالى ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^١. وهذه هي حالة التشيت التي يشير إليها الحديث القدسي.

عذاب الإنسان في دائرة الهوى

وهذا التشيت بين الأهواء والفرائض هو أحد ألوان عذاب الإنسان ومعاناته عند ما يدخل الإنسان في دائرة الهوى ... والعذاب الآخر الذي يلقيه الإنسان في دائرة الهوى ليس من هذا القبيل، وإنما هو عذاب كامن في الهوى نفسه، ففي كل هوى من هذه الأهواء الكثيرة التي تجذب الإنسان عذاب يخضه، فإذا استسلم الإنسان لأي واحد من هذه الأهواء وجد هذا العذاب لا محالة، فالحرص، والطمع، والحسد، من الأهواء المتمكنة في النفس ... ولكل من هذه الأهواء لون من العذاب النفسي لا يتنجو من مُكِّم أمره له.

والى هذا العذاب النفسي الذي يلقيه الإنسان في دائرة الهوى يشير النص الذي

يرويه المفيد رحمه الله في «الارشاد»^(١) عن أمير المؤمنين (ع) وإليك هذا النص :
وما أعجب أمر الإنسان، إن سئح له الرجاء أذله الطمع، وإن حاج به الطمع أهلكه
الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن سعد نسي التحفظ، وإن ناله خوف
حيرته الحذر، وإن اتسع له الأمن أسلمته الغرة والغفلة، وإن أصابته مصيبة فضحه
الجزع، وإن افاد مالا أطفاه الغنى، وإن عطشته فاقة شمله البلاء، وإن جهده الجوع
فقد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظله البطنة . فكل تقصير به مضر، وكل إقراط
به مفسد، وكل خير معه شر، وكل شر له آفة.

فالرجاء يحطام الدنيا يُسلم الإنسان إلى ذل الطمع، والطمع يُسلم الإنسان إلى
هلاك الحرص، واليأس يُسلم الإنسان إلى الأسف، والخوف يُسلم الإنسان إلى
الحذر، وهكذا كل هوى يُسلمه إلى هوى آخر ثم إلى التهلكة.
الدنيا تمذب من يطلبها :

الهوى هو الوجه الأول لقضية عذاب الإنسان ومحنته وشقائه، والوجه الآخر
لعذاب الإنسان هو الدنيا، وذلك أن الدنيا محطة الهوى وغايته ومطلب الهوى
وموقع إشارة الهوى وتحريكه.

فإذا كان الله تعالى قد جعل عذاب الإنسان في اتباع الهوى، فإن هذا العذاب
يكون في طلب الدنيا لا محالة، فلا يمكن التفكيك بين اتباع الهوى وطلب الدنيا،
ولا يد من إضاح لهذه الحقيقة، وهي من أمتهات حقائق الفكر الإسلامي.

ليس في «الدنيا شر ولا عذاب، ولا في «ابتغاء الدنيا» بقدر ما يؤمن للإنسان
مقومات حركته ونموه وتكامله، والاسلام يقرّر هذه الحقيقة وتلك على نحو سواء،
يقرر أن الدنيا خير ليس فيها شر، ويقرر مشروعية السعي في الدنيا وابتغاء الرزق

(١) ارشاد المفيد : ١٥٩ ط / التعجب الأشراف.

فيها، فإن الدنيا في نظر الاسلام ومتجر أولياء الله، ومسجد أحبّاء الله^١ فلا يمكن أن تكون الدنيا شرّاً ولا عذاباً للإنسان.

والسعي في هذه الدنيا وابتغاؤها أمر مشروع أقّره الله تعالى. يقول تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^٢ فإذا كان هذا وذاك خيراً فأين يكون موقع الشر في الدنيا، وأين يكون عذاب الإنسان في الدنيا؟ إن الدنيا خير والسعي في الدنيا وابتغاء الدنيا خير، إذا كانت الدنيا طريقاً إلى الله ورضوانه وجسراً إلى مرضاته، وكانت وجهة الإنسان إلى الله عبر الدنيا ... أما إذا تحولت وجهة حركة الإنسان وغايته من الله تعالى ومرضاته إلى الدنيا، وتحولت الدنيا إلى «غاية» يطلبها الإنسان، بعد أن كانت طريقاً إلى الله تعالى، فذلك هو التي يسمتها الاسلام، ويعتبرها شرّاً، وهي التي جعلها الله تعالى عذاباً للإنسان، ذلك أن الدنيا عند ما تتحول في نفس الإنسان من جسر يمر عليه الإنسان إلى الله تعالى ... إلى غاية يطلبها دون الله تعالى ... ينحرف الإنسان من الله إلى الدنيا، وتتحوّل وجهة الإنسان منه تعالى إلى هذا الحطام الزائل من حطام الدنيا. وإذا انحرف الإنسان من الله تعالى إلى الدنيا أصبح كل جهد الإنسان وعمله وسعيه باطلاً، وتعطل نموّه وتكامله بصورة مطلقة، وأخذ بالانتكاس والسقوط والخضوع ... وهذا هو القدر المشترك من عاقبة الإنسان في حال الانحراف عن الله تعالى وتختلف درجة سقوط الإنسان وهلاكه بمقدار زاوية انحرافه عن الله تعالى، فكما يكون الانحراف أكثر كان سقوط الإنسان أشد.

وقد يبلغ الانحراف في الإنسان عن الله تعالى حدّاً يتحرك في الاتجاه المعاكس

(١) نهج البلاغة، الحكمة : ١٢١.

(٢) الجمعة : ١٠.

لله تعالى فيكون ممن يأذن بحرب الله تعالى ويعادي الله ورسوله.
ومهما يكن من أمر فإن الدنيا إذا تحولت في نفس الانسان من «طريق إلى الله»
إلى غاية يطلبها الانسان ويسعى إليها، تحولت هذه الدنيا إلى عذاب وعناء في
حياة الانسان.

وهذا هو الفرق بين دنيا تطلب الانسان ودنيا يطلبها الانسان، فإذا كانت الدنيا
تطلب الانسان خدمته في الحركة إلى الله، وإذا كان هو يطلبها، وليس وجه الله
كانت الدنيا عقبة في طريقه إلى الله وليست طريقاً، وكانت الدنيا شرّاً له وعذاباً.
عن رسول الله (ص): «لما خلق الله الدنيا أمرها بطاعة وبها، فقال لها خاتمي من
طَلَّتْكِ ووافقي من خالفك، فهي على ما عهد إليها الله وطبعها عليه^١. والرواية
تحدثنا بلغة الرمز أن الله تعالى جعل هذه الدنيا عذاباً لمن أطاعها وجعلها غاية في
حركته، وراحة لمن طلب الله تعالى ولم يجعل الدنيا غاية ووجهة له «وخالفها في
ذلك».

وعن رسول الله (ص) أيضاً: «أوحى الله إلى الدنيا: اخدمي من خدمني،
واتعبي من خدمك»^٢.

واللغة في هذه الرواية هي نفس اللغة في الرواية السابقة، لغة الرمز، والرواية
تقرر: أن الدنيا مخلوقة لخدمة الانسان إذا كانت غاية الانسان هي الله تعالى، فإذا
تحول الانسان من هذه الغاية إلى الدنيا وأصبحت الدنيا غاية له كان عليه أن يخدم
الدنيا وفي خدمة الدنيا عناء وعذاب.

وعن رسول الله (ص) أيضاً: «إن الله جل جلاله أوحى (إلى) الدنيا أن تعبي

(١) بحار الانوار ٧٠: ٢١٥.

(٢) بحار الانوار ٧٨: ٢٠٣.

من خدمك واخدمني من رفضك^١.

والرواية بنفس اللغة والمضمون وأكثر صراحة من سابقتها في هذا المضمون لمن يحسن فهم هذه اللغة الرمزية للمعارف الاسلامية.

وعن عليّ (ع) : «من خدم الدنيا استخدمته، ومن خدم الله خدمه»^٢.
وأوحى الله تعالى إلى موسى (ع) : «ما من خلقي أحد عظمها فموت حينه، ولم يحقرها أحد إلا انتزع بها»^٣.

والروايات بهذا المضمون وقريب منه كثيرة، وهي تقرر غير واضحة لمن لا يفهم اللغة التي يستخدمها الاسلام في تبیین وطرح السنن الإلهية في الكون.
أما الذين يحسنون فهم هذه اللغة فيعرفون أن العذاب الذي نُحدثنا به هذه الروايات هو عذاب الانسان عند ما ينحرف عن الله إلى الدنيا، وتحول وجهته إليها، فتكون الدنيا عندئذٍ عذاباً له، أما إذا كانت وجهته وغايته هي الله وكانت الدنيا لديه جسراً إلى الله تعالى يسرع عليها الانسان إلى الله ويشتفي فيها الرزق، فإن الدنيا تنفعه وتخدمه، ولا تضره ولا تعذبه.

صورة أخرى من عذاب الانسان عند اتباع الهوى :

استعرضنا فيما سبق صورة واحدة من عذاب الانسان في اتباع الهوى وطلب الدنيا وهو «تشّتت أمر الانسان» والانشطار والانقسام والتضارب بين الاهواء في داخل نفسه.

وهناك صورة أخرى من العذاب يلقاها الانسان عند ما ينحرف عن الله تعالى

(١) بحار الأنوار ٧٣ : ١٢١.

(٢) غرر الحكم للأمدني ٢ : ٢٣٧.

(٣) أي الدنيا.

(٤) بحار الأنوار ٧٣ : ١٢١.

إلى الدنيا ويتبع هواه، وهو عذاب النهم والجشع، فإن الإنسان حينما يتحول همه ووجهته من الله تعالى إلى الدنيا لا يشبعه شيء من الدنيا، ولا ينتهي نهمه وحاجته من الدنيا، أثبت عليه أم شكت وأعرضت عنه ... وهي حالة نفسية وكيفية، ولا علاقة لها بالكم، وقد يزداد حرصاً وجشعاً، كلما ازداد حفظه من متاع هذه الدنيا، فيظل الإنسان يلهث وراء الدنيا باستمرار دون أن يرتوي منها، ويتخلص من حالة القلماً الدائمة التي يعاني منها.

الدنيا تشبه ظل الإنسان :

ولعل من أروع الامثلة التي تذكر للدنيا ولطلب الإنسان لها، عند ما تتحول إلى غاية وقيلة، يطلبها الإنسان في حياته، ما ورد في بعض النصوص عن علي (ع) : (مثل الدنيا كظلّك، إنّ وقتك وقفت، وإنّ طلبته تَعُدُّ). وهذه كلمة بليغة في التعبير عن طبيعة علاقة الإنسان بالدنيا، وعلاقة الدنيا بالإنسان، فإن الإنسان لا يتال من الدنيا حظاً أكثر، إذا ألحّ في طلبها، ولا يزيد نصيبه منها إذا تهالك عليها، وهي تشبه ظل الإنسان كلما ركض الإنسان خلفه شرد وهو من أمامه، وكأنه يُشَرِّده بمتابعته وطلبه له، فلا يزداد من الركض وراءه، إلّا تعباً وعناء ... وكذلك الدنيا.

فخير الأساليب في طلبها أن يُجْمَلَ الإنسان في الطلب ولا يتهالك على الدنيا، فإن التهاك على الدنيا لا يزيد حظ الإنسان منها، وإنما يزيد من عنائه وعذابه فقط.

نماذج من النصوص في عذاب الإنسان :

وفيما يلي نستعرض بعض النماذج من النصوص الإسلامية، في عذاب الإنسان عند ما يتبع الهوى، وتتحوّل الدنيا في حياته إلى غاية يسعى إليها.

عن رسول الله (ص) : «ما سكن حب الدنيا غلباً إلا التايط بثلاث : شغل لا ينفذ
هناؤه، وفقراً لا يدرك غناه، وأمل لا ينال مناه»^١.

والنفر هنا لبس حالة كمية، فقد يكون الانسان فقيراً، وقد يكون ميسور الحال.
يملك الكثير، ومع ذلك يركض بنهم وراء متاع الدنيا، وقد يكون غنياً في نفسه،
وهو لا يملك من الدنيا إلا القليل.

وعن رسول الله (ص) : «من أصبح والدنيا أكبر همه، فليس من الله في شيء»،
والزومه قلبه أربع خصال : همّاً لا ينقطع أبداً، وشغلاً لا يتفرج عنه أبداً، وفقراً لا يبلغ
هناه أبداً، وأمللاً لا يبلغ منهائه أبداً»^٢.

وعن علي (ع) : «من لهج قلبه بحب الدنيا التايط قلبه منها بثلاث : همٌّ لا يقنيه،
ومرض لا يتركه، وأمل لا يدركه»^٣.

وعن علي (ع) ايضاً : «من كانت الدنيا أكبر همه، طال شقاؤه وزممه»^٤.
وعنه (ع) : «من كانت الدنيا همته، اشتدت حسوته عند فراقها»^٥.
وعنه (ع) ايضاً : «المتعممون من الدنيا تيكبي قلوبهم وإن فرحوا، وبشند مقتهم
لاتفسهم وإن اغتبطوا ببعض ما رزقوا»^٦.

وعن الصادق (ع) : «من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق قلبه بثلاث خصال : هم لا يقني،

(١) بحار الأنوار ٧٧ : ١٨٨.

(٢) ميزان الحكمة ٣ : ٢١٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩ : ٥٢، وبحار الأنوار ٧٢ : ١٣٠.

(٤) بحار الأنوار ٧٢ : ٨١.

(٥) بحار الأنوار ٧٦ : ١٨١.

(٦) بحار الأنوار ٧٨ : ٢١.

وَأُمِّلْ لَا يَدْرُكُ، وَرَجَاءٌ لَا يَمُنُّ^١.

وهذه الأكوَان من العذاب، هي بعض ما يلقاه الإنسان من العقوبة في الدنيا، على أتباع الهوى وبعض ما جعل الله تعالى لأتباع الهوى من عقوبة، في الدنيا قبل الآخرة، فإن الخوف والقلق الذي يجده أصحاب المال والسلطان على أموالهم وسلطانهم من القريب والبعيد، هي بعض ما يناله أولئك الذين اتَّخذوا المال والسلطان وجهتهم وغايتهم في الحياة من العقوبة القريبة في الدنيا.

تَشَّتْ الْإِنْسَانُ فِي الْآخِرَةِ :

نعود مرةً أخرى إلى حديث تَشَّتْ الْإِنْسَانُ، ولكن هذه المرة من الآخرة بعد الدنيا، وكما يتشَّتْ أمر الإنسان عند ما يتبع هواه في الدنيا، كذلك في الآخرة. وأول هذا التشَّتيت ما يكون بين أتباع الهوى أنفسهم، حيث كانت أجسادهم مجتمعة في الدنيا، ونفوسهم وأهواؤهم مختلفة، رغم اجتماع أجسادهم، فيبرز في الآخرة هذا الاختلاف الذي كانوا يخفونه في أنفسهم على السطح. يقول تعالى عن حال الكفار والمنافقين في جهنم : ﴿كَلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا^٢﴾.

والصورة الأخرى للصراع والاختلاف هي غضب الإنسان على جلده، ويده، ورجله، عند ما تشهد على ما ارتكبه من الجرائم في الدنيا، وهو يريد أن يخفيها عن الله، فتفضحه رجله، ويده، وجلده فيقول لها : ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ^٣﴾. وقد ورد في النصوص الإسلامية : أن

(١) يسار الأنوار ٧٣ : ٢٤.

(٢) الأعراف : ٢٨.

(٣) فصلات : ٤٦.

١٢٤ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الذي يعصي الله تعالى، ويتبع هواه في الدنيا يبرء بعضه عن بعضه في الآخرة،
ويلمن بعضه بعضاً، وهي صورة مطابقة لما عليه الإنسان في الدنيا عند ما يتبع
هواه.

عن رسول الله (ص): «كُفَّ أذاك عن نفسك، ولا تتابع هواها في معصية الله، إذ
تخاصمك يوم القيامة، فيلغى بعضك بعضاً، إلا أن يغفر الله ويستبرح رحمته»^١.

٢- لَبَّسَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ

ظاهر الدنيا وباطنها

وهذه هي العقوبة الثانية لمن أتبع الهوى؛ ومعنى تلبس الدنيا هو إبراز الدنيا
وإظهارها بظاهر مغرٍ ليس هو بحقيقة الدنيا، وهذا الظاهر هو مصدر إغراء الدنيا
للإنسان، واغترار الإنسان بها، وهذا الذي يغري الإنسان من الدنيا هو السطح
الظاهر منها، وهو أمر زائل سريع الزوال، أما عمق الدنيا وباطنها فهو مصدر العبرة
والليظة والزهد في الدنيا.

أما أصحاب البصيرة الذين آتاهم الله تعالى بصيرة نافذة فتخترق بصائرهم هذا
القشر القوي الزائل، وتنفذ إلى باطن الدنيا وعمقها، فيزهدون فيها، وتكون لهم
مصدر عظة وعبرة، وأما الذين أضاعوا ما رزقهم الله من بصيرة، فلا يرون من الحياة
الدنيا إلا هذا السطح الظاهر، ولا تنفذ أبصارهم إلى ما وراء هذا السطح من باطن
الدنيا، فتتعلق قلوبهم بها، وتخدعهم وتغريهم.

إذن للدنيا ظاهر وباطن، والناس على طائفتين: من لا ينفذ بصره إلى أكثر من

(١) المحجة البيضاء، للفيض الكاشاني ٥ : ١١١.

ظاهر الحياة الدنيا، ومن يخترق ببصيرته ظاهر الدنيا إلى باطنها، وإلى هذا التقسيم يشير القرآن الكريم : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^١

أما الذين آتاهم الله بصيرةً ووعياً، فلا يلتبس عليهم ظاهر الدنيا بباطنها، والقشر باللب، فإذا غضب الله تعالى على الإنسان سلبه بصيرته، ولتس عليه الظاهر بالباطن، فلا يميز بين القشر واللب، والظاهر من الباطن، ويحسب القشر لباً، والظاهر باطناً، فيختره ظاهر الدنيا ويفتر بها، ويرى الدنيا من خلال هذا الظاهر زينة مغرية، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ لَبِثْنَا لَكَ دُنْيَاكَ كَفَرًا﴾^٢، فإن الدنيا إنما تزينت لهم، لأنهم لا يرون منها إلا هذا الظاهر المغري، ولو كانوا يرون من هذه الدنيا باطنها لما تزينت لهم.

ونتحدث فيما يلي عن وجهي الحياة الدنيا :

أ - الوجه الباطن للدنيا.

ب - الوجه الظاهر للدنيا.

أ - الوجه الباطن للدنيا

وهذا الوجه، كما ذكرنا، لا يبصره إلا أصحاب البصائر من الناس، وهو مصدر عظة وعبرة وليس مصدر إغراء، والقرآن الكريم يصف هذا الوجه من الدنيا وصفاً دقيقاً.

وفيما يلي نذكر بعض هذا الوصف الذي يصف به القرآن هذا الوجه من الدنيا :

(١) الروم : ٧.

(٢) البقرة : ٢١٢.

١- الدنيا متاع : يقول تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾^١ . والمتاع هو اللذة المؤقتة في مقابل لذات الآخرة وطيباتها الدائمة والباقية، يقول تعالى : ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾^٢ .

٢- الدنيا عرض : يقول تعالى : ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾^٣ .

وقال تعالى : ﴿يتبغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾^٤ .

وقال تعالى : ﴿ياخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾^٥ .

والعرض هو الحالة الزائلة، سريعة الزوال، ولذات الدنيا زائلة، سريعة الزوال، ولا تدوم لأحد، ومع ذلك فهي مغرية شديدة الاعراء، وفي الدنيا صفتان : أحدهما ترغد الانسان في الدنيا، والاخرى تغري الانسان بها.

أما التي ترغد الانسان في الدنيا، فهي أنها «عرض» زائل، سريع الزوال، وأما التي تغري الانسان بالدنيا وترغبه فيها فهي أنها قريبة التناول، دانية، وعاجلة.

والناس يحبون العاجلة، ويؤثرون المتعة المؤقتة الحاضرة على اللذة الباقية الآجلة. يقول تعالى : ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفرأ قاصداً لاتبعوك﴾^٦ ، فإن الانسان - بطبيعته عجول - وهذه العجلة في اقتطاف الثمرة الدانية والقريبة، والعرض التقريب الداني، وهذا الاستعجال في اقتطاف العرض السريع يحرمهم من اللذة الباقية في الجنة.

(١) الرعد : ٨٦

(٢) انشعاب : ٣٨

(٣) الانفال : ٦٧

(٤) انشعاب : ٩٣

(٥) الاعراف : ١٦٩

(٦) النوبة : ٤٢

- ٣- والدنيا «دار الغرور» : يقول تعالى : ﴿فَلَا تَفْرَحُوا بِالدُّنْيَا وَلَا تَحْزَنُوا بِهَا﴾^١ والغرور هو كلما يفرّ الإنسان من ماله، ورجاءه، وسلطان، وشهرة، وبخدهه ويلهيه، وكذلك الدنيا تلهي الإنسان، وتشغله، وتتخلّى عنه فجأة.
- ٤- والدنيا «متاع الغرور» : وهو تركيب من معنيين يذكرهما القرآن للدنيا : «المتاع» و«الغرور» على انفراد حيناً، ومجموعة حيناً آخر، يقول تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^٢ ومصدر هذا الغرور هو هذا المتاع المؤقت الزائل.
- المقابلة بين الدنيا والآخرة :

بمراجعة ثانية للقرآن الكريم نستطيع أن نقوم بمقابلة ومقارنة بين الدنيا والآخرة في الأوصاف التي يذكرها القرآن للوجه الظاهر من الدنيا، وقد قلنا من قبل : إن القرآن يعتبر الدنيا عرضاً زائلاً، سريع الزوال، ومتاعاً مؤقتاً لا يدوم لآحد، وأما الآخرة فهي دار القرار والاستقرار، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^٣ والدنيا لهو ولعب، وأما الآخرة فهي دار الحيوان، وهي الحياة الحقيقية، وليست حياة اللهو واللعب، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^٤.

الدنيا في كلمات الامام عليه السلام :

والامام أمير المؤمنين علي (ع) يعرّف الدنيا في كلماته، تعرية كاملة، ويكشف عن وجهها الذي يغري الناس وبخدهم، ويصّر الناس بباطن الدنيا وحقيقتها وواقعها، وكلمات الامام غنية بهذا الوعي، وفيما يلي نستعرض بعض النماذج من

(١) لقمان : ٣٢، وفاطر : ٥.

(٢) آل عمران : ١٨٥، والحديد : ٢٠.

(٣) المؤمن : ٣٩.

(٤) المنكروت : ٦٤.

كلام الامام (ع) في الدنيا :

يقول (ع) : «والله ما دنياكم عندي إلا كسفر على منهل حلو، إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا، ولا لذاذاتها في عيني إلا كحميم أشربه غساقا، وحلقم أتجرع به رُحاقا، ويسم أفعاء دهاقا، وفلاذة من نار»^١.

إن الذي يراه الناس في هذه الدنيا هو الحلول على منهل مترع وسفر على منهل حلو^٢، وهذا هو الوجه الظاهر من الدنيا، الذي يتنافس ويتصارع عليه الناس، والذي يراه علي (ع) من هذه الدنيا هو سرعة الايذان بالرحيل، وهو الوجه الباطن للدنيا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا.

وعند ذلك تكون «لذاذات» الدنيا التي يتسابق عليها الناس عند علي (ع) حميماً غساقاً، وسم أفعاء دهاقاً.

ويقول ضرار بن حمزة الشيباني رحمه الله لمعاوية بن أبي سفيان، وقد طلب منه أن يصف علياً (ع) : «ولقد رأيته، في بعض موافقه، وقد أرعن الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تملل السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول : يا دنيا إليك حني، أهي تمزعت؟ أم إلي تمزعت؟ هيهات! غري خيري لا حاجة لي فبك، قد طأمتك ثلاثاً، لا رجعة فيها : فميشك قصير، وخطرك كبير، وأملك حقير، آه من قلة الزاد، وطول الطريق»^٣.

وهذه حقائق ثلاث عن باطن الدنيا، يكشفها الامام (ع) ويعزيها للمفترين بالدنيا : «فميشك قصير، وخطرك كبير، وأملك حقير».

(١) بحار الأنوار ٧٧ : ٣٥٢.

(٢) السفر : المسافرون.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة : ٧٧ وبحار الأنوار ٧٣ : ١٢٩.

ويقول (ع) : «ألا وإن الدنيا دار غرارة، خداعة، تنكح في كل يوم بعلًا، وتقتل في كل ليلة أهلاً، وتفرق في كل ساعة شملًا»^١.

ويقول (ع) : «إن أقبلت غررت، وإن أدبرت خسرت»^٢.

ويقول (ع) : «الدنيا غرور حائل، وسراب زائل، وسناد مائل»^٣.

ويقول (ع) في وصف الدنيا وظاهرها وباطنها : «مثل الدنيا مثل الحية متهمة لئن، وفي جوفها السم القاتل، يحذرها الرجال ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم»^٤.

وفي هذه الكلمة يضع الإمام (ع) التقاط على الحروف، ويميز بين وجهي الدنيا : الظاهر والباطن، فظاهرها لئن معز، كما هو ظاهر الحية التي يلين مسها، وباطنها الغرور والزوال كما تحمل الحية في جوفها السم القاتل.

والناس تجاه الدنيا على طائفتين، أما ذوو العقول والبصائر منهم فيتعاملون معها بحذره، كما يتعامل ذوو العقول مع الحية الملساء اللينة، وأما غيرهم من الناس فيخدعهم ظاهرها، كما يخدع الاطفال الظاهر اللين الناعم للحية السامة.

وفي خطبة له (ع) : «دار بالبلاء محفوفة، وبالفدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزالها. أحوال مختلفة، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم، والامان منها معدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بهامها، وتفنيهم بجمامها. واعلموا - عباد الله - أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم، ممن كان أطول منكم أعماراً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، أصبحت أصواتهم

(١) بحار الانوار ٧٧ : ٣٧٤.

(٢) بحار الانوار ٧٨ : ٢٣.

(٣) غرر الحكم للأصفهاني ١ : ١٠٩.

(٤) بحار الانوار ٧٨ : ٣١١.

١٣٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

هامة، ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم هافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة، والبنمازق الممهدة : الصخور والاحجار المستدة، والقبور اللاطئة المتخذة، التي قد بُني على الخراب فناؤها، وشُيد بالتراب بناؤها، فمحلها مفترب، وساكنها مفترب، بين أهل محلة موحشين، وأهل فراخ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكلة البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى؟ وكأنَّ قد صرتم إلى ما صاروا إليه، وارتهنكم ذلك المضجع، وضئكم ذلك المستودع، فيكف بكم لو تناهت بكم الامور، وبعثرت القبور؟ ﴿هتاك تبلوا كل نفس ما أسلفت وودوا إلى الله مولاكم الحق وصل عنهم ما كانوا يفترون﴾^١.

وروى الشريف الرضي في «نهج البلاغة» : أن أمير المؤمنين (ع) قال لشريح بن الحارث : «بلغني أنك ابتعت داراً بشمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً، وأشهدت فيه شهوداً؟» فقال له شريح : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، قال : فنظر إليه نظر مغضب ثم قال له : يا شريح، أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر - يا شريح - لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة! أما إنك لو كنت اتبنتني عند شرائك ما اشتريت لكنت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدركم فما فوق، والنسخة هذه :

هذا ما اشتري عبد ذليل، من ميت قد أزعج للرحيل، اشتري منه داراً من دار

(١) نهج البلاغة، الخطبة : ٢٢٦.

الغرور من جانب الفنانين، وخطة الهالكين، وتجمع هذه الدار حدود أربعة : الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردي، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي، وفيه يشرح باب هذا الدار!!

اشترى هذا المشتري بالامل، من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار بالخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضرعة، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك فعلى ميليل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراعة، مثل كسرى وقيصر، وتبع وجمته، ومن جمع المال على المال فأكثر، ومن بنى وشيد، وزخرف ونجد، وأذخر واعتقد، ونظر بزعمه للولد، اشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب، وموضع الثواب والعقاب، إذا وقع الأمر بفصل القضاء، ﴿وغسر مثلك المبطلون﴾ شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، وسلم من علائق الدنيا^١.

ويقول (ع) أيضاً في وصف الدنيا: «فإن الدنيا زنى مشربها، ريح مشرعها، يوتق منظرها، ويوتق مخبرها، غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل، وسناد هائل، حتى إذا أنس نافرها، واطمأن ناكرها، قمت بأرجلها، وقصت بأحبلها، واقصدت بأشهبها، وأعلقت المرأة أوهاق المنية، قائدة له إلى ضللك المضجع، ووحشة المرجع، ومعاناة المحل، وغواب العمل، وكذلك الخلف بعقب السلف : لا تقطع المنية اختراماً، ولا يرعوي الباؤون اجتراماً، يحتدون مثلاً، ويمضون رسالاً، إلى غاية الانتهاء، وصير الفناء»^٢.

(١) نهج البلاغة، الكتاب الثالث.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

ويقول (ع) أيضاً: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاته، ومن قعد عنها وافته، ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته»^١.

ومن كتاب له (ع) إلى سلمان الفارسي «رحمه الله» قبل أيام خلافته: «أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحبة، لين مسها قاتل سمها، فأعرض عما يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها وتصرّف حالاتها، وكن آتس ما تكون بها أحذر ما تكون منها، فإنّ صاحبها كلما اطمأنّ فيها إلى سرور اشغّفه عنه إلى محذور، أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إيحاش، والسلام»^٢.

ويقول (ع) أيضاً في وصف الدنيا: «ألا وإنّ الدنيا قد تصرّمت، وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها، وأدبرت خدّها، فهي تحفّر بالفناء سكّانها، وتحدو بالموت جيوائها، وقد أمرّ منها ما كان حلواً، وكثير منها ما كان صفوّاً، فلم يبق منها إلاّ سلمة كسلمة الأدوات، أو جُرعة كجرعة المُقْلَة، لو تمزّرها الصّديان لم يتقع، فأزيموا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال، ولا يغلبكم فيها الأمل، ولا يطوّركن عليكم فيها الأمد»^٣.

ويقول (ع): «أما بعد فالنيّ أحذركم الدنيا فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، ونحبت بالمعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلّت بالأمال، وتزيّنت بالغرور، لا ندوم حبرتها، ولا تؤمن قمعنتها، غزارة ضوارة، حائلة زائلة، نافذة باقّة، أكالة، خوالة، لا تعدو إذا تناعت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضاء بها أن تكون كما قال الله تعالى:

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٢.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة: ٦٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٢.

وَكَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَيْعًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا^١ لَمْ يَكُنْ أَمْرُهَا فِي حَبِيرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بِعَدَاةٍ غَيْرَةٍ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سِرَّانِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تُطْلِكْ فِيهَا ذُبَابٌ رِجَاءٌ إِلَّا هَتَّتْ عَلَيْهِ مُرَّةً بَلَاءً، وَحَرِي إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تَمْسِيَ لَهُ مُشْتَكِرَةٌ، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا إِعْدُوذٌ وَذُبُّوا حُلُولُ أَمْرٍ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى، لَا يَبَالُ أَمْرُ مَنْ غَضَارَتْهَا رَغْبًا إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ تَوَاتِبِهَا تَعَبًا، وَلَا يَمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ، غَرَارَةٌ غُرُورًا فِيهَا، قَانِيَةٌ فَإِنْ مِنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّفَوُّيُّ، مَنْ أَقْبَلَ مِنْهَا اسْتَكْتَرَ مِمَّا يَوْفَقُهُ، وَمَنْ اسْتَكْتَرَ مِنْهَا اسْتَكْتَرَ مِمَّا يُوْبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ، كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ أَلِيهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أَكْبَهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا، سُلْطَانُهَا دَوْلٌ، وَعَيْشُهَا رِزْقٌ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُوهَا ضَبْرٌ، وَغَذَاؤُهَا سَمَامٌ، وَأَسَابِيهَا بِرَامٌ، حَتَّىهَا بِعَرَضٍ مَوْتٌ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضٍ سُقْمٌ، مَلَكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعِزُّهَا مَفْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنَكُوبٌ، وَجَارُهَا مُحْرُوبٌ.

الْأَسْتِمُ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ فَلْيَكُم أَطْوَلُ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى أَثَارًا، وَأَبْعَدُ أَمَلًا، وَأَعْدُّ عَدِيدًا، وَأَكْنَفُ جُنُودًا، تَعَبُدُوا لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبُدْ، وَأَثَرُهَا أَيْ إِثَارُ، ثُمَّ طَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ؟ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا يَفْدِيَةً، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صَحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وَأَوْهَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعَفَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَغَفَّرَتْهُمْ بِالْمَخَاوِرِ وَوَطَّنَتْهُمْ بِالْمُنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمُتَوَنِّينِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَتَكَبَّرُهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَأَثَرُهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا حِينَ طَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ، وَهَلْ زَوَّدْتُمْ إِلَّا السَّفْبَ، أَوْ أَحْلَيْتُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ تَوَرَّتْ إِلَّا الظُّلْمَةُ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةُ؟ أَنَهْذِهِ تَوَثَّرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَتِنُونَ، أَمْ عَلَيْهَا

نحرصون؟

فينست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها، فاعلموا - وأنتم تعلمون - بأنكم تاركوها وضاعون عنها، واتعضوا فيها بالذين قالوا: «من أشد منا قوة» حُمِلوا إلى فيورهم فلا يُدْعون ركبانا، وأنزلوا الاجداث فلا يدعون صيفانا، وجُمِل لهم من الصفيح أجنات، ومن التراب أكفان، ومن الرفاة جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون صبيماً، ولا يبالون مندبة، إن جبدوا لم يفرحوا، وإن فُحطوا لم يَظْطروا، جميع وهم آحاد، مندانون لا يتزاورون، وقريون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد مانت أحقادهم، لا يُخشى فجئهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، فجاؤوها كما فارقوها، حفاة عراء، قد طعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال سبحانه :

﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾^١.

ويقول (ع) أيضاً: «وأحذركم الدنيا فإنها منزل قلعة، وليست بدار نجمة، قد تزينت بفرورها، وحرّت بزيتها، دار هانت على ربها، فخالط حلالها بحرامها، وخيورها بشورها، وحياتها بموتها، وحلواها بمزها، لم يصفها الله تعالى لاوليائه، ولم يقص بها على أعدائه، خيرها زهيد وشرها غنيذ، وجمعها ينفذ، وملكها يُسلب، وعامرها يغرب، فما خير دار تُنقض نقض البناء، وعمر يفتن فيها فناء الزاد، ومدة تنقطع انقطاع السير! اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم واسألوه من أداء حقه ما سألكم»^٢.

(١) الحطبة ١١١ من نهج البلاغة، والآية من سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٢) الحطبة ١١٢ من نهج البلاغة.

ويقول (ع) أيضاً في وصف الدنيا : «... عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والميلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، وأموا علماً فكأنهم قد بلغوه، وكم حسنى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها؟ وما حسنى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه، وطالب حثيث من الموت يحذوه، ومزعج في الدنيا حتى يفارقها رغماً؟ فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تمجبوا بزينتها ونعيمها، ولا تنزعوا من ضرأتها وبؤسها، فإن عزها وفخرها إلى انقطاع، وإن زينتها ونعيمها إلى زوال، وضرأتها وبؤسها إلى نفاذ، وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حي فيها إلى فناء. أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر؟ وفي آياتكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون؟! أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون؟ وإلى الخلف الباقين لا يبقون؟ أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى: فميت يبكي، وآخر يُعزى، و صريع مُبلى، و عائد يعود، وآخر بنفسه يجود، و طائب للدنيا والموت يظليه، و غافل وليس بمغفل عنه، و على أثر الماضي ما يمضي الباقي؟! ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنقّص الشهوات، وقاطع الأمنيات، عند المساورة للأعمال القبيحة، واستعينوا الله على أداء واجب حقه، وما لا يحصى من إعداد نعمه وإحسانه^١.

وهذا هو الوجه الاول للحياة الدنيا، وإثما أطلنا في استعراض النصوص الاسلامية في وصف هذا الوجه من وجهي الدنيا، لأن الناس في الاغلب يفتنون عند ظاهر الحياة الدنيا عن باطنها، ولا تخرق أبصارهم ظاهر الدنيا إلى باطنها، وعسى أن نجد في هذه النصوص ما يعيننا على اختراق ظاهر الدنيا إلى باطنها.

(١) نهج البلاغة، الخطبة : ٩٩.

ب- الوجه الظاهر للدنيا

اما الوجه الظاهر للحياة الدنيا فهو وجه الاغراء، فإنَّ الحياة الدنيا مغرية، وجذابة لغير ذوي البصائر من الناس، تستميلهم وتستهوهم وتجذبهم وتغريهم، وتلهيهم باللهو واللعب، يقول تعالى:

﴿وما الحياة الدنيا إلاّ لعب ولهو﴾^١.

﴿ما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب﴾^٢.

﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم﴾^٣.

وهذا الذي يقول عنه تعالى أنه لعب ولهو هو الوجه الظاهر للدنيا، واللهو واللعب في مقابل الجد والاهتمام...

وهذا هو بالدقة الوجه الظاهر للدنيا، يشغل الانسان باللهو واللعب، ويصرفه عن الجد والاهتمام، ولو صرف نظره من الوجه الظاهر للدنيا إلى باطنها لمزف عن اللهو واللعب وزهد في الدنيا، وشغله أمر نفسه عن غيره من الامور فإن الدنيا «لُماظة».

يقول علي (ع): «الأمّن يدع هذه اللُماظة»^٤. واللُماظة هي بقية الطعام في الفم يتذوقها ويستمرؤها الانسان.

وعن علي (ع): «أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات»^٥.

(١) الانعام : ٣٣.

(٢) المصنوعات : ٦٤.

(٣) الحديد : ٢٠.

(٤) بحار الانوار ٧٣ : ١٣٣.

(٥) بحار الانوار ٧٣ : ٩٦.

المقارنة بين الوجه الظاهر والباطن للحياة الدنيا

في القرآن الكريم مقارنة بين وجهي الحياة الدنيا : الظاهر والباطن .
ولنتأمل في طائفة من هذه الآيات :

١- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطُنَّ أَهْلُهَا أَتَاهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) . وهذه الآية مثال معبر عن الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها، وما يؤول إليه أمرها من خراب وبنار مفاجيء .

فتشبيه الدنيا بالمطر الذي ينزل من السماء على الأرض، ويختلط به نبات الأرض، فينمو به نبات الأرض، غذاء للأنسان والحيوان، وزينة للأرض، حتى إذا أخذت الأرض زينتها وزخرفها وازبنت ... أتاه أمر الله تعالى فجأة، من صاعقة، أو ريح، أو غيرها، فيجعلها حصيداً وخرباً، كأن لم تغن بالأمس، عامرة، زاهية، خضراء، وهو تصوير معبر ودقيق عن وجهي الحياة الدنيا الظاهر والباطن، فهي خضراء زاهية، مفرية، ومثيرة، تجذب الأنظار، وتستهي النفوس، ولكن ما إن تطمئن إليها النفوس، حتى يأتيها أمر الله تعالى فجأة، فيجعلها خربة، باثرة، تعزف عنها النفوس .

والشطر الأول من هذه السورة مبعث الإغراء والإعزاز بالدنيا وهو الوجه الظاهر منها، والشطر الثاني منها منبعب العظة والعبرة، وهو الوجه الباطن للدنيا .

٢- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) . إن الدنيا

(١) يونس : ٢٤ .

(٢) الكهف : ٧ .

زينة لا شك فيها، وهذه الزينة هي التي تستهوي أفئدة الناس وتجذبهم، ولكن هذه الزينة نستطيع الابتلاء والاختيار والامتحان، وتستطيع حالات السقوط في هذه الابتلاءات، كالطعمة التي تقدم للصيد.

٣- ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومفكرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ .
وهذه الآية الكريمة أيضاً في نفس السياق تصوير لوجهي الحياة الدنيا الظاهر والباطن، كالغيث الذي ينزل من السماء، فيسقي نبات الأرض، فيزهو، ويشير إعجاب الفلاح، ثم يهيج فيصفر، ويكون حطاماً فجأة.

تعدد الرؤية إلى الدنيا

والحقيقة أن تعدد وجهي الدنيا ينشأ من تعدد الرؤية إلى الدنيا، وباختلاف الرؤية يختلف وجهها الحياة الدنيا، فإن الدنيا حقيقة واحدة، ولكن الناس ينظرون إليها على نحوين :

فمن الناس من ينظر إلى الدنيا نظراً واعتباره، ومن الناس من ينظر إلى الدنيا نظراً واعتباره، وهذان نحوان من الرؤية، أحدهما سطحي يقف عند السطح الظاهر من الدنيا، فتستهوي الإنسان وتفرقه، والآخر عميق ينفذ إلى باطن الحياة الدنيا فيزهد صاحبها منها، والأمر يتوقف - إذن - على طريقة رؤية الإنسان للدنيا وفهمه لها، ولكي يصحح الإنسان طريقة تعامله مع الدنيا ينبغي أن يصحح قبل ذلك طريقة رؤيته للدنيا، فكما يرى الدنيا يتعامل معها.

فَالَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الدُّنْيَا نَظْرَ «اغْتِرَارٍ» تَلْهِيهِمُ الدُّنْيَا، وَتَسْتَهْوِيهِمْ، وَتَغْرَهُهُمْ، وَتَكُونُ الْحَيَاةُ لَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا، كَمَا يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الدُّنْيَا نَظْرَةَ «اعْتِبَارٍ» يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا بِصَدَقٍ وَجَدٍّ، وَيَسْتَغْلِبُهُمْ جَدُّ الْآخِرَةِ عَنْ لَهْوِ الدُّنْيَا. وَفِي كَلِمَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) دَلَالَاتٌ وَاضِحَةٌ عَلَى مَا نَذَكِرُهُ هُنَا مِنْ اخْتِلَافِ الرُّؤْيَا عِنْدَ النَّاسِ فِي النَّظَرِ إِلَى الدُّنْيَا.

يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع): «كَانَ لِي فِيْمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ، وَكَانَ بِعَظْمِهِ فِي عَيْنِي صَفَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ»^(١)، فَهَناكَ إِذَنْ مِنْ يَسْتَصْفِرُ الدُّنْيَا، وَهَناكَ مِنْ يَسْتَغْظِمُهَا، وَهَناكَ رُؤْيَاكَ إِلَى الدُّنْيَا.

وَيَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ (ع) أَيْضًا فِي وَصْفِ الدُّنْيَا: «مَا أَصْفَ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، فِي حِلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ اسْتَفْتَى فِيهَا فُتْنًا، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حُزْنَ»^(٢)، وَهَذا هُوَ الْوَجْهُ الْبَاطِنُ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالرُّؤْيَا الرَّاعِيَةُ الْناظِلَةُ إِلَى الدُّنْيَا.

ثُمَّ يَقُولُ (ع): «مَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ»^(٣)، وَهَذه سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالدُّنْيَا، لَا تَحْتَلُّ، وَلَا تَتَخَيَّرُ، فَمَنْ يَرْتَضِ وَراءَ الدُّنْيَا وَدِيسَاعِيهَا، وَيَجَارِيها تَتَوَبَّعُها، فَلَا يَكادُ يَحْقُقُ طَمَوحَها فِيها، وَكَلِمًا يَكسِبُ فِيها مِنْ رِزْقٍ يَطْمَحُ فِيها إِلَى أَعَدَدٍ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْعَى إِلَيْها، فَهُوَ يَجَارِي الدُّنْيَا وَيَرْتَضِ خَلْفَها، دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى غَايَتِها مَنها، وَمَنْ يَتَجَسَّلُ فِي طَلَبِها، فَإِنَّ الدُّنْيَا تُؤَايِها وَتَطَاوَعُها، وَيَنالُ حَاجَتَها مِنْها.

(١) نهج البلاغة، الحكمة : ٢٨٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة : ٨٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة : ٨٢.

١٤٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

ثم يقول (ع) وهو موضح الشاهد من هذا النص : «من أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته»^١.

يقول الشريف الرضي في تفسير هذا الكلام : «والمأمل فيه يجد تحته من المعنى المجيب، والقوس البعيد ما لا يبلغ غايته، ولا يدرك غوره»، وهذا الذي يذكره الامام علي بن أبي طالب (ع) نحوان من الرؤية : أحدهما «إبصار بالدنيا» وهي نظرة الاعتبار، والثاني «إبصار إلى الدنيا»، وهي نظرة الاغترار والافتتان، ولا يد لذلك من إضاح :

إن الدنيا قد تكون مرآة ينظر بها الانسان، وقد تكون غاية ينظر إليها الانسان وهما نحوان من الرؤية.

فإذا كانت الدنيا مرآة ينظر بها الانسان إلى الحضارات البائدة وإلى الذين طغوا واستكبروا على وجه الارض، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ... فإن هذه النظرة تكون نظرة «اعتبار» و«تماظ».

وأما عند ما تكون الدنيا غاية ينظر إليها الانسان، وينشد لها، فإن الدنيا تستهويه وتغنه، وتعميه، ويراهما حلوة، خضرة، والنظرة الاولى مادة للاعتبار، والثانية مادة للافتتان والاغترار، وفي الاولى وهي وبصيره، وفي الثانية تلبيس وغرور. ولا ين أبي الحديد في شرح هذه الكلمة بيتان في توضيحها، يقول : ونظرت إلى قوله (ع) «من أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته» قلت :

دنياك مثل الشمس تدني الـ بك الضرء لكن دعوة السهللك
إن أنت أبصرت إلى نورها تمش وإن تبصر به تدرك
وفي تكرس هذه الرؤية يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) : «... جعل

(١) نهج البلاغة، النسخة : ١٢٨٩، ١ : ١٠٦ ط / الصالح.

لكم أسماحاً لتعي ما عتاهاء، وأبصاراً لتجلو عن عشاها ... وخلف لكم غيراً من آثار
الماخين قبلكم، ... أرهقتم المنايا دون الآمال، ... لم يمهّدوا في سلامة الإبدان،
ولم يعتبروا في آنف الأوان، ... فهل دفعت الاقارب؟ أو نفعت النواحب؟ وقد
شُوِّدَ في محلّة الأموال رهيناً وفي ضيق المضجع وحيداً، قد هنتك الهوام
جلدته ... وعقّت المواصف آثاره، ومحا الحدّثان معالمه، ... أو لستم أبناء القوم
والآباء، وإخوانهم والاقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، وتركبون قذّتهم، وتطوّون جادّتهم،
فالقلوب قاسية عن حظها، لاهية عن رشدها، سالكة في غير مضمارها، كأن
المصيّ سواها! وكأن الرشد في إحراز دنياها!¹.

ويقول أمير المؤمنين (ع) أيضاً في نفس السياق: «وانما الدنيا منتهى بصر
الاعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها،
فالبصير منها شاخص، والاعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والاعمى لها
متزود»².

إن الاعمى هو الذي لا يخترق بصره الدنيا، فيقف عندها، ويتعلق بها، فالدنيا
«منتهى بصر الاعمى»، وأما البصير فهو الذي يخترق بصره الدنيا، ويرى عاقبتها،
ويرى الدار الآخرة، فلا يتوقّف عندها، ويعتبر بها، ويرحل عنها.

ولابن أبي الحديد شارح «نهج البلاغة» شرح جيد لهذه الفقرة غير ما ذكرناه،
فيقول: «شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوّره الاعمى من الظلمة التي يتخيّلها، وكأنها
محسوسة له، وليست بمحسوسة على الحقيقة، وإنما هي عدم الضوء، كمن يطلع
في جُبّ ضيق فيتخيّل ظلاماً فإنّه لم ير شيئاً، ولكن لما عدم الضوء، فلم ينفذ البصر

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

تخيل أنه يرى الظلمة، فأما من يرى المبصرات في الضياء، فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات بيقيناً، وهذه حالة الدنيا والاخرة: أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم، ويقنون أنهم يبصرون شيئاً وليسوا بمبصرين على الحقيقة، ولا حواسهم نافذة في شيء، وأهل الاخرة قد نفذت أبصارهم فأروا الاخرة ولم يقف إحساسهم على الدنيا خاصة، فأولئك هم أصحاب البصائر على الحقيقة^(١) وهذا معنى شريف من معاني الطريقة والحقيقة .

الطريقة الصحيحة للرؤية :

إن للرؤية كأي فعل آخر من أفعال الانسان أساليب ومناهج منها الصحيح ومنها الخطأ، والقرآن يوضح لنا، فيما يوضح من مناهج السلوك والعمل، المنهج الصحيح للرؤية، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْدُنْ فِي سَبِيلِكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^(٢)، وتمدّد النظر طريقة من النظر والرؤية، وهي أن يمدد الانسان نظره إلى ما رزق الله تعالى الناس من رزق، وفي هذا «التمدّد» معنى «التجاوز» وكأنما الانسان يتجاوز بنظره عما رزقه الله تعالى من رزق إلى ما رزق الآخرين من عباده من زهرة الحياة الدنيا.

وهذا التمدّد في النظر هو مصدر عذاب الانسان ومعاناته ... فهو يتمنى ما لم يرزقه الله، ويسعى نحوه، فإذا رزقه الله تعالى تمنى غير ذلك مما لم يرزقه الله تعالى، ورزق الآخرين من عباده ... ويستمر الانسان في ملاحقة الدنيا ومساعاتها - كما يقول أمير المؤمنين (ع) -، والركض وراءها، فيطول عذابه فيها، ولا ينال منها غايته.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٨ : ٢٧٦.

(٢) طه : ١٣١.

إن هذه الطريقة من النظر إلى الدنيا تورث الإنسان الحسرة والتلهف على ما في أيدي الناس، بعكس النظرة القائمة على أساس التعقّف عما في أيدي الناس. وغني عن البيان أن نظرة الاستغناء والتعقّف عما في أيدي الناس، وعدم الاستعداد به لا يعني القعود عن السعي والعمل والتحرّك في ساحة الحياة، فإن الإنسان المسلم يسعى ويتحرّك، ولكن ليس من منطلق التلهف على ما في أيدي الناس.

إذن لطريقة النظر إلى الأشياء دور كبير في سلامة النفس وتلويها، فقد تلوث النظرة روح الإنسان وتخلق له عذاباً ومعاناة طويلة «وَبِئْسَ نَظْرَةٌ تَوَرَّثَ حَسْرَةً» وقد تكون النظرة أساساً ومنطلقاً لاستقامة الإنسان وتفويم سلوكه. إن الإسلام لا يمنع من النظر، ولكن يعلمنا كيف ننظر إلى الأشياء.

نتائج وانعكاسات الرؤية على النفس

حب الدنيا والزهد :

لكل طريقة في الرؤية آثارها السلبية أو الإيجابية على حياة الإنسان، والإنسان يتعامل مع أي شيء بالطريقة التي ينظر بها إلى ذلك الشيء، وترك هذه الطريقة في الرؤية إلى الدنيا أو تلك آثاراً وانعكاسات واضحة في سلوك الإنسان وفكره ونفسه، ولا سبيل إلى تغيير هذه الآثار إلا بإجراء تغيير جذري في الطريقة التي ينظر بها الإنسان إلى الدنيا.

وهذه حقيقة على درجة عالية من الأهمية، وداخلية في صلب منهج التربية الإسلامية، وعليه سوف ندرس الآثار والانعكاسات النفسية والسلوكية لكل من

(١) وسائل الشريعة ١٤ : ١٢٨، فروع الكافي ٥ : ٥٥٩ وميزان الحكمه مجلد ١٠.

الرؤية الساذجة غير النافذة إلى الدنيا، والتي عبر عنها الإمام أمير المؤمنين (ع) بالابصار إلى الدنيا، والرؤية العميقة والنافذة التي عبر عنها أمير المؤمنين (ع) بالابصار بالدنيا، وأعظم آثار هذه الرؤية وتلك هي حب الدنيا والزهد، وحب الدنيا هو النتيجة الطبيعية للنظرة الساذجة غير النافذة إلى الدنيا، والزهد في الدنيا هو النتيجة الطبيعية للنظرة العميقة والنافذة للدنيا.

وفيما يلي نتوقف عند كل من هاتين الحالتين في حياة الانسان :

حب الدنيا :

حب الدنيا هو النتيجة الطبيعية للنظرة الساذجة إلى الدنيا، فإن هذه النظرة كما قلنا لا تستطيع أن تخترق ظاهر الحياة الدنيا فتتعلق بطبيعة الحال بهيجة الدنيا وزهرتها، وتشتد إليها.

كما أن الزهد في الدنيا هو النتيجة الطبيعية للنظرة الراقية والنافذة للدنيا.

حب الدنيا مصدر كل شر في حياة الانسان :

وحب الدنيا مصدر كل شر في حياة الانسان، وليس من شر ومحنة في حياة الانسان إلا ويعود بعض جذورها، او كل جذورها إلى «حب الدنيا».

عن رسول الله (ص) : «حب الدنيا أصل كل معصية، وأول كل ذنب»^(١).

وعن علي (ع) : «حب الدنيا رأس الفتن وأصل المحن»^(٢).

وعن الصادق (ع) : «رأس كل خطيئة حب الدنيا»^(٣).

(١) ميزان الحكمة ٣ : ٢٩٤.

(٢) غرر الحكم للأدي ١ : ٣٩٢.

(٣) بحار الأنوار ٧٣ : ٧.

حب الدنيا يؤدي إلى الكفر :

وهو أعظم آثار «حب الدنيا» والقرآن يذكر هذه العلاقة بين «حب الدنيا» والكفر، وهذه النتيجة السيئة لحب الدنيا في أكثر من موضع :

١- يقول تعالى : ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين^١.

وليس الكفر فقط من نتائج «حب الدنيا» في هذه الآية المباركة، وإنما تقرر الآية الكريمة حقيقة أبعد من ذلك، وتلك أن حب الدنيا يشرح صدر الإنسان للكفر، فيطمئن الإنسان بالكفر، وينشرح له، ويركن إليه، وهو شر من الكفر، وهؤلاء يغضب الله عليهم، ويطردهم عن رحمته.

٢- يقول تعالى : ﴿ويويل للكافرين من عذاب شديد﴾ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً^٢.

والعلاقة واضحة في هذه الآية الكريمة بين «حب الدنيا» والكفر والصد عن سبيل الله.

الآثار النفسية والسلوكية لحب الدنيا :

لحب الدنيا آثار نفسية وسلوكية واسعة على الإنسان، وفيما يلي نشرح طائفة من هذه الآثار على نفس الإنسان وسلوكه وفعله.

١- طول الأمل بالدنيا : وهو من دون شك من الآثار النفسية لحب الدنيا فإن الإنسان إذا أحب الدنيا وتعلق بها طال أمله فيها، وهذه هي المعادلة الأولى في هذه

(١) النمل : ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) إبراهيم : ٢ - ٣.

١٤٦ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

القضية، والمعادلة الثانية : أن من يطول أمله في الدنيا يقل ذكره للموت، ويفسر عمله واستعداده للدار الآخرة، وهذه هي المعادلة الثانية، وقد وردت فيها مجموعة من النصوص :

عن علي (ع) : «ما أطال عبد الأمل، إلا أساء العمل»^١.

وعنه (ع) أيضاً : «أكثر الناس أملاً، أقلهم للموت ذكراً»^٢.

وعنه (ع) أيضاً : «أطول الناس أملاً، أسوأهم عملاً»^٣.

والمعادلة الثالثة : أن من طال أمله في الحياة الدنيا اتخذها قراراً لنفسه، وهي ليست بدار قرار، وركن إليها، واطمأن بها، وهذا ما نتحدث عنه في الفقرة التالية :

٢- الاطمئنان إلى الدنيا والركون إليها : وهو كما ذكرنا ينتج عن طول الأمل في الدنيا، وعن حب الدنيا، والرضا بها، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^٤ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون»^٥.

وهذه حالة من الاحساس الكاذب بالركون إلى الدنيا ... يشعر الانسان معها بأن الدنيا دار قرار له، والدنيا ليست بدار قرار، وإنما هي متاع زائل، يسرع إليه القضاء، وإن دار القرار هي الجنة.

قال تعالى : ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾^٦.

(١) بحار الأنوار ٧٢ : ١٦٦.

(٢) غرر الحكم للأعدي ١ : ١٩٠.

(٣) غرر الحكم للأعدي ١ : ١٩٠.

(٤) يونس : ٧ - ٨.

(٥) الرعد : ٢٦.

وقال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^١.
فالدُّنْيَا إذن متاع زائل والآخرة هي دار القرار، بخلاف ما يتوهمه الناس الذين
يركنون إلى الدنيا، وحب الدنيا والفرح والرضا بها هو الذي يوهم الإنسان بهذا
الوهم.

روي عن علي (ع) من الحديث القدسي الشريف: قال الله تعالى: «عجبت لمن
يرى الدنيا وتصرف أهلها حالاً بعد حال، كيف يطمئن إليها»^٢.
«وكان فيما أوحى الله تعالى إلى نبيه وكليمه موسى بن عمران (ع): يا موسى لا
تركن إلى الدنيا وكون الظالمين، وركون من اتخذها أمّاً وأباً، واترك من الدنيا ما بكت
الغنى عنه»^٣.

وهو تعبير شفاف ودقيق، فإن من الناس من يركن إلى الدنيا وهي على ما نشاهد
من تقلب الأحوال، كما يركن الطفل إلى أمه وأبيه، ومن الناس من يرى ما في الدنيا
من اللهو واللعب مما يتنافس فيه الناس، بالباطل من حطام الدنيا ومتاعها،
فيعرفها ولا يفتر بها وينصرف عنها إلى الحياة الحقيقية الجادة، والحياة الجادة
الحقيقية هي الدار الآخرة، ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة
لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾^٤.

٣- إشار الحياة الدنيا على الآخرة: وهو أيضاً من آثار ونتائج حب الدنيا، فإن
الإنسان إذا بالغ في حب الدنيا آثرها على الآخرة. وقد ذكر الله تعالى حالة إثار
الدنيا على الآخرة في كتابه الكريم:

(١) المؤمن: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٣: ٩٧.

(٣) بحار الأنوار ١٣: ٣٥٤ و ٧٣: ٧٣.

(٤) العنكبوت: ٦٤.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^١.

﴿يَلْ تَوَثَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^٢.

وفي الحقيقة هؤلاء يريدون الدنيا فقط، فإن إثار الدنيا على الآخرة يكون عند التزاحم بين الدنيا والآخرة، وعندئذ لا بد من أن يختار الإنسان : إما الدنيا دون الآخرة، وإما الآخرة، دون الدنيا وهؤلاء يختارون الدنيا دون الآخرة، فهم إذن لا يريدون إلا الحياة الدنياء يقول تعالى : ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَرِدِ الْآحْيَاةَ الدُّنْيَا﴾^٣. والحقيقة أن هؤلاء يبيعون الحياة الآخرة بالدنيا. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾^٤.

وقد روي عن رسول الله (ص) في هذا السياق : «من عرضت له دنيا وآخرة، فاختار الدنيا على الآخرة، لقي الله عز وجل ولبست له حسنة يتقي بها النار، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقي الله يوم القيامة وهو راض عنه»^٥.

وعن علي (ع) : «من عبد الدنيا وآثرها على الآخرة استرخم العاقبة»^٦.

وعن علي (ع) : «لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه»^٧.

(١) التازعات : ٢٨.

(٢) الاعلى : ١٦.

(٣) النجم : ٢٩.

(٤) البقرة : ٨٦.

(٥) بحار الأنوار ٧٦ : ٣٦٤ و ٧٣ : ١٠٣.

(٦) بحار الأنوار ٧٣ : ١٠٤.

(٧) بحار الأنوار ٧٠ : ١٠٧.

وعن علي (ع) : «من لم يبال مآزره من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك»^١.
 ٤- الاستعجال بطيبات الآخرة في الدنيا: وهذه حالة أخرى تابعة كذلك من حب الدنيا، وهي استعجاله بطيبات الآخرة في الدنيا، فإن الله تعالى قد خلق الإنسان ليمتع بطيبات الجنة، فإذا أحب الإنسان الدنيا، وتعلق بها، وأطمأن إليها، وركن إلى طيباتها، فكأنه استعجل بطيبات الآخرة في الدنيا، كالنملح الذي يستعجل اقتطاف الثمرة قبل أوانها، فيمتطفها فجأة، غير ناضجة، وكالطفل الذي يستعجل راحة الشبخوخة والكهولة، فيقصي وقته في اللعب ويهمل دراسته، ويضحكي براحة المستقبل في أيام كهولته وشبخوخته. والآية الكريمة دقيقة في تصوير هذا المعنى:

﴿ويوم يمرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم

(١) بحار الأنوار ٧٧: ٢٧٧.

(٢) موضوع هذه الدراسة في الحقيقة عند ما تتزاحم الدنيا والآخرة، يعني «حدود الله» والدنيا فينتطلب الالتزام بحدود الله تعالى وأحكامه الحرام من بعض الطيبات في الدنيا، وينتطلب التعلق بالدنيا من الإنسان أن يتجاوز أحكام الله تعالى فيلعب الإنسان عندئذ على مفرق طريق بين الدنيا والآخرة، وليس من حرام في الحقيقة، فإن الإنسان إذا التزم بحدود الله تعالى في الدنيا رزقه الله تعالى الطيبات في الآخرة، كاملة ناضجة، ودائمة باقية في دار القرار. ولكن الإنسان يستعجلها في الدنيا فيناله حبة، وغير ناضجة، ومتاعاً يسرع إليه الزوال، ويشوبه الكثير من الاخطار والهموم والآلام.

ونحن إذا أنعمنا النظر في التصور الإسلامي نجد أن هذه القاعدة تطبق إلى حد ما في مساحة الحلال من الدنيا أيضاً، ولكن ليس بشكل مطلق، فإذا زهد الإنسان في بعض الحلال من الطيبات ادعوه الله تعالى له في الآخرة ... ولعل ذلك لتلاؤم تنسجعه هذه الطيبات إلى التمتع بالدنيا وحبها، أو لمراساة الطبيعة التي لا تستطيع أن تمتع بها من المؤمنين ... ومهما يكن من أمر فلا منافاة بين تطبيق هذه القاعدة ونقول تعالى ﴿قل من حزم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ ١٩

تفسقون^١.

تأملوا في قوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾^٢ وكأن الله تعالى قد أدخر هذه الطيبات للإنسان في الآخرة وهي دار القرار، فاستعجل الإنسان وجناتها في الدنيا قبل أن تذهب، وذهب بها، وهي فجة وزائلة.
العاجلة:

ولهذا السبب فإن القرآن يسمي الدنيا بد «العاجلة»، وهي بمعنى الدار التي يستعجل فيها الإنسان اقتطاف طيبات الآخرة قبل أوانها، يقول تعالى: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾^٣. ونحن بحاجة إلى الكثير من التأمل والتفكير في هذه الفقرة الأخيرة من الآية الكريمة: ﴿ما نشاء لمن نريد﴾ فإن استعجال الإنسان لطيبات الآخرة في الدنيا ليس بمعنى أن الإنسان سوف ينال ما يشاء هو من طيبات الدنيا، وإنما بمعنى أن الله تعالى يعطي الإنسان عاجلاً، إذا استعجل الإنسان طيبات الآخرة في الدنيا، ما يشاء من الرزق من قليل أو كثير، لمن يريد من عباده، فأمر الرزق يبقى بيد الله تعالى، ينحكم فيه، ولا يتحكم فيه الإنسان، إذا استعجل هذا الرزق... ولكنه يحرم من طيبات الآخرة، ويفرط فيها بما استعجل من طيبات الدنيا من غير حلها.

وفي هذا السياق يقول تعالى: ﴿قالوا: رتنا عجل لنا قسطاً قبل يوم الحساب﴾^٤ أي عجل لنا حصتنا في الدنيا قبل يوم الحساب، ويقول تعالى: ﴿كلا بل تحبون

(١) الاحقاف: ٢٠.

(٢) الاحقاف: ٢٠.

(٣) الاسراء: ١٨.

(٤) من: ١٦.

الماجلة^(١). ويقول تعالى: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾^(٢).

وعند ما نمنع النظر في النصوص الإسلامية نجد أن مسألة التزام بين الدنيا والاخرة لا تقع دائماً في مساحة الحرام، فقد يكون هذا التزام في مساحة والحلال، أيضاً، وهذه النقطة من روائع الفكر الإسلامي ورفائنها.

فقد نجد في جملة من النصوص الإسلامية: أن رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) والصالحين من عباد الله كانوا يكرهون الإفراط في التمتع بالطيبات، ولعل السبب في ذلك: أن الإفراط في التمتع بالطيبات يحجب الدنيا إلى الإنسان، ويزيد في تعلق الإنسان بالدنيا، فإن العلاقة بين حب الدنيا واستعجال الطيبات علاقة متبادلة «جدلية» فإذا أحب الإنسان الدنيا استعجل بطيباتها، وإذا استعجل بطيباتها أحب الدنيا، ومهما يكن الأمر في تحليل هذا الأمر، فإننا لا نشك أن بعض هذا التزام بين طيبات الدنيا والاخرة موجود في مساحة الحلال أيضاً، ولا نحتاج إلى إيضاح: إن هذا التزام ليس بمعنى تحريم ما أخرج الله تعالى لعباده من الزينة ومن طيبات الرزق، فإن شأن هذا التزام شأن آخر غير الحلال والحرام، وهو كما ذكرنا قبل قليل من رقائق وروائع الفكر الإسلامي.

ولنتعرض أولاً طائفة من النصوص الإسلامية في هذا المعنى ثم نقوم بتحليلها وتفسيرها ثانياً:

النصوص:

يقول عمر بن الخطاب قلت لرسول الله (ص): أدع الله يا رسول الله أن يوسع

(١) التقياة: ٢٠.

(٢) الإنسان: ٢٧.

على أمتك. فقد وسَّع الله على فارس وروم، وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالساً ثم قال : «أفي شك أنت يا ابن الخطاب. أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»^١.

وأني رسول الله (ص) يخبيص فأبى أن يأكله : فقيل أنحرّمه؟ فقال : لا ولكن أكره أن تنوق إليه نفسي ثم تلا : ﴿أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا﴾^٢.

وعن عمر بن الخطاب قال : استأذنت على رسول الله (ص) فدخلت عليه في مشربة أم إبراهيم، وإنه لمضطجع، وإن بمضه على التراب، وتحت رأسه وساده، محشوة ليفاً، فسكمت عليه، ثم جلست، فقلت : يا رسول الله : أنت نبي الله، وصغرت، وخبرته من خلفه، وكسرتى وقبصر على سر الذهب وفرش الديباج والحبر، فقال رسول الله (ص) : «أولئك قوم عجلت طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنما أخرت لنا طيباتنا»^٣.

وروي أن رسول الله (ص) دخل على أهل الصفة، وهم يرمون ثيابهم بالأذى، ما يجدون لها رفاعاً، فقال : «أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حُلّة، وروح في أخرى، ويغدى عليه بجفنة وراح عليه بأخرى، ويستربيته كما تستر الكعبة؟» قالوا نحن يومئذ خير. قال : بل أنتم اليوم خير^٤.

ورأى النبي (ص) فاطمة (ع) وعليها كساء من اجلة الابل، وهي تطحن بيدها، وتضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (ص)، فقال : يا بنتا تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت : يا رسول الله (ص) الحمد لله على نعمائه، والشكر لله

(١) كنز العمال : ٤٦٦٤.

(٢) نور الثقلين ٥ : ١٥.

(٣) نور الثقلين ٥ : ١٥.

(٤) نور الثقلين ٥ : ١٧.

عَلَى آلَانِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَوْ سَافَرْتَ بِمِطْلَقِ رَيْكِ فَنِزْفِي﴾^١.

وعن الصادق (ع) : «إِنَّا لَنَحِبُّ الدُّنْيَا، وَأَنْ لَا نَزْنَاهَا خَيْرَ مِنْ أَنْ نَزْنَاهَا، وَمَا أَوْتِي ابْنُ آدَمَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا نَقَصَ حَقَّهُ مِنَ الْآخِرَةِ»^٢.

وعن الصادق (ع) : «أَخْرَجَ نَبِيٌّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ (ع) وَذَلِكَ لَمَّا أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا»^٣.

وعن علي (ع) : «كَلِمَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ فَهُوَ غَنِيمَةٌ»^٤.

وعنه (ع) : «مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ وَسُوءُ الْعَاقِبِينَ»^٥.

وعنه (ع) : «مَنْ طَلَبَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئاً فَانْهَ مِنْ الْآخِرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا طَلَبَ»^٦.

وعنه (ع) : «مَا زَادَ فِي الدُّنْيَا نَقْصٌ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ فِي الْآخِرَةِ»^٧.

وعن أبي عبد الله (ع) : قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) : «مَا عَرَضَ لِي قَطُّ أَمْرَانِ، أَحَدُهُمَا لِلدُّنْيَا، وَالْآخَرُ لِلْآخِرَةِ، فَأَتَرْتُ الدُّنْيَا إِلَّا وَابِتَ مَا أَكْرَهَ قَبْلَ أَنْ أَمْسِيَ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع) : «لَيْتَنِي أُمِّيَةٌ أَنْهُمْ يُؤْثِرُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ مِنْذُ ثَمَانِينَ سَنَةً»

(١) نور الثقلين ٥ : ٥٩١. وميزان الحكمة ٣ : ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) بحار الأنوار ٧١ : ٨١. وميزان الحكمة ٣ : ٣٢٦.

(٣) بحار الأنوار ١٤ : ٧٤.

(٤) غرر الحكم للأُمدي ٢ : ١١١.

(٥) غرر الحكم ونهج البلاغة الحكمة : ٢٤٣ : ٢ : ٢٨٢ و ٢ : ٣١٢.

(٦) غرر الحكم للأُمدي ٢ : ٢٢١.

(٧) غرر الحكم وميزان الحكمة ٣ : ٣٢٦ : ٢ : ٢٦٨.

وليس يرون شيئاً يكرهونه^١.

ويقول أمير المؤمنين (ع) في شرح هذا المعنى : «واعلموا أن ما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رايح، ومزيد خاسر، إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم، فذروا ما قلّ لما كثّر، وما ضاق لما اتسع، قد تُكَيَّل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكوننَّ المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله، مع أنه والله لقد اعترض الشكّ ودخل اليقين، حتى كان الذي ضمن لكم قد فرض عليكم، وكان الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا بالعمل، وخافوا بفتة الاجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق، ما فات اليوم من الرزق رجي غداً زيادته، وما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته، الرجاء مع الجاني واليأس مع الماضي ﴿فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾^٢.

دراسة تحليلية للنصوص

هذه طائفة من النصوص الإسلامية، لا سبيل إلى التشكيك فيها، من حيث السند، ومن حيث المتن، فهي كثيرة ومستفيضة، ولا يمكن التشكيك فيها جميعاً، وهي لا تختص بالمحرمات فقط، وإنما تعم الحرام والحلال من اللذات، وتوسع مساحة التزاحم بين الدنيا والآخرة، بما يشمل مساحة الحلال أيضاً، والنصوص ظاهرة في ذلك، ولا سبيل إلى تخصيصها بالمساحة المحرّمة من اللذات، ليكون قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات

(١) بحار الأنوار ٧٣ : ١٢٧.

(٢) نهج البلاغة، النسخة : ١١٣.

الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿١﴾ وقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٢ ...
خاصاً بمساحة الطيبات التي أحلها الله تعالى، وهذه الطائفة من النصوص تخص المساحة المحرمة من اللذات ومنع الحياة الدنيا.

فكيف نفهم هذه النصوص إذن؟ وكيف نوفق بين هذه النصوص من جانب والايات التي تلونها من كتاب الله قبل قليل في الدعوة إلى التمتع بطيبات ما رزق الله تعالى عباده، والانتكاز على الذين يحرمون طيبات الله تعالى من جانب آخر؟
نحاول فيما يلي إن شاء الله الإجابة على هذا السؤال ضمن مجموعة من النقاط، أرجو أن تندرج معها إلى الإجابة على هذا السؤال :

١- ليس معنى النصوص التي استعرضنا جملة منها قبل قليل : أن الإسلام قد حظر على المسلمين أن يتمتعوا ويتمتعوا بطيبات ما رزق الله تعالى عباده، فإن حكم الله تعالى فيما خلق لعباده من الزينة والطيبات هو الإباحة والاذن، إلا أن ينهى الله تعالى عن ذلك، يقول تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وكذلك تفصل الايات لقوم يعلمون ﴿٣﴾.

وليس معنى هذه الطائفة من النصوص أن تتعد الانسان عن السعي والحركة على وجه الارض، فإن حكم الله تعالى في ذلك هو قوله تعالى : ﴿لَمَّا ذَا قُضِيَ

(١) البقرة : ١٧٢.

(٢) الاحراف : ٣٤.

(٣) الاحراف : ٣٤.

(٤) الجمعة : ١٠.

السمعي والتحرك للدنيا كل هم الانسان وجهده، وأن يكون سعيه للدنيا في طريق حركته إلى الله تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾^١. فالأصل في حركة الانسان هو ابتغاء الآخرة ولكن على أن لا ينسى نصيبه من الدنيا.

٢- ورغم هذا التوضيح الذي لا نشك في صحته فإن التعاكس بين الدنيا والآخرة ليس فقط في مساحة الحرام، وإنما في مساحة الحلال أيضاً.

يقول أمير المؤمنين علي (ع) : «إن الدنيا والآخرة عدوَّان متفاوتان، وسيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولأها أبغض الآخرة وعادها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وما بين بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضربتان»^٢. وما يمتنع به الانسان في هذه الدنيا من متعة طيبة محللة لا يعاقبه الله عليها، لأنه لم يحرمها عليه، ولكن ينقص بنسبتها من طيباته في الجنة، فإن متع الدنيا تذهب في الأغلب بفرض الانسان في كسب طيبات الآخرة ... وهذا هو السر في التزاحم بين الدنيا والآخرة في المساحة المحللة من الطيبات، وسوف نوضح هذا المعنى ضمن مجموعة من الأمثلة :

أ - مهما برزق الله تعالى عباده من عمر فإنه يمكنه من الصيام، والصيام واجب في شهر رمضان، ومنسوب في سائر أيام السنة، ومن أعظم المستحبات، وقد روى أبو جعفر الباقر (ع) عن رسول الله (ص) قال : قال الله عز وجل : «الصوم لي وأنا أجزي به»^٣.

(١) النصص : ٧٧.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة : ١٠٠.

(٣) بحار الأنوار : ١٦ : ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٤٩.

وما يغفوت الانسان من ثواب الصيام كل يوم يفطر به من ايام السنة، لا يعرفه إلا الله تعالى.

إذن كل يوم يفطر الانسان فيه بما رزقه الله تعالى في هذه الدنيا من الطيبات فإنه ينقص من طيباته في الجنة ما لا يعلمه إلا الله، ولا نشك أن هذا الرزق من الرزق الحلال في الدنيا، ولكن يغفرت عليه فرصاً عظيمة لكسب طيبات الآخرة، وهذا مثال من أمثلة التزاحم بين الدنيا والآخرة في مساحة الحلال.

ب- كل ليلة يستسلم الانسان فيها للنوم يتمتع من دون شك بمنعة طيبة من متع الحياة الدنيا، فإن النوم من أطيب لذات الحياة الدنيا، ولكن كلما يستسلم الانسان للرقاد فإن ذلك يخسره تلك الليلة نافلة الليل، وثواب التهجد أثناء الليل.

فإذا قدر الله تعالى لعبد أن يعيش سبعين سنة فقد مكّنه من كسب هذا الثواب لمدة سبعين سنة، وكل ليلة تقوته فيها صلاة الليل ينقص مما قدر الله تعالى له من الطيبات شطراً، حتى إذا أكمل السبعين في هذه الغفلة والضياع فقد كل ما قدر الله تعالى له من الطيبات ولو كان يدأب هذه الفترة من عمره في عبادة الله تعالى.

ج- إذا رزق الله تعالى عبداً كمية من المال، فقد أتاح له فرصة كبيرة ليكسب طيبات الحياة الآخرة بانفاقها في سبيل الله، فكلما أنفق الانسان شيئاً من هذا المال على لذاته وشهوته خسر شطراً مما أهدأ الله تعالى له من الطيبات فيما لو كان ينفق في سبيل الله، فإذا أنفق كلما رزقه الله تعالى من مال في شهواته خسر كلما أعد الله تعالى له من طيبات الحياة الآخرة، فيما لو كان ينفقها في مرضاة الله تعالى، ولو كان ذلك كله في غير ما حرم الله تعالى من اللذات والشهوات.

وهكذا يولد الانسان برأس مال كبير من الفرص الكبيرة لكسب طيبات الحياة الآخرة، فإن المال، والعمر، والشباب، والصحة، والذكاء، والموقع الاجتماعي، والعلم، وغير ذلك من مواهب الله تعالى هي رأس المال الذي يمكن الانسان من

كسب طيبات الآخرة، وكلما يفرط في شيء من ذلك يخسر شطراً من هذه الطيبات، يقول تعالى: ﴿والمعسر﴾ إِنَّ الإنسان لفي خسر^(١).

وهذه المخسارة التي تنسب إليها هذه الآية الكريمة في المواهب التي وهب الله تعالى عباده أولاً، وفيما جعل الله تعالى في هذه المواهب من فرص لكسب طيبات الآخرة ثانياً، وكلما فرط الإنسان في موهبة من هذه المواهب التي رزقه الله تعالى وينفقها من لذاته وشهوته فإنه يخسر في الحقيقة شطراً مما أعد الله تعالى من طيبات الآخرة.

ولأمير المؤمنين (ع) كلمة بليغة ورائعة في تصوير هذا المعنى: يقول (ع): «واعلم أن الدنيا دار بليّة، لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة»^(٢)، والفراغ هنا هو أن يفرغ الإنسان عن ذكر الله تعالى وعن العمل في سبيله، فيعطل جوارحه عن العمل في سبيل الله وجوانحه عن ذكر الله.

وهذا الفراغ ولو كان ساعة، وفي غير معصية الله، يعود عليه حسرة يوم القيامة، لأنه عطل شطراً مما وهبه الله من نعمة العمر، والوعي، والقلب عن ذكر الله وطاعته، وفوت على نفسه من مرضاة الله تعالى وطيبات رزقه في الآخرة ما لا يستطيع أن يدركه بعد أبداً، فكل ما يناله فيما بعد من الطيبات لا يجبر هذا الذي فاتته من الرزق.

٣- ومن سنن الله تعالى في خلقه أن حكمة نمو الإنسان وكماله، وقرينه إلى الله تعالى يتم على طريق ذات الشوكة، وفي شظف العيش وفسوة الابتلاء، واليأساء

(١) سورة المعسر: ١ - ٢.

(٢) بهج البلاغة، الكتاب: ٥٩.

والضراء يقول تعالى: ﴿أَحْسِبُ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^١.
﴿وَلَنُلْوَكَم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ...﴾^٢.

﴿... فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^٣.
وهذه الآية الأخيرة تفسر لنا طبيعة العلاقة بين حركة الإنسان إلى الله من جهة،
والابتلاء والخوف والجوع والنقص من جهة أخرى، فإن التضرع إلى الله من أفضل
وسائل التقرب إلى الله تعالى، ولا يتحقق التضرع في حياة الإنسان إلا من خلال
النقص في النفس والأموال والجوع والخوف والبأساء والضراء.
إذن فكلما ينعم الإنسان بطيبات الدنيا فإنه يخسر بمقدارها التضرع إلى الله،
وبالتالي الحركة والتقرب إلى الله تعالى، وطيبات الحياة الآخرة.

وهذا الشغل والشدة في المعيشة والحياة قد يُعْذَرُ الله تعالى للمصالحين من
عباده إعداداً ليتضرعوا، وقد يختاره أولياء الله الصالحون لأنفسهم اختياراً.

٤- وقد يكون سبب هذا المزوف عن طيبات الحياة الدنيا أن الإنسان يخشى
على نفسه أن تستدرجه طيبات الدنيا إلى حب الدنيا، فيبعد عنه حب الدنيا عن الله
تعالى، وعن طيبات الحياة الآخرة، فإن العلاقة بين التمتع بطيبات الحياة الدنيا
وحب الدنيا علاقة متبادلة «جدلية» فالتمتع بطيبات الحياة الدنيا يحبب الدنيا إلى
نفس الإنسان، ويشدُّ إليها، وبالعكس أيضاً، يدعو حب الدنيا الإنسان إلى
استمجال طيبات الآخرة في الدنيا، والاستغراق في طيبات الدنيا.

(١) المكنوت : ٢.

(٢) البقرة : ١٥٥.

(٣) البقرة : ٤٢.

وعليه فلنكي لا يقع الانسان فريسة لحب الدنيا من حيث لا يعلم، فإن عليه أن يحذر من أن تستدرجه طبيعتها إلى هذه الغاية.

٥- وقد نلتقي في النصوص الاسلامية بما لا ينسجم مع هذا التصور الذي شرحناه، كالنصّ الوارد عن أمير المؤمنين (ع) في العهد الذي عهده إلى محمد بن أبي بكر عند ما نصبه والياً على مصر، يقول الامام (ع) :

«واعلموا - عباد الله - أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرهم، سكتوا الدنيا بأفضل ما سكت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحفظوا من الدنيا بما حظي به المتفرون، وأخذوا منها ما أعده الجبارة المتكثرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الراجح، أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله خدّاً في آخرتهم، لا تُردّ لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذّة!».

وهذا النص يصدد المقارنة بين المتقين وغير المتقين، وهو سياق آخر غير سياق النصوص المتقدمة، فإن النصوص المتقدمة كانت في موضع المقارنة بين درجات المتقين وليس في موضع المقارنة بين المتقين وغيرهم، وهما أمران مختلفان، وحكمهما يختلف.

الرؤية النافذة إلى الدنيا

وإذا تجاوزنا الرؤية السطحية والسادجة إلى الدنيا نلتقي بنوع آخر من الرؤية، يختلف عنها، بالعمق، والجد، والتفوّق، وهو «الرؤية النافذة»، وهذه الرؤية تتجاوز السطح الظاهر من الحياة الدنيا إلى باطن الدنيا وعمقها، وإذا كانت الرؤية السطحية «الضحلة» إلى الدنيا تبهث «حب الدنيا» والاعترايها في نفس الانسان، فإن الرؤية

النافذة والعميقة إلى الدنيا تمنح الإنسان «الزهد» في الدنيا والمزوف عنها ذلك أن الرؤية النافذة تنفذ إلى ما وراء ظاهرها الحياة الدنيا، وتكشف عن زوال متاع الدنيا وتقلبها، وما يؤول إليه أمر الإنسان في الدنيا، فيزهد الإنسان فيها.

وقد ورد في النصوص الإسلامية تأكيد كثير على النظر إلى الدنيا من خلال هذه الرؤية، والتنبيه إلى الموت، والامر يذكر الموت، والنهي عن طول الأمل في الدنيا، والغفلة عن الموت.

و«الموت» هو الوجه الباطن لهذه الدنيا، والذي يحاول الإنسان أن يفر منه، ويتناساه، وقد ورد في النصوص الإسلامية : «ما رأيت يقبلاً أشبه بالشك من الموت» فإن الموت من اليقين الذي لا سبيل للشك فيه، ومع ذلك يحاول الإنسان أن يفر منه، ويتناساه.

وقد ورد في النصوص الإسلامية بعكس ذلك : فمن الامام الباقر (ع) : «أكثرُوا ذكر الموت، فإنه لم يُكثر الإنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا»^١.

وعن أمير المؤمنين (ع) : «من صوّر الموت بين عينيه هان أمر الدنيا عليه»^٢.

وعن الامام علي (ع) : «أحق الناس بالزهادة من عرف نقص الدنيا»^٣.

وعن الامام الكاظم (ع) : «إن العقلاء زهدوا في الدنيا، ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة، وأن الآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة، طلبته الدنيا، حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة، فباب الموت، ويفسد عليه دنياه وآخرته»^٤.

(١) بحار الأنوار ٧٣ : ٦٤.

(٢) غرر الحكم للأمدى ٢ : ٢٠١.

(٣) غرر الحكم للأمدى ١ : ١٩٩.

(٤) بحار الأنوار ٧٨ : ٣٠١.

١٩٢ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

وروي أن الامام الكاظم (ع) حضر جنازة فقال : «إن شيئاً هذا أوله لحفيق أن يخاف آخره»^(١).

وتجدون في هذه النصوص العلاقة الواضحة بين «الزهد» و«ذكر الموت»، وصيبر آخر بين «الرؤية» و«السلوك»، فإن ذكر الموت نحو من الرؤية كما قلنا، والزهد نحو من السلوك.

يقول أمير المؤمنين (ع) في توجيه «الرؤية» وتثييف الناس بالرؤية الصحيحة إلى الدنيا، وتمكينهم منها :

«كونوا عن الدنيا نكّاهاً، وإلى الآخرة ولأها ... ولا تشيموا بأرقها، ولا تسموا ناطقها، ولا تجيئوا فاعقها، ولا تستضيئوا بإسراقها، ولا تفتنوا بأعلاقها، فإن يؤقها خالب، وتطقها كاذب، وأمواتها محروبة، وأعلاقها مسلوكة»^(٢).

وعنه (ع) أيضاً : «وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم»^(٣). وإخراج القلوب من الدنيا هو قطع التعلق بها، وهو «الموت الإرادي» في مقابل خروج الاجساد عن الدنيا الذي هو «الموت القهري» اللاإرادي، والامام (ع) يأمرنا أن نستيق الموت القهري بالموت الإرادي، وقطع التعلق بالدنيا هو «الزهد»، ولا بد أن نتحدث عن «الزهد» حتى نستطيع أن نفهم هذه الرؤية الناقذة إلى باطن الحياة الدنيا وعلاقتها بالزهد.

الزهد

«الزهد» حالة تقابل «حب الدنيا» وهما حالتان من السلوك تنبعان من رؤيتين

(١) بحار الأنوار : ٧٨ : ٣٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة : ١٩١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة : ١٩٤.

مختلفتين، فإنَّ «حُبَّ الدنيا» حالة سلوكية تابعة من رؤية ظاهِر الحياة الدنيا، و«الزهد» حالة معاكسة لحُبِّ الدنيا ينبع من الرؤية النافذة إلى باطن الدنيا و«حُبِّ الدنيا» هو «التعلُّق بالدنيا» وفي مقابلته «الزهد» وهو «التحرُّر من الدنيا» ولا بدَّ من توضيح وشرح لهذا المعنى.

نقول: إنَّ «حُبَّ الدنيا» يتبلور في معنيين اثنين: «الفرح» و«الحزن»، والفرح بما يناله الإنسان من طَيِّبات الدنيا، وهذا هو الوجه الإيجابي لحُبِّ الدنيا، والحزن لما يفقده، أو يفوته من لَذَّات الدنيا وطَيِّباتها، ولَمَّا كان «الزهد» في مقابل «حُبِّ الدنيا»، فإنَّ الزهد في الحقيقة هو التحرُّر من الفرح بما يناله الإنسان من الدنيا، والتحرُّر من الحزن عمَّا يفوته من الدنيا.

يقول تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾^١.

ويقول تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^٢.

وقد روي عن علي أمير المؤمنين (ع): «الزهد كلُّه في كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد»^٣.

وعن علي (ع): «الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن قال الله: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا﴾ فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه»^٤.

وعن علي (ع): «من أصبح على الدنيا حزيناً، فقد أصبح لقضاء الله سائحاً، ومن لهج قلبه بحُبِّ الدنيا التا ط قبله منها ثلاث: هَمٌّ لَا يُؤْبَهُ، وحرص لا يتركه،

(١) آل عمران: ١٥٣.

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) بحار الأنوار ٧٨: ٧٠ وورد بنفس المضمون والمعنى عن الإمام الصادق (ع) بحار الأنوار ٧٨: ١٦٣.

(٤) بحار الأنوار ٧٠: ٣٢.

وأمل لا يدركه^١.

وهو نحو من التوجيه للتحزّر من الحزن والفرح، فإن «الحزن» على الدنيا سخط لقضاء الله، فلا يقوت الإنسان شيء من الدنيا إلا بقضاء من الله وقدر، وحب الدنيا يحتمل الإنسان ثلاث حالات: همّاً، وحرصاً، وأملاً... وكذلك يرهق الإنسان ويعذب به وبخلقه.

وهن أمير المؤمنين علي (ع) أيضاً أنه قال: «أبها الناس إنما الدنيا ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أنه، ولا يحزن على شيء منها قائم، وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه، لما يعلم من سوء عاقبتها وأما الراغب فلا يبالي من جيل أصابها أم من حرام^٢.

وهو من أوزع النصوص الإسلامية في تحديد معنى الزهد، وتصنيف الناس، وموقع الزاهدين في هذا التصنيف، فالتاس ثلاثة: إما زاهد، أو صابر، أو راغب، والزاهد هو المتحرّر من الدنيا وأفراحها وأحزانها، والصابر لم يتحرّر بعد، ولكنّه يكافح، لينتحرر من حب الدنيا، وأفراحها، وأحزانها، والراغب هو المستسلم للدنيا، والمتقاد لها، ولأفراحها، وأحزانها.

والطائفة الأولى والثالثة متقابلتان تماماً، من حيث التحرّر من الدنيا، والاعتناق من قيودها، والاستسلام، والانقياد لها.

ويدعو أمير المؤمنين علي (ع) الناس إلى أن ينقلوا أفراحهم وأحزانهم من الدنيا إلى الآخرة، وهو من أفضل التوجيه للفرح والحزن، فإن الآخرة أولى بأفراحنا عند ما ننال طاعة الله، وحزننا عند ما تفوتنا طاعته وذكره تعالى.

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٢٢٨ ط/ الصالح.

(٢) بحار الأنوار ١: ١٢١.

يقول (ع) فيما يكتبه إلى عبد الله بن عباس : «أما بعد، فَإِنَّ العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته، ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه، فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل وإحياء حق، وليكن سرورك بما قدّمت، وأسفك على ما خلفت، وهنّك فيما بعد الموت»^١.
الزهد مصدر كل خير :

كما أن «حبّ الدنيا» مصدر كل شر في حياة الإنسان، فإنّ «الزهد» مصدر كل خير في حياة الإنسان، وذلك أن حبّ الدنيا يجعل الإنسان في أسر الدنيا والهوى وأسارته، والدنيا مصدر كل شر وسقوط في حياة الإنسان، والزهد تحرّر واعتناق من أسر الهوى والدنيا والتحرر والاعتناق من أسرهما مصدر كل خير في حياة الإنسان.

وقد وردت في النصوص الإسلامية الإشارة إلى هذا المعنى بصيغ مختلفة، ويصور متكررة، وإليك مجموعة من النصوص الإسلامية بهذا المضمون :

عن الصادق (ع) : «جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»^٢.

وعن علي (ع) : «الزهد أصل الدين»^٣.

وعنه (ع) : «الزهد أساس الدين»^٤.

وعن الصادق (ع) : «الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمّدة عليها، ولا عوض منها، بل ترى فوائدها راحة، وكونها

(١) نهج البلاغة، الكتاب : ٦٦.

(٢) بحار الأنوار ٧٣ : ٤٩.

(٣) غرر الحكم للأندلسي ١ : ٢٩.

(٤) غرر الحكم للأندلسي ١ : ٣٠.

آفة، وتكون أبداً هارباً من الآفة، معتمداً بالراحة^١.

وعن علي (ع): «الزهد مفتاح الصلاح»^٢.

الآثار النفسية والسلوكية للزهد:

وللزهد آثار ونتائج كبيرة في حياة الانسان، في نفسه وسلوكه منها:

١- قصر الأمل: فإن الزهد ينتج «قصر الأمل» في الحياة الدنيا، كما كان حب الدنيا في الاتجاه المقابل ينتج «طول الأمل».

والانسان إذا خفّت علاقته بالدنيا وتحرّر منها لا يطول أمله فيها بطبيعة الحال، فيعيش في الدنيا ويتمتع بمتاعها ولذاتها، ولكن لا يفارقه ذكر الموت وانقطاع لذات الدنيا فجأة.

وقد روي عن رسول الله (ص): «من يرغب في الدنيا فطال فيها أمله، أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ومن زهد فيها قصّر فيها أمله، أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية، وأذهب عنه العماء، وجعله بصيراً»^٣.

ومن هذه الرواية: الزهد يؤدي إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يؤدي إلى البصيرة والهدى، والرغبة في الدنيا تؤدي إلى «طول الأمل» وطول الأمل يؤدي إلى العمى، فإنا نرى ما هو سر هذه العلاقة بين قصر الأمل والبصيرة؟

إن طول الأمل يشد الإنسان بالدنيا شداً وثيقاً، ويحبب الدنيا إلى نفسه حباً جماً، وحب الدنيا يحجب الانسان عن الله تعالى، فإذا قصّر أمله بالدنيا ارتفع الحجاب الذي يحجبه عن الله تعالى، وانكشف الغطاء عن قلبه وبصيرته.

(١) بحار الأنوار ٧٠: ٣١٥.

(٢) المغرور والدور للأمدني.

(٣) بحار الأنوار ٧٧: ٢٦٣.

عن رسول الله (ص): «الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عن كل ما حَرَّمَ الله»^١.

وعن علي (ع): «الزهد تقصير الآمال، وإخلاص الأعمال»^٢.
وعنه (ع) أيضاً: «أيها الناس، الزهادة قصر الأمل، والشكر عند النعم، والتورع عند المحارم، فإنَّ عزب ذلك عنكم، فلا يطلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عند النعم شكركم، فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة، وكتب بارزة العذر واضحة»^٣.

٢- التحرُّر والاعتناق من الانفعالات الدنيوية: التحرُّر من الفرح بما يناله الانسان من الدنيا والحزن على ما يفوته من الدنيا.
يقول علي (ع): «فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه»^٤.

ولأمير المؤمنين (ع) كلام رائع شأن كل كلامه (ع) في وصف نتائج الزهد في حياة الانسان أنقله بالنص من «نهج البلاغة»: يقول (ع): «وأسمِعُوا دعوة الموت أذانكم قبل أن يدعى بكم، إن الزاهدين في الدنيا تكي قلوبهم وإن ضحكوا، ويشتد حزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا، قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة، وإنما أنتم إخوان على دين الله، ما فُزِق

(١) بحار الأنوار ٧٧: ١٦٦ وبمضمونها رواية أخرى عن أمير المؤمنين (ع) رواها في ٧٨: ٥٩ من البحار.

(٢) غرر الحكم للأمامي ١: ٩٣.

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ٨١.

(٤) بحار الأنوار ٧٠: ٣٢٠ ونهج البلاغة، الحكمة: ١٣٩.

بينكم إلا تحب السرائر وسوء الضمائر، فلا توازرون، ولا تناصحون، ولا نبأذنون، ولا تواذون؟! ما بالكُم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه، ويفلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم؟ كأنها دار مقامكم، وكأن متاعها باقٍ عليكم!! وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف من هيبه إلا مخافة أن يستقبله بمثله، قد نصافيتم على رفض الآجل، وحب العاجل، وصار دين أحدكم لعنة على لسانه، صنيع من قد فزع من عمله، وأحرز رضا سيده^١.

٣- نفى الركون إلى الدنيا : ومن آثار الزهد في نفس الإنسان هو نفى الركون إلى الحياة الدنيا من النفس، فإن نفس الإنسان - إذا أحببت الدنيا وتعلقت بها - تميل إلى الركون إلى الدنيا واعتبارها مقراً ومقاماً دائماً له، فإذا زهد الإنسان في الدنيا، وأخرج حب الدنيا من قلبه، وانتزع نفسه منها لم يركن إليها، كانت الدنيا له ممراً وقنطرة إلى الآخرة.

والناس يرون الدنيا على نحوين اثنين : فمنهم من يرى الدنيا دار مقام، فيركن إليها، ومنهم من يرى الدنيا ممراً وجسراً للعبور منها إلى الآخرة فلا يركن إليها، وكل يعيش في الدنيا ويعمرها، ويتمتع بما آناه الله تعالى فيها، ولكن الأول منهما تركن إليها نفسه ويتخذها مقراً ومقاماً، فينتزعه الموت منها انتزاعاً، والثاني منهما يتخذها جسراً وممراً، ولا تركن إليها نفسه، ولا تشق عليه مفارقتها عند ما ينتزعه الموت عنها انتزاعاً قهرياً.

وقد ورد في النصوص الإسلامية تمثيلات رائعة، تصور حالة الإنسان في الدنيا وفترة مكث الإنسان فيها، وأنها كما يلجأ الراكب إلى ظل شجرة في الطريق عن حرِّ

الشمس ساعة أو بعض ساعة، ليستريح ثم يتركها ويذهب لشأنه، وكذلك مكث الإنسان في الدنيا.

فهل تصلح الدنيا أن يتخذها الإنسان مقراً ومقاماً، ويركن إليها؟
عن رسول الله (ص) : «ما لي وللدنيا، إنما مثلي كمثل راكب مرّ للقيلولة في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها»^١.

وعن علي (ع) في وصية لابنه الحسن (ع) : «... يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها، وزوالها، وانتقالها، وأنبأتك عن الآخرة وما أعد لأهلها فيها، وضربت لك فيهما الأمثال، لتعتبر بها، وتحذو عليها، إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفرنا بهم منزل جذيب فأثوا منزلاً خصباً، وجناباً مريعاً، فاحتملوا وعشاء الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر ... ومثل من اختار بها كمثل قوم كانوا يعنزل خصب فنها بهم إلى منزل جذيب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفزع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما بهجمون عليه ويصبرون إليه ...»^٢.

ودخل عمر على رسول الله (ص) وهو على حصيرة فد أثرت في جنبه فقال : يا نبي الله، لو اتخذت فراشاً أو ثرمته؟ فقال (ص) : «ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستنزل تحت شجرة ساعة من نهار، ثم راح وتركها»^٣.

وعن علي (ع) : «إن الدنيا ليست بدار قوار ولا محل إقامة، إنما أنتم فيها كركب عرشوا وارتاحوا، ثم استقلوا فغدروا وراحوا، دخلوها خفافاً، وارتحلوا عنها ثقلاً».

(١) بحار الأنوار ٧٣ : ١١٩.

(٢) نهج البلاغة، في الكتب : ٣١.

(٣) بحار الأنوار ٧٣ : ١٢٢.

فلم يجدوا عنها نزوعاً، ولا إلى ما تركوها رجوعاً^١.

وقيل للنبي (ص): كيف يكون الرجل في الدنيا؟ قال: كما تمر القافلة، قيل: فكيف القرار فيها؟ قال: كقدر المتخلف عن القافلة، قيل: فكيف ما بين الدنيا والاخرة؟ قال: غمضة عين، قال الله عز وجل: «كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار»^٢.

عن علي (ع): «الدنيا ظلّ الضمام، وحلم المنام»^٣.

وعن الباقر (ع): «إنّ الدنيا عند العلماء مثل الظل»^٤.

وعن أمير المؤمنين علي (ع): «ألا وإن الدنيا دار لا يسلم منها إلا فبها، ولا ينجى بشيء كان لها، أبتلي الناس فيها فتنة فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها، قدموا عليه وأقاموا فيه، فإنها عند ذوي العقول كفيء الظلّ بينا تراه سابغاً حتى قلص، وزائداً حتى نقص»^٥.

الدنيا قطرة:

وبهذه الرؤية التي يسلمح الاسلام بها المسلم، يجد الانسان المسلم الدنيا جسراً، يمرّ عليه، وليست داراً يستقرّ فيها، وهذه رؤية متميزة إلى الدنيا تستتبع حالة متميزة «هي حالة عدم الركون» وتستتبع سلوكاً معيناً في الدنيا.

عن المسيح (ع): «إنما الدنيا قطرة»^٦.

(١) بحار الانوار ٧٨ : ١٨.

(٢) بحار الانوار ٧٣ : ١٢٢.

(٣) غرر الحكم للأعدي ١ : ١٠٢.

(٤) بحار الانوار ٧٣ : ١٢٦.

(٥) نهج البلاغة، النخبة : ٦٣.

(٦) بحار الانوار ١٤ : ٣١٩.

وعن علي (ع) : «أبها الناس إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار، فخذوا من معركم لمعركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم»^(١).

وعن علي (ع) : «الدنيا دار ممز ولا دار مقر، والناس فيها رجلا ن : رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها»^(٢).

العلاقة المتبادلة بين الأسباب والنتائج :

إن من روائع الفكر الإسلامي هو كشف العلاقات المتبادلة بين الأسباب والنتائج في المسائل الإنسانية، فقد تكون العلاقة السببية بين طرفي العلاقة تبادلية، وكل منهما يؤثر في الطرف الآخر تأثيراً إيجابياً، وأمثلة ذلك كثيرة في المسائل الإنسانية. ومن أمثلته العلاقة بين الزهد والبصيرة، فكما أن البصيرة تؤدي إلى «الزهد» كذلك «الزهد» يؤدي إلى البصيرة.

وفيما يلي نذكر مجموعتين من النصوص الإسلامية نخص كل مجموعة منهما إحدى هاتين المعادلتين المتبادلتين والمتقابلتين.

في علاقة الزهد بالبصيرة :

نقرأ عن رسول الله (ص) في تفسير قوله تعالى : «وَأَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُوْبٍ مِنْ رَبِّهِ» فقال : «إن النور إذا وقع في القلب انفسح له وانتشر» قالوا يا رسول الله : فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال : «الشجاف من دار الفرو، والآنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»^(٣).

وعن علي (ع) : «أحق الناس بالزهادة، من عرف نقص الدنيا»^(٤).

(١) نهج البلاغة : ١٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة : ١٨ : ٣٢٩.

(٣) بحار الأنوار : ٧٣ : ١٢٢.

(٤) غرر الحكم للأصمدي.

وعنه (ع) أيضاً: «من صَوَّر الموت بين عيَّته، هَانَ أمر الدنيا عليه»^١.

وعنه (ع) أيضاً: «زهد المرء فيما يفتنى، على قدر بقينه فيما يبقى»^٢.

ومن هلاقة البصيرة بالزهد:

نقرأ عن رسول الله (ص): «يا أباذر: ما زهد جيد في الدنيا، إلا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، ويبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»^٣.

وعن رسول الله (ص): «من يرغب في الدنيا فطال فيها أمله، أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ومن زهد فيها فقصر أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية، وأذهب عنه العماء وجعله بصيراً»^٤.

ويخرج رسول الله (ص) ذات يوم فقال: «هل منكم من يريد أن يؤتبه الله علماً بغير تعلم، وهدياً بغير هداية؟ هل منكم من يريد أن يذهب عنه العمى ويجعله بصيراً؟ ألا إنه من زهد في الدنيا، وقصر أمله فيها، أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدياً بغير هداية»^٥.

وعن رسول الله (ص): «يا أباذر إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه، فإنه يلقى الحكمة»^٦.

وهكذا يتبادل البصيرة والزهد، فيؤدى الزهد إلى البصيرة، وتؤدى البصيرة إلى

(١) غرر الحكم للأعشى.

(٢) بحار الأنوار ٧٠ : ٣١٩.

(٣) بحار الأنوار ٧٧ : ٨ ومكارم الاخلاق : ٨١.

(٤) بحار الأنوار ٧٧ : ٢٦٣.

(٥) الدر المنثور ١ : ٦٧.

(٦) بحار الأنوار ٧٧ : ٨٠.

الزهد، وكذلك يتبادل «الزهد» و«قصر الأمل» في الدنيا فيؤدّي الزهد إلى قصر الأمل ويؤدّي قصر الأمل إلى الزهد.

ففي علاقة قصر الأمل بالزهد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) : «الزهد يخلق الأبدان، ويحدّد الأمال، ويقرب المنية، ويباعد الأمتية، من ظفر به نصب، ومن فاته تعب»^١.

وفي علاقة الزهد بقصر الأمل روي عن الإمام الباقر (ع) : «استجلب حلالة الزهادة بقصر الأمل»^٢، وكشف هذه العلاقة المتبادلة بين هذه العناصر المتقابلة من روائع وخصائص الفكر الإسلامي.

ومن خصائص العلاقة المتبادلة هو : الحركة الصاعدة للإنسان بين هذين القطبين المتبادلين «البصيرة» و«الزهد»، أو بين «قصر الأمل» و«الزهد» مثلاً، فإن البصيرة تؤدّي إلى الزهد، والزهد يؤدّي إلى مستوى أرفع من البصيرة، ثم البصيرة الجديدة تؤدّي إلى مستوى أرفع من الزهد، وهكذا يتصاعد الإنسان بين القطبين.

الدنيا المذمومة والدنيا الممدوحة

١- الدنيا المذمومة :

وبعد فقد ذكرنا من قبل أن للدنيا وجهاً ظاهراً ووجهاً باطناً، والوجه الظاهر للدنيا هو مصدر «الاعتقار» ويقرس حب الدنيا في نفس الإنسان، والوجه الباطن منها مصدر «الاعتبار» ويقرس في نفس الإنسان «الزهد»، والوجه الظاهر هو «الدنيا المذمومة» في النصوص الإسلامية، كما أن الوجه الباطن هو «الدنيا

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٣١٧.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ١٦٤.

الممدوحة».

وفي الحقيقة إن وجهي الدنيا هما طريقان للنظر إلى الدنيا، كما ذكرنا من قبل، فليس للدنيا وجهان، وإنما الدنيا حقيقة واحدة، فإذا نظر إليها الإنسان نظر الاغترار كانت الدنيا مذمومة، وإذا نظر إليها الإنسان نظر الاعتبار كانت الدنيا ممدوحة، ومن عجب أن الوجه المذموم من الدنيا يستخرج من الوجه الظاهر للدنيا المثير والمغري والمشح باللذات والشهوات.

وفيما يلي نشير إلى طائفة من النصوص الإسلامية الواردة في بيان الوجه المذموم للدنيا :

عن علي (ع) : «الدنيا سوق الخسران»^١.

وعنه (ع) : «الدنيا مصرع المقول»^٢.

وعنه (ع) : «الدنيا ضحكة مستعيرة»^٣.

وعنه (ع) : «الدنيا مطلق الكياس»^٤.

وعنه (ع) : «الدنيا معدن الشرور، ومحل الغرور»^٥.

وعنه (ع) : «الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تفي لصاحب»^٦.

وعنه (ع) : «الدنيا مزرعة الشر»^٧.

(١) غرر الحكم للأمدى ١ : ٢٦.

(٢) غرر الحكم للأمدى ١ : ٤٥.

(٣) غرر الحكم للأمدى ١ : ٢٦.

(٤) غرر الحكم للأمدى ١ : ٢٨.

(٥) غرر الحكم للأمدى ١ : ٧٣.

(٦) غرر الحكم للأمدى ١ : ٨٥.

(٧) غرر الحكم للأمدى ١ : ٢٦.

وعنه (ع) : «الدنيا مُنِيَّةُ الاشقياء»^١.

وعنه (ع) : «الدنيا تُنْهِكُ»^٢.

وعنه (ع) : «الدنيا تُؤَلِّقُ»^٣.

التحذير من الدنيا :

ومن هذه الدنيا يحذّرنا أمير المؤمنين (ع) فيقول (ع) : «أحذّركم الدنيا فإنّها ليست بدار غبطة، قد تزينت بفروها، وغرت بزینتها لمن كان ينظر إليها»^٤.

ويقول (ع) أيضاً : «أحذّركم الدنيا فإنّها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات»^٥.

وعنه (ع) : «احذروا هذه الدنيا، الخداعة الغدّارة، التي قد تزينت بحليها، وفنت بفروها، فأصبحت كالعروسة المجلّوة، والعيون إليها ناظرة»^٦.

٢- الدنيا الممدوحة :

والوجه الآخر للدنيا أو الرؤية الأخرى للدنيا هي الدنيا الممدوحة والرؤية الممدوحة لها، ومن عجب أن هذه الرؤية الممدوحة للدنيا تستخرج من باطن الدنيا الزائل المتقلب، والدنيا المذمومة تستخرج بالعكس من الوجه الظاهر، المغري، والمثير، والملذ للدنيا.

ومهما كان من أمر فإنّ للدنيا وجهين : وجهٌ ممدوحٌ ووجهٌ مذمومٌ، والدنيا في وجهها الممدوح رابحة، وليست خاسرة، ونافعة وليست ضارة، وهي بهذا المعنى

(١) غرر الحكم للأُمّدي ١ : ٣٧.

(٢) غرر الحكم للأُمّدي ١ : ١١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) بحار الأنوار ٧٨ : ٢١.

(٥) بحار الأنوار ٧٣ : ٩٦.

(٦) بحار الأنوار ٧٣ : ١٠٨.

١٧٦ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

بلاغ الآخرة، ومركب المؤمن، ودار صدق، ومنجى أولياء الله، ولا يصح ذمها بهذا المعنى، ولتلق نظرة في النصوص الإسلامية التي تتعرض للوجه الممدوح من الدنيا:

١- الدنيا بلاغ الآخرة:

عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع): «الدنيا دنياءان، دنيا بلاغ، ودنيا مملونة»^(١).

وبعني بدنيا البلاغ: الدنيا التي تبلغ الإنسان الآخرة، وتوصله إلى الله، وهو معنى البلاغ، وهذه هي إحدى الدنيتين.

والدنيا الثانية: هي الدنيا المملونة، وهي التي تبعد الإنسان وتطرده عن الله تعالى فإن اللعن بمعنى الطرد والابعاد، ولا بد أن تكون دنيا الإنسان واحدة من هاتين، إما دنيا البلاغ إلى الله، أو دنيا البعد عن الله.

والحقيقة الأخرى التي تنطوي عليها هذه الحقيقة: أن الإنسان لا يمكن أن يراوح في مكانه في الدنيا، فإما أن يتقرب إلى الله تعالى أو يبتعد عن الله تعالى. وعن أمير المؤمنين علي (ع): «لا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ»^(٢).

إذن البلاغ هو الغاية في هذه الدنيا، وما يطلبه الإنسان في هذه الدنيا من مال ومتاع فهو واسطة وأداة للوصول إلى تلك الغاية، فعلى الإنسان - إذن - أن يكتفي من طلب الدنيا بما يكفيه للوصول إلى تلك الغاية، فلا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تجعلوا الوسطة غاية يطلبها الإنسان لنفسه، فإن الدنيا وما فيها من المتاع

(١) بحار الأنوار ٧٣: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٧٣: ٨١.

واسطة، وليست غاية، والغاية البلاغ.

يقول أمير المؤمنين (ع) : «الذي خلقنا خلقنا لغيرها، ولم تخلق لنفسها»^١.
ومن الخطأ : أن تتحول الوسطة إلى غاية، كما أن من الخطأ : أن تكون الوسطة
واسطة وغاية في وقت واحد، ولذلك يقول أمير المؤمنين (ع) : «ولا تطلبوا منها
أكثر من البلاغ».

وأما عن السمي والحركة لتبليغ الدنيا، يقول الامام (ع) : «لا تسألوا فيها فوق
الكفاف»، وهو تحديد دقيق للنظرية الاسلامية في «السمي للرزق» فإن متاع الدنيا
واسطة من دون شك لبلاغ الآخرة، ولا بدّ من السمي لتحصيله وكسبه، ولكن مما لا
ينبغي أن يتصرف الانسان إليه هو الحد الزائد عن الكفاف، والكفاف ما يكفي
الانسان من متاع التحقيق «البلاغ» وهو ما يسدّ حاجة الانسان في الحياة الدنيا.

وللانسان حاجة حقيقية، وأخرى وهمية كاذبة، أما الحقيقة فهي معروفة
وضرورية لا بدّ منها، لكي يعيش الانسان ويحقق البلاغ في حياته الدنيا، وأما
الحاجة الوهمية والكاذبة التي تتمثل للانسان على صورة «الحاجة» فهي من
الجشع، وإذا اسلم الانسان لها فلا نهاية لها، وليس لها من حدّ تقف عنده،
وتستهلك كل حركة الانسان وجهده، ولا تزيده إلا عذاباً وحرصاً.

روي عن الامام الصادق (ع) : «أن أمير المؤمنين (ع) كان يقول : «يا بن آدم : إن
كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإن أسر ما فيها يكفيك، وإن كنت إنما تريد ما لا
يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك»^٢.

وقد وردت هذه المعاني الدقيقة في النصوص الاسلامية كثيراً : عن أمير

(١) نهج البلاغة، المكية : ٤٥٥.

(٢) أصول الكافي : ٢ : ١٣٨.

المؤمنين (ع) : « ألا وإن الدنيا دار لا يُسَلَّم منها إلا فيهما، ولا يتجلى بشيء كان لها، ابتلي الناس بها فتنة، فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه^١ ».

وهذه الكلمات على إيجازها تحمل معاني كبيرة، فالدنيا ودار لا يُسَلَّم منها إلا فيها، فهي مركب المؤمن للفرار من الشيطان والوصول إلى الله تعالى، وبغيرها لا يسلم الإنسان، ومن عجب أن الذي يعتزل الدنيا والناس لا يبلغ الغاية التي أرادها الله تعالى له من فريه، فقد شاء الله أن لا يتال الإنسان هذه الغاية إلا في الدنيا وبالدنيا.

إذن فالدنيا واسطة ووسيلة لا يمكن الاستغناء عنها في تحقيق هذه الغاية، وهذه هي الحقيقة الأولى في هذا النص، ولكن على أن لا تكون الدنيا التي تحمل الإنسان إلى الله غاية في نفسها، فإذا كانت الدنيا للإنسان غاية، وليست واسطة، لم يتج الإنسان بها ولا يتجى بشيء كان لها، فإذا أخرج الإنسان الدنيا من موضعها في نفسه وهي الواسطة، وأعطاهما من نفسه منزلة الغاية والهدف، فقدت الدنيا القدرة على أن تنجي من الشيطان وتوصله إلى الله... وهذه هي الحقيقة الثانية في هذا النص.

ثم إن ما يأخذه الإنسان من هذه الدنيا للدنيا، وليس لله ولكي يتضرب به إلى الله تعالى، ويمكنه من الوصول إلى مرضاة الله فهو شيء يلهيه عن الله تعالى، وعجيب أمر هذه الدنيا، إن أخذ الإنسان منها شيئاً وسيلة وواسطة سلك به إلى الله، وأخبره الله تعالى له، وبقي له وأقبل عليه، وأقام فيه، في آخرته، وإذا أخذ منها شيئاً غاية، وليس وسيلة، ألهاه عن الله وأبعد طريقه إليه تعالى، ثم ينتزعه منه

الموت انتزاعاً، ثم يحاسب عليه حساباً عسيراً، إذا قدم على الله تعالى.
ومن المهم أن نعرف أن الفرق ليس بالكم، وإنما بالكيف، فقد ينال الإنسان دنياً عظيمة وواسعة، فيوظفها في سبيل الله تعالى، وللوصول إليه، فتبقى له عملاً صالحاً، يقدم عليه في الآخرة، وقد ينال الإنسان دنياً بائسة، يطلبها لنفسها فتنتزع منه ويحاسب عليها، وهذه هي الحقيقة الثالثة في هذا النص.

ثم إن هذه الدنيا إذا أخذت لنفسها، كانت «عاجلة» تختص بهذه الدنيا، ولا تمتد إلى الآخرة، وزائلة لا تبقى ويسرع إليها الزوال، وإذا كانت لغيرها كانت «آجلة»، تسبق إلى الله، فإذا قدم على الله تعالى وجدها حاضرة عند الله، وكانت باقية، لا يجد إليها الزوال سبيلاً، وما عند الله خير وأبقى، «وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه» وهذه هي رابعة الحقائق في هذا النص الشريف.

وفي الدعاء الوارد في زيارة الحسين (ع) : «ولا تشغلني بالاكثار عليّ من الدنيا، تلهيني عجائب بهجتها، وتفتنني زهرات زينتها، ولا بإفلال يضرّ بمملي، ويملاً صدري همّ»^(١).

والذي ذكرناه من قبل في شأن الدنيا، وعلاقتها بالإنسان، وما ينبغي له منها، وما يزول، وما ينفعه منها، وما يضرّه، من حيث الكيف فقط، ولا علاقه له بالكم، ولكن للكم أيضاً دور في جهة الدنيا وتكييفها، فالاكثار من الدنيا وبهجتها يشغل الإنسان، ويلهي عن الله تعالى، وفلما يتقن أن يكثر حظ الإنسان من الدنيا، ولا تشغله وتصرفه عن الله، إلاّ بجهد وعناء كبيرين، كما أن الدنيا إذا شحت على الإنسان، وأدبرت كان ذلك نوعاً آخر من الابتلاء يشغل الإنسان همه عن الانصراف إلى الله. ولذلك فإن النص يطلب من الله تعالى أمراً وسطاً بينهما، لا إكثاراً يلهي الإنسان

(١) معارج الأنوار ١: ١٠١ - ٢٠٨.

١٨٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

عن الله، ولا إقلاقاً يضرّ عمله ويشغله عن الله.

٢- الدنيا مركب المؤمن :

عن رسول الله (ص) : « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن، فعليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشره^١ ».

فالدنيا هي المركب الذي يركبه الانسان إلى الله تعالى، ويفرّ به عن جهنم، وهذا هو الوجه الممدوح للدنيا، فلولا الدنيا لما استطاع الانسان أن يحقق مرضاة الله، وأن يتحرك إلى الله، وإنما يصل أولياء الله تعالى إلى ما يصلون إليه من مقام رفيع عند الله بالدنيا.

٣- الدنيا دار صدق واعتبار.

٤- الدنيا دار عالية.

٥- الدنيا دار غنى وتزود.

٦- الدنيا دار موعظة.

٧- الدنيا مسجد أحبّاء الله.

٨- الدنيا متجر أولياء الله.

قال أمير المؤمنين (ع) وقد سمع رجلاً يذم الدنيا :

«أيها الذام للدنيا المغترّ بغيرورها المنخدع بأباطيلها! أنفتر بالدنيا ثم تذمّها، أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك؟ متى استهوتك؟ أم متى غرتك؟ أيمصّارح آباتك من اللبن، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم علّلت بكفيك؟ وكم مرّضت بيديك؟ تبتغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الاطباء، غداة لا يقني عنهم دواؤك، ولا يجدي عليهم بكاؤك، لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تُسَقِّف فيه

(١) بحار الأنوار ٧٧ : ١٧٨.

بطلبك، ولم تدفع عنه بقوتك، وقد مثَّلْتُ لك به الدنيا نفسك، وبمصرعه مصرعك، إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحبَّاء الله، ومصلَّى ملائكة الله، ومهبط رحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وريحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمُّها وقد أذنتَ بينها، ونادتَ بفرافها، ونعتَ نفسها وأهلها، فمثَّلْتُ لهم ببلائها البلاء، وشوقهم بسرورها إلى السرور؟! راحت بعافية وابتكرت بفسحة، ترغيباً وترهيباً وتخوفاً وتحذيراً، فذمُّها رجال غداة الندامة، وحملها آخرون يوم القيامة، ذكَّرتهم الدنيا فتذكَّروا، وحدَّتْهم فصدقوا، ووعظتْهم فأتعظوا^١.

٩- الدنيا سوق :

عن الإمام الهادي (ع) : «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون»^٢.

١٠- الدنيا عون على الآخرة :

عن الإمام الباقر (ع) : «نعم العون الدنيا على الآخرة»^٣.

١١- الدنيا ذخيرة :

عن علي (ع) : «الدنيا ذخيرة والعلم دليل»^٤.

١٢- الدنيا دار المتقين :

عن الباقر (ع) في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾ قال : «الدنيا»^٥.

(١) نهج البلاغة، الحكمة : ١٢٦.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ٣٦٦.

(٣) بحار الأنوار ٧٢ : ١٢٧.

(٤) فروع الصلوة للأئمة.

(٥) بحار الأنوار ٧٢ : ١٠٧.

١٣- الدنيا تحرز الآخرة :

عن علي (ع) : «بالدنيا تحرز الآخرة»^١.

إذن فالدنيا مدوحة في الإسلام، وهي متجر أولياء الله، ومسجد أحبّاء الله، والبلاغ إلى الآخرة، والمحل الذي يتزود منه المؤمنون، هذا كله لو أنه أبصر بالدنيا، وأما لو أبصر إليها فهي تمعبه كما يقول الامام أمير المؤمنين علي (ع)^٢.

وقد روي أنه عليه السلام لما قال : «أيها الذام للدنيا أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمة عليك؟» قال قائل : بل أنا المتجرّم عليها يا أمير المؤمنين. فقال : «فلم ذممتها؟ أليست دار صدق لمن صدقها؟»^٣.

٣- وأشغلت قلبه بها

التبادل بين الجريمة والعقوبة

هذه هي العقوبة الثالثة للذين يُعرضون عن الله تعالى ويقبلون على أهوائهم، وهي عقوبة من نوع الجريمة، والعقوبة إذا كانت من سنخ الجريمة تكون «تكوينية» وليست «قضائية»، والعقوبة التكوينية من أكثر العقوبات عدالةً، ولا سبيل للفقرار منها، والجريمة هنا هي الانشغال بالهوى عن الله، والعقوبة من نفس النوع، وهي الانشغال بالدنيا عن الله : «وشغلت قلبه بها».

إذن فإن العلاقة بين الجريمة والعقوبة علاقة تبادلية «جدلية»، فإن الجريمة

(١) بحار الأنوار ٦٧ : ٦٧.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ٤.

(٣) بحار الأنوار ٧٨ : ١٧.

والانشغال بالهوى عن الله تستوجب العقوبة والانشغال بالدنيا عن الله، وهي بطبيعة الحال تضاعف الجريمة، وتوسعها، وتضخمها، فيستحق المجرم العقوبة نفسها بدرجة أعلى من السابقة، وهكذا، إذن تكون العقوبة من نوع الجريمة كما ذكرنا، ولكنها تختلف عنها في كونها تصعد الجريمة وتشددها، فنستحق بذلك درجة أعلى من العقوبة، وبهذه الطريقة تتحرك الجريمة وتكبر في خط متصاعد. ويرتكب الانسان الجريمة أول ما يرتكب وهو يملك كامل اختياره، ويتمتع بكل ما رزقه الله تعالى من الحصانة ضد السفوط والاعتراف، فإذا استمر في الجريمة، ولم يرتدع عاقبه الله تعالى بتمكينه من نفس الجريمة ولكن في هذه العقوبة يسلبه الله تعالى بعض ما رزقه من حصانة، وبعض ما رزقه من سيطرة على نفسه، وقدرة على الاختيار.

وكلما تتصاعد درجة العقوبة أكثر يزداد نوعه في الجريمة، وتضعف قدرته على نفسه، وتضعف درجة الحصانة لديه، حتى يسلب الله تعالى كل ما وجبه من الحصانة، وكل سيطرة على نفسه، وهذه العقوبة التي ينتهي إليها أمثال هؤلاء المجرمين من فقدان الحصانة والسيطرة على النفس لا تنفي استحقاتهم للعقوبة، لأن المراحل الأولى من ممارستهم للجريمة كانت مقترنة بالحصانة الكاملة عن الجريمة، والسيطرة على النفس، والقدرة التامة على الاختيار، وذلك كمن يُلقي بنفسه من مكان شاهق بالاختيار، فيفقد عند السقوط السيطرة على نفسه ... فإن مثل هذا الانسان لا يُعد فاقداً للاختيار.

الوجه الايجابي والسلبي للاشتغال بالدنيا

وللاشتغال بالدنيا وجهان : وجه إيجابي ووجه سلبي.

أما الوجه الايجابي فهو أن ينصرف هم الانسان إلى الدنيا ويكون نعلقه بها

وهمة فيها، وهذه الحالة في حد نفسها حالة مرضية خطيرة تستحوذ الدنيا فيها على قلب الإنسان وتسيطر عليه.

وقد ورد في الدعاء عن رسول الله (ص): «اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا»^١.

وليس من بأس على الإنسان أن يهتم بدنياه، أما إذا جعل الدنيا أكبر همومه فقد حكّم الدنيا على قلبه، وجعل لها السلطان الأول على حياته، وكانت الدنيا هي التي توجهه، وهذه هي الحالة المرضية للقلب، وفي وصية الامام أمير المؤمنين (ع) لابنه الحسن المجتبي (ع): «ولا تكن الدنيا أكبر همك»^٢.

وأما الوجه السليم للاشتغال بالدنيا فهو الانقطاع عن الله، فإن الاشتغال بالدنيا انقطاع إليها عن الله، وهو أمر طبيعي، فإن الدنيا إذا كانت أكبر هم الإنسان فإنها تكون هي الموجهة له، وليس مرضاة الله تعالى، وعند ذلك يتغلق قلب الإنسان على الله تعالى بمقدار ما يفتح قلبه على الدنيا، فإذا كانت الدنيا أكبر همّه كانت مرضاة الله تعالى أقل اهتماماته وأضعفها، وإذا كانت الدنيا كل همّه انغلق قلبه على الله تعالى انغلاقاً كاملاً.

وهذه الحالة «السلبية» نتيجة للحالة السابقة، وهي من أخطر الحالات المرضية عند الإنسان.

والقرآن الكريم يستعرض هذه الحالة المرضية في مواضع كثيرة، ويحاول من متعدّد، نستعرض هنا جملة منها، على شكل عناوين مما يعدّه القرآن من أعراض هذه الحالة وتطوّراتها، وإليك طائفة من هذه العناوين.

(١) بحار الأنوار ٩٥ : ٣٦١ ومبلغ علمنا بمعنى متبهم علمنا.

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٢٠٢.

عناوين انغلاق القلب على الله

١- الرزين :

وهو الصدا الذي يعلو القلب، يقول تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١، يقول الراجب في «المفردات» في تفسير هذه الآية : «أي صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم فغمي عليهم معرفة الخير من الشر»^٢.

٢- الصرغ :

وهي كالمقوية بصرف الله فيها القلوب اللاحية عن ذكره، يقول تعالى : ﴿صِرَافَ اللَّهِ لَظُهُمَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^٣.

٣- الطبع :

يقول تعالى : ﴿وَنُطِغَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ لَعَلَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^٤، أي صبغ قلوبهم بصبغة غير صبغة الله، وهي صبغة الهوى والدنيا.

٤- الختم :

يقول تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^٥، والختم أشد من الطبع، وهو الافر الذي يتركه الخاتم.

٥- الاقفال :

يقول تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^٦.

(١) المطففين : ١٤.

(٢) المفردات للراجب الأصفهاني : ٢١٤ تحقيق نديم موهبي.

(٣) التوبة : ١٢٧.

(٤) الأعراف : ١٠٠.

(٥) البقرة : ٧.

(٦) محمد : ٢٤.

٦- التغليف :

يقول تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ يَلُومُهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾^١. ويقول تعالى : ﴿وَقُلُوبُهُمْ غُلْفٌ يَلُومُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾^٢.

٧- التكنين :

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾^٣. ويقول تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾^٤.

٨- التشديد :

يقول تعالى : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^٥.

٩- القسوة :

يقول تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^٦. ويقول تعالى : ﴿وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^٧.

تلك صور من انغلاق القلب وأعراضه وتطوراته يذكرها القرآن ضمن هذه المناوئين.

(١) البقرة : ٨٨

(٢) النساء : ١٥٥.

(٣) نعلت : ٥.

(٤) الانعام : ٦٥.

(٥) يونس : ٨٨.

(٦) الزمر : ٢٢.

(٧) الحديد : ١٦.

كيف تتحول الدنيا إلى سجن؟

فإذا انقلب قلب الإنسان على الله تعالى تحولت الدنيا إلى سجن يحتوي الإنسان، ويتحوذ عليه ولا يستطيع أن يخرج منه، فإن السجن يحبس الإنسان عن الخروج ويقيد حركته، وكذلك الدنيا تسجن الإنسان وتقيد حركته، وتمنعه من الاقلاع والانطلاق، ونستأثر بكل اهتماماته وطموحاته، ونقطع عن الله تعالى.

وقد ورد هذا المعنى في النصوص الإسلامية، ففي الدعاء عن الامام أبي جعفر الباقر (ع) : «ولا تجعل الدنيا عليّ سجنًا»^١، وفي الدعاء عن الامام جعفر الصادق (ع) : «ولا تجعل الدنيا عليّ سجنًا، ولا تجعل فراقها لي حزنًا»^٢.

ومن عجب أن يشق على السجين فراق السجن ويحزن له إذا خرج منه، وهذا السجن ليس كسائر السجون، يألفه الإنسان، ويأنس إليه، ويسجن نفسه فيه، ويمكنه من نفسه، ولا يستطيع أن يفارقه، فإذا انتزع منه انتزاعاً حزن عليه وشق عليه أن يفارقه.

وعند ما يمكن الإنسان الدنيا من نفسه تشبهك الدنيا بالإنسان، كما يشبهك الاخطبوط، فتغل يدبه ورجليه، وتقيد حركته، وتستعبده.

عن أمير المؤمنين (ع) : «إن الدنيا كالشبكة تلتصق على من رغب فيها»^٣.

ومرة أخرى بلغت نظرنا هذه العلاقة بين «السجن والسجين» في النصوص الإسلامية «تلتصق على من رغب فيها».

وعنه (ع) أيضاً : «من أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا»^٤.

(١) بحار الانوار ٩٧ : ٣٧٩.

(٢) بحار الانوار ٩٧ : ٣٢٨.

(٣) غرر الحكم للأمدى.

(٤) بحار الانوار ١٠٣ : ٢٢٥.

أهل الدنيا

أولئك «أهل الدنيا» وإن للدنيا أهلاً، وللآخرة أهلاً، وأهل الدنيا هم الذين يخلدوا إلى الدنيا ويركضون إليها، ولا يطيقون مفارقتها، كما لا يطيق الإنسان مفارقة أهله.

وأهل الآخرة يعيشون في الدنيا، كما يعيش غيرهم، ويتمتعون بطيباتها ولذاتها كما يتمتع غيرهم، ولكن دون أن يخلدوا إلى الدنيا ويركضوا إليها ... وهؤلاء هم أهل الله.

ولأهل الآخرة صفات، ولأهل الدنيا صفات، ونجد في حديث المعراج وصفاً لأهل الدنيا :

عن رسول الله (ص) : «أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه، قليل الرضا، لا يعتذر إلى من أساء إليه، ولا يقبل معذرة من اعتذر إليه، كلال عند الطاعة، شجاع عند المعصية، آمنه بعيد، وأجله قريب، لا يحاسب نفسه، قليل المنفعة، كثير الكلام، قليل الخوف، وإن أهل الدنيا لا يشكرون عند الرخاء ولا يصبرون عند البلاء، يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون، ويدعون بما ليس لهم، ويتكلمون بما يتمنون، ويذكرون مساويء الناس ويخفون حسناتهم»^١.

إن أهل الدنيا يسكنون إليها ويجدون فيها أنساً وسكناً، وتستقر نفوسهم فيها، والدنيا ليست بدار قرار، فإذا أنسى الإنسان بهاء وسكن إليها فقد وقع في شرك تلبيس الدنيا، حيث توهم أن الدنيا دار قرار، وهي ليست كذلك.

يقول أمير المؤمنين (ع) : «... وأعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفتاء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنت في منزل قلعة ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة ...

وإياك أن تفتخر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، وتكالهم عليها، فقد نبأك الله عنها، وتعت لك نفسها، وتكسفت لك عن ماويها...^١

تلبيس الدنيا

وهذا من تلبيس الدنيا، حيث يتوهمها الانسان دار قرار، بأوي ويسكن إليها، وهي دار مجاز وعبور، لا قرار لها، ولا قرار فيها، والانسان فيها غريب، يقيم فيها أياماً لينتقل منها إلى الآخرة، وهو مع ذلك يركن إليها ويخلد إليها. عن رسول الله (ص): «كن في الدنيا كأنك غريب، أو كأنك عابر سبيل»^٢، وعن علي (ع): «أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من معركم لمعركم»^٣.

والمسألة هنا نفسية، فإن الانسان الذي يعبر الطريق، لا يمكن الطريق من نفسه، بعكس الذي يستقر في دار، فإنه يأنف الدار، ويمكن الدار من نفسه، وللمسيح عيسى بن مريم (ع) كلمة معبرة ورائعة في هذا المعنى: فقد روي عنه (ع): «من ذا الذي يبني على موج البحر داراً، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً»^٤، إن الدنيا لا قرار لها، كما لا قرار لموج البحر، فكيف تسكن النفوس إليها، وتخلد إليها، وهل يمكن أن يتخذ الانسان لنفسه داراً على موج البحر؟

وروي أن جبرئيل (ع) قال لنوح (ع): «يا أطول الانبياء عمراً، كيف وجدت

(١) نهج البلاغة الكتاب: ٣١.

(٢) بحار الأنوار ٧٣: ٩٩.

(٣) نهج البلاغة، المغلطة: ٢٠٣.

(٤) بحار الأنوار ١٤: ٣٢٦.

١٩١ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الدنيا؟ قال : كداز لها باهانه دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر^(١)، وهذا الاحساس الذي يحس به شيخ الانبياء (ع) في اللحظات الاخيرة من عمره هو الاحساس الصادق الذي خلص من تلبيس الدنيا.

فإذا ألف الدنيا وسكن إليها تغير عنده هذا الاحساس وأنس بها، والتفت عليه الدنيا، وأوقعته في شركها، ووقع في تلبيسها، وهذا حال أهل الدنيا الذين يتصورون أن فيها قراراً وسكناً للإنسان.

(١) ميزان الحكمة ٣ : ٣٣٩.

الفصل الثالث

من يؤثر

هوى الله على هواه

تحدثنا في الفصل السابق بتفصيل عمن يؤثر هواء على هوى الله، وتحدث الآن إن شاء الله عمن يؤثر هوى الله على هواء، وقبل أن ندخل تفاصيل البحث نستعرض نصوص الروايات لهذا الحديث القدسي الشريف :

روى الشيخ الصدوق في كتابه «الخصال» بسنده عن أبي جعفر الباقر (ع) قال : «إن الله عز وجل يقول : بهجالي وجمالي وبهاتي وعلاتي وارتفاعي لا يؤثر عبد هواي على هواء إلا جعلت غناه في نفسه، وممته في آخرته، وكففت عنه ضيعته، وضمنت السموات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر»^(١).

وروي في «ثواب الأعمال» بسنده عن علي بن الحسين (ع) قال : «إن الله عز وجل يقول : وعزتي وعظمتي وجلالي وبهاتي وعلوتي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواء إلا جعلت همه في آخرته، وغناه في قلبه، وكففت عليه ضيعته، وضمنت السموات والأرض رزقه، وأنته الدنيا وهي راحمة»^(٢).

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٧٥ من الخصال.

(٢) بحار الأنوار ٧٠ : ٧٧ من ثواب الأعمال.

ورواه ابن فهد في كتابه «عدة الداعي» عن رسول الله (ص) : «يقول الله : وعزتي وجلالي وعظمي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه، إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السموات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأنته الدنيا وهي راغمة»^١.

ورواه الشيخ الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن أبي جعفر (ع) : «... إلا كفت عليه ضيعته وضمنت السموات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر»^٢.

إيثار الإنسان لهوى الله على هواه

ومعنى هذا الإيثار هو تحكيم الإنسان لإرادة الله تعالى على هواه، ونهي النفس عن الهوى بموجب حكم الله، «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى»^٣.

ومفرق الطريق بين «التقوى» و«الفجور» هو النقطة التي يتزاحم عندها هوى الله تعالى «حكمه وقوله» وهوى الإنسان، فإذا أثر الإنسان هوى الله تعالى على هواه سلك سبيل التقوى، وإذا أثر هوى نفسه على هوى الله تعالى سلك سبيل الفجور.

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٧٨ عن عدة الداعي.

(٢) بحار الأنوار ٧٠ : ٧٩ عن أصول الكافي.

(٣) التازعات : ٤٠ - ٤١.

١- جعلت غناه في نفسه

المعروف عند الناس أن الغنى والفقر شأن من شؤون الذهب والفضة ...، ولا علاقة له بالنفس، وبلغت في الإسلام مفهوم مغاير لهذا المفهوم تماماً عن «الغنى والفقر»، حيث يعتبرهما الإسلام من شؤون النفس لا المال، فيكون الإنسان غنياً وإن كان فقيراً من حيث المال، ويكون فقيراً وإن كان غنياً من حيث المال.

ففي دعاء عرفة للإمام الحسين (ع): «اللهم اجعل غناي في نفسي، واليقين في قلبي، والاخلاص في عملي، والنور في بصري، والبصيرة في ديني».

فكيف يتقلب مفهوم الغنى والفقر من محور الذهب والفضة إلى محور النفس؟ إن في الأمر سرّاً، وإن السرّ الكامن في هذا الانقلاب هو من أسرار هذا الدين وعجائبه الكثيرة.

ولنتأمل في أمر هذا الانقلاب بعض الوقت.

دور «المصطلحات الإسلامية» في تصحيح الأفكار

«الفقر» و«الغنى» مصطلحان إسلاميان، وللإسلام اهتمام خاص بالمصطلحات، فقد نسخ الإسلام جملة من المصطلحات الجاهلية، وأسس مجموعة كبيرة من المصطلحات، ويستخدم الإسلام هذه المصطلحات في تصحيح الأفكار والتصورات والرؤى، كما يستخدمها الإسلام في تأسيس أنظمة جديدة للتقسيم، فإن للجاهلية أنظمتها الخاصة في التقسيم، وللإسلام نظامه الخاص به في التقسيم.

فقد بلغى الإسلام قيمة جاهلية إلغاءً كاملاً، ويؤسس قيمة جديدة في الحياة الاجتماعية، وقد يحول الإسلام ما كان الناس يعتبرونه في الجاهلية «ضد القيمة»

١٩٦ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

في السياسة والاخلاقي والاجتماع والقضاء ... إلى قيمة سياسية أو أخلاقية أو اجتماعية ...

فقد كانت «الائتئ» في الجاهلية ضد القيمة تماماً، وكان الناس يتشاءمون من «البنات»، فحوّل الاسلام «ضد القيمة» هذه إلى «قيمة» من أشرف القيم وأسماها. والاختلاف في القيم ينشأ من الاختلاف في أنظمة التقييم، ولكل قيمة نظام تبعه وتنشأ عنه، ولا نستطيع أن نفهم «القيم» إلا من خلال الأنظمة التي تعتمدها هذه القيم.

والاسلام يستخدم المصطلحات التي أسسها وتبناها في تغيير نظام التقييم، وبالتالي في تغيير القيم، وإحداث انقلاب شامل فيها، وللإستشهاد على ذلك يكفي أن نشير إلى الدور الذي يؤديه المصطلح الجديد للفقر والغنى الذي أسسه الاسلام في تغيير نظام التقييم، وبالتالي في انقلاب القيم، وإليك بيان ذلك:

الفقر والغنى في نظام التقييم الاسلامي

الفقر والغنى عند الناس تعبيران عن قلة المال ووفرته، والفقر هو الذي لا يملك كمية كبيرة من الذهب والفضة و...، والغنى هو الذي يملك كمية كبيرة منها. ويحدد الناس درجات الغنى بكمية المال، فكلما تنوّر لأحد قدرة شرائية أكثر يكون أغنى، وبالعكس كلما يكون حظ الإنسان من النقد أقل يعتبره الناس أشد فقراً.

إذن «الفقر» و«الغنى» هما حالتان كميتان عند الناس.

النظام الجاهلي للتقييم:

ولا ضير إلى هذا الحد في أمر هذا المصطلح، والاسلام لا يعارض هذا المصطلح لو كان الأمر يقف عند هذا الحد. ولكن الأمر ليس كذلك، فإن هذه الحالة الكمية «الغنى» تتحوّل في نظام التقييم الجاهلي إلى قيمة اجتماعية وسياسية،

بكل مستلزمات هذه القيمة من احترام وتقدير ومكانة اجتماعية ونفوذ سياسي، وثقة الناس، وهذا من أبرز مصاديق انقلاب الكم إلى الكيف في النظام الجاهلي. وعند ما نمنع النظر في هذا الانقلاب نجد أن الذهب هو الكم الذي يتقلب إلى الكيف ويتحول إلى قيمة اجتماعية وسياسية، وليس من ريب في أن هناك بين «الكم» و«الكيف» علاقة مباشرة في الحياة الاجتماعية، ولا سبيل إلى نفي هذه العلاقة وإنكارها، ولكن الاسلام يقلب هذه المعادلة، فيجعل الكم تبعاً للكيف، لا العكس.

مثال ذلك: انقلاب الصديق والتقوى في التعامل الاقتصادي إلى اتساع دائرة المصل الاقتصادي، وانقلاب الصديق والتقوى في العمل السياسي إلى اتساع رقعة المؤيدين في الانتخابات. وهذا هو الوضع السليم في المجتمع. أما عندما ينعكس الأمر، ويكون «الكم» هو مقياس «التقييم» في الحياة الاجتماعية والسياسية، فإن المجتمع يتعرض لتهديد حقيقي في قيمه وأصوله. وهذا هو ما حصل بالذات في الحضارات الجاهلية، حيث تحولت حاكمية الشطر المعنوي، على الشطر المادي من الحياة إلى حكومة الشطر المادي على الشطر المعنوي وأصبحت المادة هي أساس التقييم وليس العكس.

وهذا ما حدث للمسلمين بعد أن اتسعت دائرة الفتوحات الاسلامية. فقد جاء الاسلام بنظام جديد للتقييم في حياة الناس لم يألوه الناس في أيام الجاهلية، وجعل الشطر المعنوي من الحياة أساساً للتقييم، والشطر المادي من الحياة تبعاً للشطر المعنوي، فلما أن اتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية، وفتح الله على المسلمين كنوز كسرى وقبصر، وفتح عليهم آفاق الارض وكثرت أموالهم، غلبتهم المادة وقلبت لهم نظام التقييم رأساً على عقب، فأصبح الذهب والفضة هو الأساس في التقييم، وعادت هيئتهم كهيتتهم يوم بعث رسول الله (ص) إماماً

وهاديا ورسولاً للناس.

ولما جاء أمير المؤمنين (ع) إلى الحكم بعد أيام عثمان بن عفان، وجد أن المسلمين قد انتكسوا تماماً، كمن لبس الثوب مقلوباً، فجعل ظاهره باطناً وباطنه ظاهراً، وأعلاه إلى الأسفل وأسفله إلى الأعلى، يقول (ع) في بني أمية: «وليس الثوب يُلبس الفرو مقلوباً»^١.

ووجد الناس قد عادوا كهيتهم يوم بعث رسول الله (ص) قد انقلبوا عما جاءهم به رسول الله (ص) من عند الله، يقول (ع): «ألا وإن بلّيتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم، والذي بعثه بالحق لتبليتن بليلةً، ولتقربلن غربةً، ولتساطرن سوطَ القدر حتى يعود أسفلكم أهلاككم»^٢.

يقول الإمام (ع) إنهم سوف يتمرّضون لفننة شاملة، وردة عن قيم الإسلام ومفاهيمه وأصوله ومناهجه، كما ينقلب القدر بالغليان فيكون أسفله أعلاه وأعلاه أسفله.

كذلك كانت حالة المسلمين بعد أن اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية ووسّع الله تعالى عليهم في أرزاقهم، وهذه هي مأساة الحضارة الجاهلية عند ما تستدرجه النعمة والمال.

ولكي يقلب الإسلام نظام التقييم الجاهلي إلى نظام تقييم آخر يقع في النقطة المقابلة لنظام التقييم الجاهلي، يستحدث مصطلحاً آخر للمعنى والفقر ويستخدم هذا المصطلح الجديد لتغيير النظام التقييمي الجاهلي إلى نظام تقييمي في النقطة المقابلة له، وهذا ما سنبينه إن شاء الله.

(١) نهج البلاغة، المخطبة ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة، المخطبة: ١٦.

النظام الاسلامي للتقييم :

هناك اتجاهان إثنان لتفسير «الغنى»، أحدهما يفسر الغنى بكمية الذهب المتوفرة للإنسان، وهو التفسير الموضوعي المحسوس لهذه الكلمة، وهذا التفسير يرادف كلمة «الثري» تقريباً بمعنى صاحب الثروة.

والتفسير الآخر هو التفسير الذاتي لهذه الكلمة، وهو الغنى بغنى النفس الذي يتأتى للاتسان من ناحية الثقة بالله تعالى والتوكل عليه، ولا علاقة للغنى بهذا المعنى بسعة ذات اليد أو ضيقها، فقد يملك الكثير من المال وهو فقير، وقد لا يملك مالاً وهو غني في نفسه.

وهذا معنى آخر للغنى والفقر يختلف تماماً عن المعنى الاول المحسوس والموضوعي لهذه الكلمة، والغنى بناءً على هذا المعنى، غناه في نفسه وليس في يده وخزائنه.

والاسلام عند ما استحدث هذا المعنى الجديد للغنى والفقر، يريد به أن يحدث تغييراً شاملاً في نظام التقييم الجاهلي، ويجعل هذا المصطلح أساساً لنظام تقييم جديد يقع في النقطة المقابلة لنظام التقييم الجاهلي.

ولنستعرض النصوص الاسلامية في معنى الغنى والفقر، بادئين أولاً بطائفة من النصوص الاسلامية الواردة في معنى «الغنى»، ثم نشرح النظام الجديد الذي يضعه الاسلام للتقييم :

مصطلح الغنى في النصوص الاسلامية :

عن رسول الله (ص) : «ليس الغنى عن كثرة القرض، ولكن الغنى غنى النفس»^١.

وعنه (ص) : «الغنى في القلب، والفقر في القلب»^١.
 وعن أمير المؤمنين علي (ع) : «الغنى من استغنى بالقناعة»^٢.
 وعن أمير المؤمنين علي (ع) : «لاكثر أغنى من القناعة»^٣.
 وعنه (ع) : «طلبت الغنى فما وجدت إلا القناعة، عليكم بالقناعة نستغنوا»^٤.
 وعن الإمام الباقر (ع) : «لا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى القلب»^٥.
 وعن الإمام الهادي : «الغنى قَلَّةٌ تَمْنِيكَ، والرضا بما يكفيك»^٦.
 إذن، فالاسلام يحول الفقر والغنى من محور الذهب والفضة، والعين والمقام،
 إلى محور النفس، بل تذهب النصوص الاسلامية إلى أكثر من ذلك، فتقرّر أن الغنى
 بالمقياس الموضوعي يلزم الفقر بالمقياس النفسي والذاتي غالباً.
 وفي الغالب كلما يزداد حظ الانسان من الدنيا يزداد فقراً في نفسه، وهذه العلاقة
 العكبة بين «الغنى» بالمقياس الموضوعي والغنى بالمقياس «الذاتي والنفسي»
 ليست من حيث المفهوم، فلا تعاكس بينهما في المفهوم، وإنما تنشأ هذه العلاقة
 العكسية من ناحية التبعات التي تلحق «الغنى» بالمفهوم الشائع عند الناس غالباً.
 روي عن أمير المؤمنين (ع) : «... وغنيها (الدنيا) فقير»^٧.

(١) البحار ٧٢ : ٦٨.

(٢) غرر الحكم للأندلسي ١ : ٦٢.

(٣) تهج البلاغة : ١٢٦٠.

(٤) سفينة البحار ٢ : ٨٧، الحياة ٣ : ٣١٤.

(٥) تحف العقول : ٢٠٨.

(٦) البحار ٨٧ : ٣٦٨.

(٧) بحار الانوار ٧٨ : ١٤.

وعن الامام زين العابدين (ع) : «من أصاب الدنيا أكثر، كان فيها أشدَّ فقرًا»^١.
ونتساءل لماذا هذا التلازم بين الغنى «في عرف الناس» والفقر الروحي؟ وما هو
سبب هذه العلاقة العكسية بين الغنى بالمقياس الموضوعي والذاتي؟ ونجد في
النص التالي الاجابة عن هذا السؤال وتفسير هذه العلاقة العكسية بين الغني على
هذا المفهوم وذلك، عن أمير المؤمنين (ع) : «الغني الشَّرُّ : فقير»^٢. والمقصود في
هذا النص من «الغني» هو الغني بالمقياس الموضوعي، والمقصود من «الفقير»
الفقير بالمقياس النفسي «الذاتي».

وكلمة «الشَّرُّ» المتوسطة بينهما تفسر هذه العلاقة، فإن الغني بالمفهوم الشائع
عند الناس يلازم الشَّرُّ غالباً، وعند ما يزداد حظ الانسان من الدنيا يزداد شَرُّه
وحرصه عليهما عموماً، وهذه هي المعادلة الاولى.

وكلمنا يزداد شَرُّ الانسان وحرصه يزداد عذابه وقلقه ومعاناته، وهذه هي
المعادلة الثانية.

والى هاتين الحقيقتين يشير القرآن الكريم : يقول تعالى : ﴿إِنَّمَا يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم﴾^٣، ويقول تعالى : ﴿إِنَّمَا يريد الله أن
يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم﴾^٤.

والشره والحرص من أقوى حالات الفقر الروحي، وأشدَّ حالات الفراغ النفسي،
وهي الحالة التي كان الناس عليها في عصر النبي داود (ع) لما أمرهم الله تعالى
برحلة التوبة والعود إليه تعالى.

(١) الضمالة للصدوق ١ : ٦٤.

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ٢٢ و ١٠.

(٣) التوبة : ٥٥.

(٤) التوبة : ٨٥.

٢٠٢ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

وتعكس الآية الكريمة التالية من سورة «ص» عمق هذا الشره النفسي: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْهُونَ نَجْجَةً وَلِيَّ نَجْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ : أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^١.

الانقلاب في نظام التقييم :

اذن فقد استحدث الاسلام معنىً جديداً للغنى، وحول الغنى في هذا المعنى الجديد من محور النقد والعين والمقار، إلى محور النفس، وقلب بذلك التقييم من محور المال إلى محور النفس.

فليست قيمة الانسان في الاسلام بما يملك من النقد والعين والمقار كما هي كذلك عند الناس في الأعراف الجاهلية، وإنما يضع الاسلام قيمة الانسان على أساس الايمان بالله تعالى والتقوى والعلم والقيم الاخلاقية، من دون أن ينفي المعنى الشائع عند الناس «المعنى الاقتصادي» للغنى والفقير، ولكن الجديد الذي يطرحه الاسلام هو فك نظام التقييم من المعنى الاقتصادي للغنى والفقير، وربط هذا النظام بالمعنى الجديد لهما الذي استحدثه الاسلام.

والان تأملوا في هذا الكلمة العلوية التي تختزل كل هذا الانقلاب الذي شرحناه في نظام التقييم بكلمة موجزة :

عن أمير المؤمنين (ع) : «ليس الخير أن يكثر مالك، ولكن الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وأن أسأت استغفرت الله»^٢.

وهذا الانقلاب في القيم يستتبع بطبيعة الحال انقلاباً في المواقع الاجتماعية

(١) سورة ص : ٢٤.

(٢) نهج البلاغة : ١١٢٨.

والسياسية، فإن التقييم في كل حضارة يرتبط من جهة بنظام التقييم، ومن جهة أخرى بمجموعة من المواقع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية.

فإذا كنا نلاحظ في الحضارة الجاهلية الغربية المعاصرة نفوذ رأس المال وسيطرته على المواقع السياسية والاقتصادية والإعلامية، ودور رأس المال القوي في انتخابات رؤساء الجمهوريات، وسيطرته الكاملة على وكالات الأنباء، وأجهزة الإعلام، والقرار السياسي، فإن سبب ذلك في رأينا هو أن هذه الحضارة قائمة على أساس التقييم بالمادة، وليس بالتقييم الأخلاقي والروحية.

والأمر في الإسلام بالعكس تماماً، فإن التقييم يقوم على أساس التقييم الأخلاقي والروحية، وعلاقة الإنسان بالله تعالى والعدالة والتقوى والعلم، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^١. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾^٢. فبشروط التقوى والعدالة في إمام المسلمين، وفي القاضي الذي يقضي بينهم، وفي الإمام الذي يؤمهم بالصلاة، وفي الأمين الذي ياتمنه المسلمون على أموالهم، وفي سائر المواقع الاجتماعية والسياسية والدينية، ولذلك فإن هذا الانقلاب الذي أحدثه الإسلام في التقييم يستتبع بطبيعة الحال انقلاباً شاملاً آخر في المواقع السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية والاجتماعية.

وهكذا يتدرج الأمر في تسلسل طبيعي:

- ١- انقلاب في نظام التقييم.
- ٢- انقلاب في التقييم والقيم.
- ٣- انقلاب في المواقع السياسية والاجتماعية.

(١) غافر: ٢٨.

(٢) الحجرات: ١٣.

٢٠٤ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

والآن، وبعد هذا التوضيح لهذا المصطلح الجديد الذي استحدثه الاسلام ودوره في حياة الناس، نستطيع أن ننصرف إلى الحديث عن «غنى النفس» الوارد في الحديث الشريف «جعلت غناه في نفسه».

غنى النفس

ما هو غنى النفس؟ وكيف نكسب الغنى لأنفسنا؟

إن غنى النفس هو أن يفلت الإنسان ثقته عن المادة والدنيا ويربطها بالله تعالى، فإن الدنيا سريعة الزوال، والله تعالى لا يزول، والمادة محدودة، ولا حدود لسلطان الله تعالى وعظمته.

وهند قد يكون الإنسان غنياً في توكله على الله تعالى وثقته بالله، فلا يضعف ولا يهتز، ولا يتزلزل مهما تغيرت ظروفه وتقلبته به الأحوال من يسر إلى عسر، ومن رخاء إلى شدة، ومن سراء إلى ضراء، ذلك أن غنى هؤلاء في أنفسهم، لا يفارقهم في حال.

يقول أمير المؤمنين (ع) : «في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور»، ذلك أن الغنى كامن في عمق نفوسهم، لا يمكن أن ينتزعه عن نفوسهم حال أو ظرف، وغناهم في إيمانهم بالله، وثقتهم به، وتوكلهم عليه، ورضاهم بحكمه، وهذا هو الغنى بالله والذي لا غنى بعده ولا يغيره ظرف أو حال.

عن رسول الله (ص) : «يا أباذر استغنى بغنى الله تعالى، بمنك الله»^(١).
وعن علي (ع) : «الغنى بالله أعظم الغنى» والغنى بغير الله أعظم الفقر

(١) نهج البلاغة، الخطبة : ١٩٣ (خطبة المثنين).

(٢) مكارم الاخلاق : ٥٣٣.

والشقاء^١.

وبناءً على هذا المعيار في فهم «الفنئ» والفقراء يكون غنى الإنسان أكثر كلما تكون ثقته بالله تعالى أعظم، فمن رسول الله (ص) : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْلَى مِنْهُ مِمَّا فِي يَدِهِ»^٢.

وليس معنى الثقة بالله تعالى إلغاء الأسباب المادية، فإنَّ إلغاء الأسباب المادية خروج على سنن الله تعالى، ويرفضه الإسلام، وإنما معنى الثقة بالله الركون والاطمئنان بالله تعالى دون غيره، مهما كانت الأسباب التي يستخدمها لتحقيق غاياته.

العوامل التي تكسب الإنسان الغنى في النفس :

إنَّ العوامل التي تكسب الإنسان الغنى كثيرة، ونحن نذكر فيما يلي أهم هذه العوامل :

١- اليقين بالله تعالى : وهو أعلى درجات الغنى، فإنَّ الإنسان إذا تيقَّن برحمة الله تعالى لعباده ولطفه بهم واستجابته لدعائهم، وتيقَّن بأنَّ الله رزاق رؤوف رحيم، وأنَّ رحمته موصولة ومصلة لا تنقطع، ولا تنفد خزائن رحمته، ولا تزيد كثرة العطاء إلاَّ كرمًا وجودًا، فلا يكاد يشعر بالفقر والضياع أبدًا.

وإنَّما يشعر الإنسان بالفقر إذا عدم هذا اليقين، ولم يبلغ إيمانه بالله تعالى حد اليقين، وهو أعلى مستويات الإيمان، وأعزُّ ما يرزق الله تعالى عباده من رزق، وهذا اليقين هو مفتاح الغنى.

(١) غرر الحكم للأعمدي ١ : ٩١ و٩٢.

(٢) تحف المقلوب : ٢٦.

٢٠٦ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

عن أمير المؤمنين علي (ع) : «مفتاح الغنى اليقين»^١، وليس ماوراء هذا اليقين غنى للإنسان.

عن الإمام الباقر (ع) : «كفى باليقين غنى، وبالعبادة شغلاً»^٢.

٢- التقوى : وهي من أهم عوامل الغنى، فإن الإنسان إذا التزم بحدود الله تعالى وتقيّد بها، أشعره الله تعالى بالغنى في نفسه، وطرد عنه نفسه الفقر.

عن رسول الله (ص) : «كفى بالتقوى غنى»^٣.

وعن الإمام الباقر (ع) : «يا جابر إن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا، فمؤنتهم يسيرة، إن نسبت الخير ذكرك، وإن عملت به أعانوك، آخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم، وقدموا طاعة ربهم أمامهم»^٤.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : «من أخرجته الله تعالى من ذل المعاصي إلى عز التقوى، أغناه الله بلامال، وأعزّه بلا عسيرة، وأنسه بلا أنيس»^٥.

وهذا النص واضح ودقيق فيما ذكرناه من المعنى لغنى النفس، وإن الغنى في النفس يتم من غير مال، كما يكون الإنسان عزيزاً بالله من غير عسيرة، ويدفع الوحشة عن نفسه بالله من دون أنيس، والتقوى هي مصدر الغنى، والعزّ، والأنس في نفس الإنسان، فإن الإنسان إذا اتقى الله والتزم بحدوده وأحكامه، رزقه الله تعالى الغنى في نفسه، وطرد عنه الفقر، والذلّ، والوحشة.

وورد في الحديث القدسي الذي نحن بصدده : «لا يؤثر هواي على هواه إلا

(١) بحار الأنوار ٧٨ : ٩.

(٢) الكافي ٢ : ٨٥.

(٣) تحف العقول : ٣٠.

(٤) تحف العقول : ٢٠٨.

(٥) وسائل الشيعة ١١ : ١٩٩.

جعلت غناه في نفسه^١، ومخالفة النفس هو التعبير السلبي عن التقوى في مقابل الوجه الايجابي للتقوى وهو امتثال حدود الله تعالى.

٣- الوعي: وإذا كان اليقين والتقوى هما مفتاحا الغنى، فإن الوعي هو مفتاح اليقين والتقوى والسبيل إليهما، ولا يتخلف الانسان عن الوعي والتقوى إلا بالجهالة وانعدام الوعي، والوعي هو «التعقل».

وقد ورد في النصوص الاسلامية هذا المعنى بصورة متكررة.

عن علي (ع): «لا أغنى مثل العقل»^٢.

وعنه (ع): «إن أغنى الغنى: العقل»^٣.

وعنه (ع): «غنى العاقل بعلمه، وغنى الجاهل بماله»^٤.

وعن الامام الكاظم (ع) في حديثه المعروف لهشام: «يا هشام: من أراد الغنى بلامال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتنزع إلى الله في مسألته بأن يكمل عقله»^٥.

آثار الغنى في حياة الانسان:

لغنى النفس مكاسب عظيمة في حياة الانسان، والانسان الذي أغناه الله تعالى في نفسه يشعر بارتباط دائم بالله، ويحس بمعية الله تعالى له، ولا تفارقه رعاية الله وتسديده وتأييده له في حال من الأحوال، فيعيش مطمئناً بالله تعالى، واثقاً بتأييده وتسديده له، ويأمن الله لن يتخلى عنه، ولن يكله إلى نفسه في حال من الاحوال.

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلبي.

(٢) تحف العقول: ١١٢.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة: ٣٨.

(٤) غرر الحكم للأندلسي: ٢: ٤٧.

(٥) تحف العقول: ٢٨٦.

٢٠٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

فيشعر في أعماق نفسه بثقة مطلقة، وطمأنينة، وثبات، واستقرار، وراحة القلب والضمير، لا يكاد يعاني من حرص أو حسد أو جشع أو طمع أو قلق، فإن هذه الأعراض جميعاً من أعراض فقر النفس، وقد مرّ علينا قبل قليل حديث الإمام الكاظم (ع) لهشام في هذا الصدد.

وعن الإمام الصادق (ع): «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً»^١.

وعن أمير المؤمنين (ع): «أشرف الغنى، ترك المني»^٢.

وحسنه (ع): «الغنى الأكبر: اليأس عما في أيدي الناس»^٣.

والعالم إذا لم يكن موصولاً بغنى النفس، فهو مصدر قلق وعذاب للإنسان يزيد من حرصه وقلقه وعذابه، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾^٤. ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُذَيِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾^٥.

٢- ضُمَّنَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رِزْقَهُ

هذه هي الفقرة الثانية من جزاء الذين يؤثرون هوى الله تعالى على هواهم، ويحكمون حكم الله تعالى وإرادته على أهوائهم وإرادتهم.

هؤلاء يجزيهم الله تعالى بـ: أولاً: أن يجعل غناهم في أنفسهم، وقد تحدثنا

(١) الكافي ٢: ٣١٦.

(٢) الكافي ٨: ٢٣.

(٣) نهج البلاغة، المكية: ١٣٤٢.

(٤) التوبة: ٥٥.

(٥) التوبة: ٨٥.

عنها بتفصيل. وثانياً: تضمن السموات والأرض رزقه، وهذه هي الفقرة الثانية التي نتحدث عنها الآن، ولسنا نحتاج إلى توضيح أن هذه الفقرة ليست بمعنى أن يهمل الإنسان السعي إلى الرزق، بل معنى ذلك أن الله تعالى يوفقه في سعيه وحركته.

التوفيق

وهذا التوفيق هو الذي يضمنه الله تعالى السموات والأرض، فلرب سعي للإنسان يذهب سدىً ولا يأتيه بشمرة، وقد يطوي الإنسان سنين عمره في حركة دائمة وسعي متواصل ثم لا يبلغ ما يريد، ولرب عمل صغير وجهد متواضع يؤتي ثماراً طيبة مباركة، وهذا وذلك من «سوء التوفيق» و«حسن التوفيق» والله عز وجل هو ولي التوفيق.

والذي تتضمنه السموات والأرض بأمر من الله تعالى من رزق المؤمن الذي يؤثره هو الله تعالى على هواء هو التوفيق، ومعنى «التوفيق» أن الله تعالى يجعل سعيه وحركته في الموضع النافع، كالمطر الذي ينزل على تربة خصبة صالحة، فلرب مطر ينزل على الأرض دون أن تثبت الأرض، ودون أن تأتي بشمرة، ولرب مطر قليل ينزل على تربة صالحة في الوقت المناسب وتأتي بخير كثير ويصلح الأرض.

وهذا هو التوفيق، وهو أمر آخر لا علاقة له بسعي الإنسان وحركته، وإن كان الإنسان يملك أسباب شطر قليل منه فإن ما يغيب عنه وما يعجز عنه من أسباب التوفيق أضعاف ما يملكه منها، وكلها بيد الله تعالى، فإذا وفق الله تعالى عبداً كانت حياته وجهده وعمله مباركاً، يقول القرآن عن لسان المسيح (ع): ﴿وجعلني مباركاً

أيضا كنت^١.

وما لم يوفق الله تعالى عبداً ومُرد به خيراً فإنه لا ينال من أسباب الخير بجهده وعقله إلا القليل «لا ينفع اجتهاد بغير توفيق»^٢. فإذا أراد الله تعالى به خيراً ووقفه وضع جهده في موضعه من أسباب النجاح والفلاح فيكون جهده مشعراً.

يقول الامام علي (ع): «خير الاجتهاد ما قارته التوفيق»^٣، وقد ورد في الحديث: إن «التوفيق أشرف الحظين»^٤، ويتصد به حظ الانسان من أسباب السعادة والخير التي ينالها بجهده وعقله، وإمكاناته التي أعطاها الله تعالى له، وهو أحد الحظين وأقلهما شأنًا، والحظ الآخر هو أن يهدي الله تعالى عبده لما يغيب عنه من أسباب الخير، أو لما لا تناله يده من أسباب الخير، ويضعه في موضع أسباب السعادة والخير، وهذا هو الحظ الثاني وهو أشر كما في الحديث.

ولا شك في أن «التوفيق» عامل غيبي من الخارج يضع الانسان في مواضع الخير وأسبابه، وهو شيء آخر غير الامكانيات العقلية والفطرية والقوة التي أودعها الله تعالى في نفس الانسان، فإن هذه الامكانيات التي أودعها الله تعالى في الانسان لا تستطيع لوحدها أن تنهض بالانسان وتقوده إلى أسباب الخير وتجنبه أسباب الشر، فإذا أراد الله تعالى بعبده خيراً أعانه على صرف جهده وإمكاناته في مواضعها من أسباب الخير، وفي الحديث التالي إيضاح كافٍ لهذه الحقيقة:

روي أن رجلاً سأله الصادق (ع) فقال: يا ابن رسول الله! أُنست أنا مستطيماً لما كُنْتُ؟ فقال له (ع): «ما الاستطاعة عندك؟» قال: القوة على العمل، قال له (ع):

(١) مريم: ٣١.

(٢) غرر الحكم للأعمدي ٢: ٣٤٥.

(٣) غرر الحكم للأعمدي ٢: ٣٥١.

(٤) غرر الحكم للأعمدي ١: ٨٢.

«قد أعطيت القوة، إن أعطيت «المعونة»، قال له الرجل : فما المعونة؟ قال (ع): «التوفيق»، قال (الرجل) : فلم إعطاء التوفيق؟ قال (الامام) (ع) : «هل تستطيع بذلك القوة دفع الضرر عن نفسك، وأخذ النفع إليها بغير المعون من الله تبارك وتعالى؟» قال : لا، قال (ع) : «لَمْ تَنْتَحِلْ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ؟» ثم قال : «أين أنت من قول العبد الصالح : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾»^١.

وهذه الرواية تصنف القوى العاملة والمؤثرة في حياة الانسان إلى ثلاثة أصناف :

١- القوانين الطبيعية والاجتماعية «سنن الله» التي تقود الانسان إلى الخير أو إلى الشر.

٢- القوى التي أودعها الله تعالى في الانسان والتي يستعملها الانسان للوصول إلى هذه أو تلك من أسباب الخير أو الشر في الطبيعة والمجتمع.

٣- والتوفيق والعون الالهي الذي يهدي به الله تعالى عباده إلى أسباب الخير، ويعينهم عليها ويأخذ بأيديهم إليها لينالوا منها ما كان يفتقر عنهم، أو ما كانت أيديهم تقصر عنه، ومن دون هذا الاخير لا ينال شيئاً من الخير.

روى الكراچكي في «الكنز» قال : قال الصادق (ع) : «ما كل من نوى شيئاً قدر عليه، وما كل من قدر على شيء وفق له، ولا كل من وفق لشيء أصاب له، فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والاصابة فهناك لك تمت السعادة»^٢.

والتوفيق من الأبواب الواسعة لمعرفة الله، والانسان يهتدي إلى الله من

(١) بحار الانوار ٥ : ٤٢ والآية الكريمة ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ﴾ سورة هود : ٨٨.

(٢) بحار الانوار ٥ : ٢٠٩ - ٢١٠.

أبواب ثلاثة : ١- الفطرة. ٢- العقل والأدلة العقلية. ٣- التعامل مع الله تعالى.

والاخير «التعامل مع الله» باب واسع للمعرفة يلججه ذور البصائر من الناس، ويهب الانسان من الايمان والفتة والطمانينة والاتكال ما لا تنهيه الفطرة ولا العقل، فإن الانسان من خلال التعامل مع الله وعطائه وتقرب الله تعالى منه ومعنيته له ... ومن خلال مراقبة مواقع تأييد الله تعالى وتوفيقه له ومعنيته له في السراء.

وللتوفيق الالهي في حياة الانسان أسباب وقوانين وأصول، وليس أمراً عفويّاً في حياة الناس، فمن أنعم الله تعالى عليه بالتوفيق لا بد أن يكون أهلاً وموضعاً لهذه الرحمة الإلهية؛ ومن سلب الله تعالى عنه التوفيق ووكله إلى نفسه فلا بد أن يكون ممن أضاع هذه الفرصة على نفسه، فلم يعد بعد موضعاً لتزول هذه الرحمة. فليس في رحمة الله تعالى شئ أو يُخلّ، ولا نفاذ لخزائن رحمته، وإنما ينعم من الناس من يتوفيق الالهي، ويحرم من يحرم من الناس من توفيق الله، وتختلف درجات الناس وحظوظهم من توفيق الله على قدر استحقاقهم وأهليتهم وسعة إنائهم.

والتوفيق من رحمة الله تعالى ينزل على عباده من غير حساب، ويحرم الذين خسروا أنفسهم من هذه الرحمة الإلهية رأساً، وينال المؤمنون بعد ذلك من هذه الرحمة الربانية على قدر ما يتسع لها إناء نفوسهم^١.

وهذا هو دور العامل الغيبي في مسألة الرزق، وهو من مسائل عالم الشهود.

العلاقة بين عالم الغيب والشهود

من المسائل الاساسية في الفكر الاسلامي مسألة «الغيب» وعلاقة الغيب بالشهود والناس يختلفون في هذه المسألة اختلافاً شديداً، فمن الناس من يتفي

(١) مقتبس بتصرف من كتاب «المذهب التاريخي في القرآن للمؤلف» : ٤٠ - ٤٩.

عالم الغيب تقياً كاملاً، ومنهم من يعترف بالغيب في مقابل «الشهود» ولكن ينفي العلاقة بين «الغيب» و«الشهود».

والإسلام يؤمن بالغيب ويدعو إلى الإيمان به، ويجعل الإيمان بالغيب الشرط الأول للإسلام.

﴿الْم.﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم يتقون^١.

﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾^٢.

﴿إنما تنذروا من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾^٣.

ثم يربط بين عالم «الغيب» وعالم «الشهود» ويرى أن بين هذين الأفقين الرحيمين من الوجود جسوراً كثيرة تربط بينهما، ويؤمن بأن كل واحد منهما يؤثر في الآخر، فالغيب يؤثر في الشهود وعالم الحس، والشهود يؤثر في الغيب، وإن لتقوى الله وخشيته بالغيب والكف عن المعاصي تأثيراً مباشراً على حياة الإنسان المادية، وتيسير العسير من أمر حياته ومعاشه، وفتح أبواب المعيشة والرزق، يقول تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب^٤. ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾^٥.

هذا في علاقة عالم الشهود بعالم الغيب. وفي الاتجاه المعاكس في علاقة عالم الغيب بعالم الشهود:

(١) البقرة: ١ - ٣.

(٢) الأنبياء: ١٩.

(٣) يس: ١١.

(٤) الطلاق: ٢ - ٣.

(٥) الطلاق: ٤.

روي عن رسول الله (ص): «لولا الخبز ما صلينا»^١.

وعنه (ص): «وبه (الخبز) صمتم»^٢.

وعنه (ص): «ولولا الخبز ما صلينا ولا صمنا، ولا أديننا فرائض ربنا عز وجل»^٣.

دور العامل الغيبي في تفسير التاريخ:

ولوجود هذه العلاقة المتينة بين عالم الغيب وعالم الشهود، يعتبر القرآن «الغيب» عاملاً من أهم عوامل حركة التاريخ، وينفي النظرية المادية في تفسير التاريخ واعتبار العامل المادي هو العامل الوحيد لحركة التاريخ، بل قد يتحرك التاريخ بعكس الاتجاه الذي يتطلبه العامل المادي.

تأملوا هذه الآيات من كتاب الله: ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أخرجتكم كثرتمكم فلم يغني عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين^٤.

والنقطة الأولى في دور العامل الغيبي في حركة التاريخ في هذه الآية المباركة هي أن النصر من عند الله، والعوامل المادية مُعَدَّات للنصر، والله تعالى هو وحده واهب النصر ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ وهذه نقطة حاسمة في فهم حركة التاريخ، والنقطة التي تفرق عندها النظرية الإسلامية عن النظريات المادية.

والنقطة الثانية: إنكسار «حُتَيْن» على خلاف عامل «الكترة العددية» التي هي من عوامل النصر في التفسير المادي للتاريخ.

(١) الكافي ٥: ٧٣.

(٢) الكافي ٦: ٣٠٢.

(٣) الكافي ٥: ٧٣.

(٤) التوبة: ٢٥ - ٢٦.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَابَسَتْ مَوَاقِبُكُمْ﴾.

والنقطة الثالثة : نزول السكينة من عند الله على رسوله وعلى المؤمنين في ساحة المواجهة والقتال، وهذه السكينة التي طمأننتهم ساعة الشدة، وثبتت أقدامهم على أرض المعركة، وانتزعت من قلوبهم الخوف والهزيمة والقلق ... كانت من عند الله فقط، وأنزل الله تعالى جنوداً لم يروها يهزمون الكفار من أمامهم وينشرون الرعب في صفوف الكفار، ويثبتون قلوب الذين آمنوا في مواجهة أعدائهم.

ثم نقرأ هذه الآيات المباركات من سورة آل عمران :

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُوفُوا لَهُمْ يَسَّرَ اللَّهُ الْفَتْحَ وَلَا طَعَسَ فِي أُلُوفِهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم^١. هذا الامداد الغيبي في ساعة الشدة والبأس بخمسة آلاف من الملائكة حسم المعركة لصالح المسلمين، وبعث الله الطمأنينة بهم إلى قلوب المؤمنين، وجعلهم بشرى لهم في أشد الساعات وأحرجها.

ثم نفور الآية هذا المبدأ الحاسم والنقطة الفارقة في فهم حركة التاريخ بين الاملام والمادية ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾، كما تقرر سورة آل عمران أيضاً الدرس التي يعطيها الله تعالى للمؤمنين عقب انتكاسة أحد : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتتكم الاغلاط ان كنتم مؤمنين﴾^٢، وهذا الاستعلاء في ساحات المعركة نابع عن الايمان بالله أولاً، وقبل كل شيء، ثم عن العوامل المادية

(١) آل عمران : ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) آل عمران : ١٤٠.

الميدانية التي تتطلبها ضرورات المواجهة في ساحات القتال.

ونقرأ في سورة الأعراف في نفس المضمون: ﴿وَلَوْ أَنَّهُ أَهْلُ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١، هذه البركات بفتحها الله تعالى على عباده من السماء والأرض بالايمان والتقوى قبل أي شيء، ثم بالمعامل المادية التي تتطلبها هذه البركات.

هذا من الجانب الايجابي من هذه العلاقة في دور الايمان والتقوى في النصر والدعم في ساحات المواجهة العسكرية، وفي الازدهار والعمران واليسر والرزق في ساحات الحياة المدنية، وبالعكس أيضاً تصبح هذه العلاقة في ارتباط سقوط الحضارات وهلاك الامم بالسيئات والموبقات وتجاوز حدود الله تعالى والتعبد عليه.

ولنتأمل في هذه الايات المباركات من سورة الأنعام: ﴿أَلَمْ يَرْوَاكُم أَنهَلَكْنَا مِّن قَبْلِهِم مِّن قَوْمٍ مِّثْلَهُم فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾^٢.

والهلاك والسقوط هنا بالذنوب والسيئات والمعاصي، وهذا الامر الذي نهمله المادية من الحساب في تفسير سقوط الحضارات يعطيه القرآن الدور الاول في تفسير التاريخ.

ثم نقرأ هذه الآيات المباركة من نفس السورة التي ترسم لنا «الدورة التاريخية» ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْيَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^٣ قلولا

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) الأنعام: ٦.

إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بِثَنَّةٍ فَإِذَا هُمْ مِبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

وهذه ثلاث مراحل من تاريخ الأمم من الولادة إلى الهلاك، والتفاعل بين الغيب والشهود أوضح الأشياء في هذه المراحل.

المرحلة الأولى : مرحلة «الابتلاء»، وفي هذه المرحلة يَقُومُ اللَّهُ تَعَالَى عود الأمة، ويعطيها الصلابة والقوة. والسيئات، في هذه المرحلة تستزل البلاء. «التضرع» إلى اللَّهِ يكشف البلاء ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْأَسَاءِ وَالْضُرَّاءِ لَعَنَهُمُ يَتَضَرَّعُونَ﴾. وهذه العلاقة بين الغيب والشهود «السيئات» تنزول البلاء «التضرع» ارتفاع البلاء هي التي لم يهتد إليها الفكر المادي، وهذا اللَّهُ تَعَالَى إليها في كتابه.

والمرحلة الثانية : مرحلة «الاستدراج» والأمل، والعلاقة في هذه المرحلة بين الغيب والشهود واضحة، فإن مع الاسترسال في المعاصي والانغماس في السيئات، وعدم الاعتبار بالمصائب والنوازل في مرحلة الابتلاء، قد نفتح أبواب النعمة والرزق على الأمة، ولكن الرزق في هذه المرحلة نقمة وليس رحمة، ويريد اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ أَنْ يَتِمَادُوا فِي غِيَتِهِمْ لِيَأْخُذَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

المرحلة الثالثة : مرحلة السقوط والمحق ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والحمد هنا على النعمة وليس على النعمة، وعلى المحق والهلاك وليس على نعمة الحياة.

والعلاقة بين الغيب والشهود في هذه المرحلة لا تختلف عن المراحل السابقة، فإن الأمة تبطر وتطفئ وتستكبر على وجه الأرض، وتفرح فينزل عليها عذاب الاستئصال والمحق ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبسوط﴾.

إذن فالعامل الغيبي، في النظرية الإسلامية عتصر من أهم عناصر حركة التاريخ. **العوامل الغيبية لا تنفي العوامل المادية :**

وليس معنى ما سبق من تأثير العامل الغيبي في حركة التاريخ في النظرية الإسلامية أن الإسلام ينفي دور العامل المادي في حياة الفرد والمجتمع، وعلى هذا الأساس فإن الإسلام يؤمن بالعامل المزدوج «الغبيبي + المادي» في تفسير التاريخ، ويرفض تفسير التاريخ بالعامل الواحد، سواء كان هذا العامل مادياً أم معنوياً، والإنسان في التعامل مع الكون يجب أن يتعامل مع كل من هذين العاملين. **العلاقة بين التقوى والرزق :**

والآن بعد هذه الجولة في العلاقة بين الغيب والشهود تأتي إلى شرح هذه الفقرة من الحديث القدسي : «لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا ضمنت السموات والأرض رزقه» ولا نحتاج بعد التوضيح الذي قدمناه للعلاقة بين عالم الغيب والشهود إلى جهد كثير لنعرف العلاقة بين «تقوى الله» وهي من الأمور الغيبية والمعنوية، و«الرزق» وهو من الأمور المحسوسة من عالم الشهود.

وهذه المسألة من واضحات المسائل في الثقافة الإسلامية، فإن التقوى باب واسع من أبواب رحمة الله تعالى، وبالتقوى يستنزل الإنسان الرزق من عند الله، وبالتقوى تنزل الأمطار وتنفرج الأزمان، وبالتقوى يستنزل الإنسان النصر من عند الله تعالى، ويفتح مفاصل الابواب المغفلة، وبالتقوى يجعل الله تعالى للناس فرجاً ومخرجاً من مضايك الحياة يقول تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله

لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^١ ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا^٢﴾.
وعن رسول الله (ص): «لو أن السموات والأرض كانتا رتقاً علي عبد ثم اتقنى
الله لجعل الله له منهما فرجاً ومخرجاً^٣».
وروي عن أمير المؤمنين (ع) قوله لأبي ذر لما أبعد إلى الريذه: «يا أباذر: إنك
غضبت لله فارج من غضبت له، ولو أن السموات والأرض كانتا علي عبد رتقاً ثم
اتقنى الله لجعل له منهما مخرجاً^٤».
وعن علي (ع): «من أخذ بالتقوى عزمت (غابت) عنه الشدائد بعد دنوها،
واحلوت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له
الصعاب بعد إنصابتها^٥».
وعن الصادق (ع): «من اعتصم بالله بشقواء عصمه الله، ومن أقبل الله عليه
وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض، وإن نزلت نازلة على أهل الأرض
قتلهم بلية، كان في حرز الله بالتقوى من كل بلية، أليس الله تعالى يقول: إن
المتقين في مقام أمين^٦».
وعن الصادق (ع): «إن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب
ويرزقه من حيث لا يحتسب^٧».

(١) الطلاق : ٢ و ٣.

(٢) الطلاق : ٤.

(٣) بحار الأنوار : ٧٠ : ٢٨٥.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة : ١٢٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة : ١٩٨.

(٦) بحار الأنوار : ٧٠ : ٢٨٥.

(٧) بحار الأنوار : ٧٠ : ٢٨٥.

وكتب الامام الجواد (ع) إلى سعد الخير: «إن الله عز وجل يقب بالتقوى عن المبد ما غرب عنه عقله، ويجلي بالتقوى عما وجهله، وبالتقوى تجبي نوح ومن معه في السفينة، وصالح ومن معه من الصاعقة، وبالتقوى فاز الصابرون ونجت تلك العصب من المهالك»^١.

إذن، فالذين يؤثرون هوى الله تعالى على هواهم، ويقدمون أمر الله تعالى ونهيه على نزعاتهم وميولهم وأموائهم ... يضمن الله تعالى السموات والارض رزقهم، ويتوكئ شؤنهم، ولا يكلهم إلى أنفسهم ويرزقهم التوفيق في سعيهم وحركتهم.

ولست بحاجة إلى التنبيه إلى أن هذا كله لا يعني أن «التقوى» تغني عن السعي إلى الرزق، فليس من الاسلام أن يكتفي الانسان بالتقوى عن السعي إلى الرزق، وإنما التقوى تستزل «التوفيق» من الله تعالى على عبده، فيكون سعيه وحركته في موضعه يؤديان به إلى مصادر الرزق من أقصر الطرق.

قصة الثلاثة الذين اتقاهم الله بالتقوى:

وبالتقوى يدرء الله تعالى الاخطار عن عباده، ويفرّج عنهم، ويزيل عنهم الكربات، وينقذهم من المهالك ومضائق الحياة.

عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قال: «بينما ثلاثة يتماشون، إذ أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرّجها، فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرضع عليهم، فإذا رحمت عليهم فعلبت بدأت يوالدي

أَسْقِيَهُمَا قَبْلَ وَلَدِي، وَإِنَّهُ نَأَى بِي السَّخَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أُمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلَبُ فَجَعَلْتُ بِالْحَلَابِ قَمْعَتَ عِنْدَ رَأْسَيْهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقُظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغَرُونَ عِنْدَ قَدَمِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِمِي وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الشَّجَرُ: فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَاصْرِجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى فِيهَا السَّمَاءَ، فَفَرَّجَ اللَّهُ لَهُمْ فَرْجَةً حَتَّى رَأَوْا فِيهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الثَّانِي: إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ أَحِبُّهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ؛ فَسَمِعْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَلَقِيْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقَمِيتُ عَنْهَا. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ لَنَا مِنْهَا، فَفَرَّجَ لَهُمْ فَرْجَةً.

وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرْقِ أَرْزٍ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَمَرَضْتُ عَلَيْهِ حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ، فَمَ أَزَلْ أَزْرَعَهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا فَبْجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَأَعْطِنِي حَقِّي، أَذْهَبَ إِلَيَّ تِلْكَ الْبَقَرُ وَرَاعِيَهَا، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَهْزَأْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَهْزِءُ بِكَ فَخَذْتُ تِلْكَ الْبَقَرُ وَرَاعِيَهَا، فَأَخَذَهَا وَانْطَلَقَ بِهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ عَنَّا مَا بَنِي، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ^١.

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من يَزُّ والدَّيَّةَ: ٥ : ٤٠ ط / مصر ١٢٨٦ هـ. ق. فتح الباري للمقلائي ١٠ : ٣٢٨ شرح القسطلاني ٩ : ٥. صحيح مسلم كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والنورسل بمصالح الأعمال ٨ : ٨٩ ط / دار الفكر. وشرح النووي ١٠ : ٣٢١ وضم الهوى لابن الجوزي: ٢٤٦.

٥- وكففت عليه ضيعة

يحتمل لهذه الجملة معنيان : المعنى الاول : من الكَفَّ بمعنى الجمع والضم، والمعنى الثاني من الكَفَّ بمعنى المنع والدفع والصرف، ويكون معنى هذه الفقرة من الحديث : «وكففت عليه ضيعة» : بناءً على المعنى الاول : جمعت شئاً أمره، ولملمت عليه ضيعة، ونوكلت شؤونه وضمنت معيشته، يقول ابن الاثير في «النهاية» في معنى «الكَفَّ» : ويحتمل أن يكون بمعنى الجمع، ومنه الحديث : «المؤمن أخ المؤمن بكَفَّ عليه ضيعة» أي : «يجمع عليه معيشته، ويضمها إليه»^(١). والمعنى الثاني للكَفَّ هو : المنع والصرف والدفع، يقال : «كَفَّ عنه فكَفَّ، أي دفعه وصرفه ومنعه، فاندفع وانصرف، وامتنع»^(٢)، ويكون معنى هذه الفقرة من الحديث بناءً على هذا المعنى : دفعت عنه الضياع وحلت بينه وبين الضياع والته، وهديته وأبشَّ له معالم الطريق.

قال العلامة المجلسي رحمه الله في «بحار الاتوار» في تفسير هذه الفقرة من الحديث : «هذه الفقرة تحتمل وجوهاً : الاول ما ذكره في «النهاية» : أي جمعت عليه ضيعة ومعيشته، والتعدي بـ (على) لتضمين معنى البركة أو الشفقة ونحوهما، أو على بمعنى (إلى)، كما أوماً إليه في «النهاية» فيحتاج إلى تضمين. الثاني : أن يكون الكَفَّ بمعنى المنع، وعلى بمعنى في، والضيعة بمعنى الضياع : أي أمنع عنه ضياع نفسه وماله، وكلمه، وسائر ما يمتلئ به، ويؤيده ما

(١) النهاية لابن الاثير ١ : ٩٠.

(٢) أقرب الموارد ٣ : ١٠٩٣.

سيأتي في رواية "الصدوق" رحمه الله : وكفتت عنه ضيعة^١. ونحن نختار في هذه الدراسة المعنى الثاني، ونجده أقرب إلى سياق الحديث، وأشبه به، سيما إذا عرفنا أن "الصدوق" رحمه الله يروي الرواية نفسها بالصيغة التالية «وكفتت عنه ضيعة» متعدياً بـ «عن» مكان «على»، والكف كما ذكرنا بمعنى الدفع والمنع والصرف، وهو يختلف عن «الرفع» فإن «الدفع» بمعنى الحيلولة دون حدوث الشيء قبل حدوثه، والرفع بمعنى الإزالة بعد حدوث الشيء، والدفع يشبه «الوقاية» والرفع يشبه «العلاج».

والكف بمعنى «الدفع» وليس «الرفع» فإذا يكون المعنى : أن الله تعالى يحول دون ضياعه، ولا يسمح بضياعه، وهذا نحو من الهداية، فإن الهداية على نحوين : الهداية بعد الضلال، والهداية قبل الضلال، وكلاهما من الدلالة والهداية. ولكن الهداية في النحو الأول تتم بعد أن يتيه الإنسان ويضيق، بينما الهداية في النحو الثاني تتم في دون أن يضل الإنسان ويضيق، وهو أقوى من النحو الأول. والنص ينص على «كف الضيعة» وليس على «الهداية»، والكف عن الضيعة نتيجة الهداية، ولذلك فهو يأتي بمعنى الاتصال إلى الغاية، لا التوجيه والتذكير.

الهداية بمعنى الاتصال والتوجيه

فإن الهداية تأتي بمعنيين. بمعنى الاتصال إلى الغاية، وبمعنى التوجيه والتذكير والدلالة، والأول هو قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^٢.

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٨٠ - ٨١.

(٢) القصص : ٥٦.

ومن الواضح أن الهداية المنفية هنا هي بمعنى الايصال إلى الغاية، وهي التي تختص بالله تعالى وحده... وأما الهداية بمعنى التوجيه والتذكير فهي من مهام ورسالة رسول الله (ص) في الناس، ولا يمكن أن تكون هي التي تنفيها الآية الكريمة وتخصها بالله تعالى وحده. يقول تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾^١.

ومن هذا المعنى في القرآن الكريم كلمة مؤمن آل فرعون: ﴿يا قوم أئمعوني أهدكم سبيل الرشاد﴾^٢. وهذه الهداية هي هداية التوجيه والتذكير والدلالة، لا الايصال إلى الغاية، والمعنى الذي يناسب هذه الفقرة من الحديث هو الهداية بمعنى الايصال، فإن الهداية بالمعنى الآخر لا تكف بالضرورة عن الضبعة، ولا تمنع ضياع الانسان، والهداية بمعنى الايصال هي التي تكف ضياع الانسان وتؤمن وصوله إلى الله تعالى بشكل قطعي.

كما أن السياق يناسب هذا المعنى، فإن السياق عن افضال الله تعالى الخاصة بالذين يؤثرون هوى الله على هواهم، وهو يناسب الايصال إلى الغاية، أما الهداية بمعنى الدلالة والتوجيه فهي من الرحمة العامة لله تعالى نعم المؤمنين وغيرهم، فإن التوجيه والتذكير لا يختص بالمؤمنين وحدهم، ولا بالذين يؤثرون هوى الله على هواهم، بل تشمل حتى أولئك الذين يؤثرون هواهم على هوى الله.

كيف يكف الله تعالى ضيعة عبده؟

ركف الضيعة يتم بالبصيرة، إن الدرجات العالية من البصيرة تكف ضيعة

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) غافر: ٢٨.

الانسان بصورة قطعية، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً، وأراد أن يكف عنه ضبيعته، منحه هذه البصيرة التي تكف عنه ضبيعته، وتؤمن له سلامة الوصول إلى الله تعالى، وهذه البصيرة تختلف عن الحركة العقلية إلى الله تعالى بالطريقة المنطقية والاستدلالية وهي حركة لا يرفضها الاسلام بل يؤكدّها ويكرّسها ويعمّقها، ويدعو إليها، فإن مساحة واسعة جداً من الناس يتحرّكون إلى الله تعالى بأداة العقل والمنطق.

وأما البصيرة فهي وضوح الرؤية من دون غشٍّ ولا لئس، وهذا الوضوح في الرؤية قد يكون ثمرة من ثمرات هذه الحركة العقلية المنطقية، وقد يكون نتيجة لصفاء النفس ونقاها، والانسان يبلغ هذه الدرجة من البصيرة بأحد هذين الطريقين: إما بالنشاط العقلي، أو بتصفية النفس وتنقيتها.

ولا يغني أحدهما عن الآخر في الاسلام، فلا بد أن يمارس الانسان في طريق التكامل كلا من هاتين الحركتين: النشاط العقلي، وترويض النفس وتصفيتها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا وذلك معاً في قوله تعالى: ﴿هو الذي يبعث في الامم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^١، «والتزكية» هي تصفية النفس وترويضها وتهذيبها، وهي باب واسع من أبواب المعارف الإلهية في حياة الانسان، «والتعليم» الباب الآخر.

وعلى كل، فسواء كانت البصيرة ثمرة لحركة العقل أو تزكية النفس وتهذيبها فإن الله تعالى هو مصدر كل بصيرة في حياة الانسان، ولا توجد عند غير الله، ولا تأتي من عند غير الله، وهذا وذلك بايان وقناتان للبصيرة في حياة الانسان.

البصيرة والعمل

وعليتنا أن نؤكد مرة أخرى على أن السلام يقرّ كلاً من «العلم» و«التزكية»، أو «العقل» و«تصفية النفس» لتحقيق البصيرة ويؤكد أن أحدهما لا يغني عن الآخر، إلا أن دور عامل التزكية أقوى وأبلغ في تحقيق البصيرة، ولأمرها يقدم القرآن التزكية على العلم في آية البعث: ﴿يَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

ومن المفيد أن نفق هنا وقفة قصيرة عند كلمة «التزكية» لنجد بم تنحقق التزكية، إن التزكية تتم في المذاهب الرهبانية بالاعتزال والفرار من الحياة ليتأتى لطالب التزكية أن يتجنب الاهواء والشهوات والفتن، أما في منهج التربية الإسلامية فالامر يختلف اختلافاً كاملاً، فلا ينصح الاسلام المسلم الطالب للتزكية بالفرار من الفتن وكبت الشهوات والأهواء، وإنما يوجهه إلى مواجهة الفتن ومقارعتها بدل الفرار، وتعديل الشهوات وتحديدتها بدل الكبت.

وهذا المنهج التربوي يعتمد «العمل» أساساً للتزكية، وليس الاعتزال والرهبانية والحرمان والكبت، وهذا «العمل» يتحول إلى بصيرة، كما أن «البصيرة» تتحول إلى «العمل»، فما هو «العمل»؟ وما هي «البصيرة»؟ وما هي العلاقة بينهما؟
العلاقة بين «البصيرة» و«العمل»:

تحدثنا عن البصيرة بالاجمال، وأما «العمل» فهو كل جهد هادف يقصد به الانسان وجه الله ورضاء، وهذا العمل له وجهان : حركة «إيجابية» باتجاه طاعة أوامر الله تعالى، وكف «سلبية» للنفس عن ارتكاب المحرمات بأمر الله، إذن مقومات العمل : «الجهود» و«الهدفية» ابتغاء وجه الله، وأنحازة : «الحركة» و«الكف».

والعلاقة بين «العمل» و«البصيرة» علاقة تبادلية جدلية فتكون البصيرة مصدراً للعمل الصالح، ويكون العمل الصالح مصدراً للبصيرة، وهذا التبادل في العلاقة بين

«البصيرة» و«العمل» يؤدي إلى تصعيد العمل والبصيرة بصورة تلقائية، فإن العمل الصالح يؤدي إلى زيادة البصيرة، وزيادة البصيرة تؤدي إلى تصعيد العمل الصالح، وهكذا يتصاعد العمل والبصيرة مرة بعد أخرى حتى يبلغ صاحبهما قمة العمل والبصيرة بهما.

ولنتأمل في هذه العلاقة المتبادلة بين «العمل» و«البصيرة».

الطرق الأولى - العمل الصالح يصدر عن البصيرة :

العمل الصالح ثمرة البصيرة، والبصيرة النافذة القوية تؤدي لا محالة إلى العمل الصالح، ولا تنفصل عنه، وإنما يكون للانسان قصور أو نقص في العمل لقصور أو نقص في البصيرة، والنصوص الإسلامية تؤكد هذا المعنى، ونحن نقدم للقارئ في ما يلي طائفة من هذه النصوص :

عن رسول الله (ص) عن جبرئيل (ع) : «المؤمن يعمل لله كأنه يراه، فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه»^(١).

وعن علي (ع) : «يستدل على اليقين بقصر العمل، وإخلاص العمل، والزهد في الدنيا»^(٢).

وعنه (ع) : «التقوى ثمرة الدين، وأمانة اليقين»^(٣).

وعنه (ع) : «من يستيقن، يعمل جاهداً»^(٤).

وعن الصادق (ع) : «إن العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عند الله من

(١) بحار الأنوار ٧٧ : ٢١.

(٢) غرر الحكم للأمدي ٣٧٦ : ٢.

(٣) غرر الحكم للأمدي ٨٥ : ١.

(٤) غرر الحكم للأمدي ١٦٦ : ٢.

العمل الكثير على غير يقين^١.

وعنه (ع) : « لا عمل إلا بيقين، ولا يقين إلا بخشوع^٢ ».

وعنه (ع) : « العامل على غير بصيرة كالسائر على سراب بقيعة لا يزيده سرعة السير إلا بعداء^٣ ».

وعنه (ع) : « إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفون حتى تصدقوا ولا تصدقون حتى تسلموا^٤، فالتصديق يستتبع المعرفة، والمعرفة تستتبع العمل الصالح ».

وعنه (ع) : « لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف ذلك المعرفة على العمل^٥ ».

وعن الباقر (ع) : « لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف ذلك معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له^٦ ».

الطرف الثاني - البصيرة تصدر عن العمل الصالح :

وكما تصبغ العلاقة في المعادلة الأولى فيصدر العمل الصالح عن البصيرة، كذلك البصيرة تصدر عن العمل الصالح، بالمقابل، وهذا النحو من التبادل في العلاقة أمر شائع في كثير من حقول المعارف الإسلامية.

والقرآن الكريم يؤكد علاقة البصيرة بالعمل، ودور العمل الصالح في تكوين

(١) الكافي ٢ : ٥٧.

(٢) تحف العقول : ٣٢٣.

(٣) وسائل الشيعة ١٨ : ١٢٢، حديث ٣٦.

(٤) بحار الأنوار ٦٩ : ١٠.

(٥) الكافي ١ : ٤٤.

(٦) تحف العقول : ٢١٥.

البصيرة، وإعداد الانسان لاستقبال البصيرة من عند الله، يقول تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾^١، والآية الكريمة واضحة في أن الجهاد، وهو من أبرز مصاديق العمل الصالح من الاسباب التي تعد الانسان لاستقبال الهداية من عند الله ﴿لنهدينهم سبلنا﴾^٢.

وفي الحديث القدسي عن رسول الله (ص): «لا يزال عبدي يتنقل لي حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي به سمع، وبصره الذي يبصره، ويده التي بها يبطش»^٣. وهذا حديث معروف، اشتهر بين المحدثين، ورواه نقاة الرواة ومشايخ الحديث وهو من الاحاديث القدسية، وألفاظ الحديث المتفارية في طرقه المختلفة، والرواية صحيحة وواضحة في أن العبادة من أبواب المعرفة واليقين ولا يزال العبد يتنقل حتى يرزقه الله تعالى بصيرة فيرى بالله ويسمع بالله ويعي بالله، ومن يبصر وسمع ويعي بالله لا يخطيء في بصره وسمعه ومعرفته.

المعادلة السلبية:

وإذا كانت هذه المعادلة صحيحة في الطرفين في علاقة الصل بالبصيرة وعلاقة

(١) المنكوت: ٦٩.

(٢) وحسب الله شيخنا الجليل المجاهد الشيخ عباس علي اسلامي كنت أسمع منه كثيراً ما يقول: إن الانسان لكي يتحرك يحتاج إلى أمرين اثنين لا ثالث لهما يحتاج أولاً إلى من يعينه على التحرك ويخفف عنه عبء الحركة. ويسمعه من حوله وفوته حولاً وفورة ليواصل الحركة. ويحتاج ثانياً إلى من يهديه ويدله على الطريق فلا يضيع ويطيه في الطريق. يحتاج إلى حول وفورة تبعه على الحركة وإلى هدي وبصيرة لتكون حركته في المسير الصحيح وعلى الصراط المستقيم. وقد وعدنا الله تعالى هذين الأمرين معاً في آخر آيتين سورة المنكوت وذلك في قوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ فالذين جاهدوا في سبيل الله يمنحهم الله قولاً دعماً وحولاً وفورة. وهو المنفعة الإلهية «إن الله لمع المحسنين» ومنحه ثانياً رؤية وبصيرة وهداية وهو قوله تعالى لنهدينهم سبلنا.

(٣) أصول الكافي ٢: ٣٥٢.

البصيرة بالعمل، فإن هذه المعادلة نفسها تصبح في الاتجاه السلبي أيضاً من الطرفين، فيؤدي سوء العمل «الفساد» إلى «تردي البصيرة» و«العمى» و«الصمم»، كما يؤدي «العمى» و«الصمم» و«تردي البصيرة» إلى «سوء العمل والفساد» و«الذنوب» و«المعاصي» و«الظلم».

وهنا نحن نستعرض النصوص الإسلامية التي تنص على الصيغة السلبية لهذه المعادلة في طرفيها، كما تحدثنا قبل ذلك عن النصوص الإسلامية بخصوص هذه المعادلة في صيغتها الإيجابية من الطرفين.

فساد العمل يؤدي إلى انعدام البصائر:

وهذا هو الطرف الأول لهذه المعادلة السلبية، والنصوص الإسلامية غنية في هذا الجانب، والفرآن يؤكد هذه الحقيقة ويكرسها في مواضع كثيرة: يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدَ اللَّهِ؟﴾^١.

فالذين يتخذون من دون الله آلهة، يعبدونهم، ويشركون بالله، يسلبهم الله بصائرهم، ويختم على أسماعهم وقلوبهم، ويجعل على بصائرهم غشاوة، وإذا سلب الله تعالى البصيرة من عبده، فمن يهديه من بعد الله؟ ويقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾^٢، وهو بالمعنى السابق، وإجمالاً للتفصيل السابق، ويقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ﴾^٣، وإن الاسراف يجزئ الإنسان إلى الضلال، يقول تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^٤ ويقول تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) غافر: ٧٤.

(٣) غافر: ٣٤.

(٤) هجزة: ٢٦.

الظالمين^١.

اذن القس والظلم يؤديان إلى الضلال، والضلال ثمرة لهما، يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^٢، فالذنوب والمعاصي التي يكتسبها الانسان ويستحصلها بعمله تتجمع فتكون ريناً وصدأ على قلبه يحجب عن الله تعالى وعن الحق، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^٦، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^٧.

وعن رسول الله (ص): «لولا تكثير في كلامكم، وتمزيج في قلوبكم، لرأيتم ما أرى وسمعت ما أسمع»^٨.

وعن علي (ع): «كيف يستطيع الهدى من يغلبه الهوى»^٩.

وعنه (ع): «إنكم إن أضلتم عليكم الهوى أضلتمكم وأعماكم وأرداكم»^{١٠}.

إذن الاكثار من الكلام في الباطل والمزج والخلط بين الحق والباطل في القلوب يعمي الابصار ويصم الاسماع:

(١) ابراهيم: ٢٧.

(٢) المطففين: ١٤.

(٣) القصص: ٥.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) المنافقون: ٦.

(٦) غافر: ٢٨.

(٧) الزمر: ٤.

(٨) الميزان: ٥: ٢٩٢.

(٩) غرر الحكم للأمدي ٢: ٩٤.

(١٠) غرر الحكم للأمدي ١: ٢٦٤.

عن أبي جعفر الباقر (ع) قال : « ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، وإن تهاوى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطى البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عز وجل : ﴿يَلْزَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَزْوَاجٌ لَهُمْ قُلُوبٌ يَكْمِشُونَ﴾^(١). وهذا السواد الذي يغطى القلب حتى يحجبه تماماً هو الذي يسلب الإنسان البصيرة، وهو تعبير عن انعدام البصيرة لدى الإنسان بما يكتسبه من الذنوب والمعاصي.

وعن الباقر (ع) : « ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة، إن القلب لبواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله، قال رسول الله (ص) : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نَكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِذَا تَابَ وَفَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَفَلَ قَلْبِهِ، وَإِنْ أَزْدَادَ زَادَتْ فَذَلِكَ الرِّينَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿كَلَّا يَلْزَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَزْوَاجٌ لَهُمْ قُلُوبٌ يَكْمِشُونَ﴾^(٢)».

وعن علي (ع) : «إِنَّ أَطْلَعَ هَوَاكَ أَصْلَكَ وَأَعْمَاكَ^(٣)».

فقدان البصائر يؤدي إلى فساد الأعمال :

كما كانت هذه المعادلة السلبية تصحّ في الطرف الأول ونشوء الضلال والعمى عن الفساد والمعاصي، كذلك تصحّ في طرفها الآخر «نشوء المعاصي والفساد عن الضلال والعمى»، فيؤدّي «العمى» و«الضلال» و«الجهالة» و«انعدام البصيرة» إلى سيئات الأعمال والشقاء والظلم والاسراف، يقول تعالى : ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا

(١) نور الثقلين ٥ : ٥٣١.

(٢) نور الثقلين ٥ : ٥٣١.

(٣) غرر الحكم للامدي.

ثبوتنا وكنا قوماً ضالين^١.

وعن علي (ع) : «لا ورع مع غي»^٢.

ويقول (ع) في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان : «إمرئ ليس له بصر يهديه، ولا فائد يرشده، قد دعاه الهوى فأجاب، وقاده الضلال فأتبعه، فهجرا لغطاً، وضلّ خابطاً»^٣.

وعنه (ع) : «من زاغ ساءت عنده الحسنة، وحسنت عنده السيئة، وسكر سكر الضلالة»^٤.

العلاقة المتبادلة بين «البصيرة» والعمل في السلب والإيجاب :

إذن فما بين «البصيرة» و«العمل» علاقة متينة وقوية ومتبادلة سلباً وإيجاباً بهذه الصورة :

- ١- إن البصيرة تؤدي إلى العمل الصالح.
- ٢- والعمل الصالح يؤدي إلى البصيرة والهدى.
- ٣- والضلالة وانعدام البصيرة تؤدي إلى الظلم والفجور وسيئات الاعمال والمعاصي والذنوب.
- ٤- وسيئات الاعمال والظلم والفجور تؤدي إلى العمى وانعدام البصيرة.

النتيجة والخلاصة

والنتيجة التي ننتهي إليها بعد هذه الجولة من البحث عن تفسير هذه الفقرة من

(١) المؤمنون : ٦-١٠.

(٢) غرر الحكم للأندلسي : ٢ : ٢٤٥.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب : ٧.

(٤) نهج البلاغة، العنكب : ٣١.

٢٣٤ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الحديث القدسي: «كففت عليه ضيعته» هي: أن الإنسان إذا خالف هواه، وجعل هواه تبعاً لأرادة الله تعالى ورضاه، رزقه الله تعالى نوراً وبصيرة وهدي، وأخذ بيده في منعطفات الطريق وظلمات المسير، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمْتُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾^١.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾^٢.

ويقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾^٣.

وروي عن علي (ع): «هَدِي من أشعر قلبه التقوى»^٤.

وروي عنه (ع): «هَدِي من تجلبب جلباب الدين»^٥.

وعنه (ع): «من غرس أشجار الثمن، جنى ثمار الهدى»^٦.

والحمد لله رب العالمين.

محمد مهدي الآصفي

١٠ ذي القعدة ١٤١٢

قم المقدسة

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) الأنفال: ٢٩.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) غرر الحكم للأعمدي ٢: ٣١١.

(٥) نفس المصدر.

(٦) غرر الحكم للأعمدي ٢: ٢١٥.

الفهرست الإجمالي

فهرس الآيات الشريفة

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس مصادر الكتاب

فهرس الفصول والأبواب

فهرس الآيات الشريفة

البقرة:

٢١٣	٣-١	﴿ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾
١٨٥	٧	﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾
٢٣٠	٢٦	﴿وما يفضّل به إلا الفاسقين﴾
٢٩	٣٠	﴿خلقته﴾
١٥٩	٤٢	﴿فأخذناهم بالآبساء والضراء لمآلهم ينصرون﴾
١٤٨	٨٦	﴿اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾
١٨٦	٨٨	﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم﴾
٧٤	١١٧	﴿والا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾
١٥٩	١٥٥	﴿ولنبلونكم بشيء ومن البخوف والجوع ونقص من الاموال﴾
١٥٥	١٧٢	﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الارض حلالاً طيباً﴾
١٢٥	٢١٢	﴿وأتين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾
١١٠	٢٥٧	﴿والله ولي الذين آمنوا...والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت﴾

٢٣٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ٢٨٢ ٣٥ و ٢٣٤

آل عمران:

- ﴿ذَيْنِ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ...﴾ ١٤ ٥٦
﴿يَلَيَنَّ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ ١٢٥ ٢١٥
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٤٠ ٢١٥
﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ ١٥٣ ١٦٣
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ ١٨٥ ١٢٧

النساء:

- ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ٩٠ ٣٨
﴿يَتَشَفَّعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ ٩٣ ١٢٦
﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ﴾ ١٣٥ ٣٨
﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ ١٥٥ ١٨٦

المائدة

- ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ صَمَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ٤٩ ٣٨
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٧ ٢٣١

الأنعام:

- ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ٦ ٢١٦

١٨٩	٢٥	﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾
١٣٦	٣٣	﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾
٢١٧	٤٢	﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضراء﴾
٢١٦	٤٥	﴿قلوا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم﴾

الاعراف:

٩٣	٢٦	﴿ولباس الثفوى ذلك عيب﴾
١٢٣	٢٨	﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾
	٣١٩٠	﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾
١٥٥، ٩٠، ٥٧	٣٢	﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات...﴾
٩٠	٣٣	﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها...﴾
٢٩	٥٤	﴿مسخرات بأمره﴾
٢١٦	٩٦	﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات...﴾
١٨٥	١٠٠	﴿ونطيع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾
١٢٦	١٦٩	﴿ياخذون غرض هذا الأدنى و يقولون سيئفّر لنا﴾
٥١	١٧٥	﴿وانزل عليهم نيا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها...﴾
٥٠	١٧٦	﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض﴾

الأنفال:

٩١	٢٨	﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾
٢٣٤	٢٩	﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقان﴾

٢٤٠ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾ ٦٧ ١٢٦

التوبة:

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين...﴾ ٢٥-٢٦ ٢١٤

﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾ ٣٨ ١٢٦

﴿لو كان عرضاً قريباً و سفرأ قاصداً لاتبعوك﴾ ٤٢ ١٢٦

﴿انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ ٥٥ ٢٠٨، ٢٠١، ١١٦

﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ٦٧ ٥٠

﴿انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا و تزهق أنفسهم﴾ ٨٥ ٢٠٨، ٢٠١

﴿صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ١٢٧ ١٨٥

يونس:

﴿ان الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا...﴾ ٧-٨ ١٤٩

﴿انما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء...﴾ ٢٤ ١٣٧

﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ ٨٨ ١٨٦

هود:

﴿وما توفيتي الا بالله﴾ ٨٨ ٢١١

يوسف:

﴿ولما بلغ أشده و استوى آتيناه حكماً و علماً﴾ ٢٢ ٣٦

فهرس الآيات الشريفة ٢٤١

﴿ان النفس لأماراً بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ ٥٣ ٢٠

الرعد:

﴿و فرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ ٢٦ ١٤٦

﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ ٨٦ ١٢٦

ابراهيم:

﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ الذين يستحيون الحياة الدنيا... ٣٠٢ ١٤٥

﴿ويفصل الله الظالمين﴾ ٢٧ ٢٣١

التحل:

﴿مسخرات بأمره﴾ ١٢ ٧٩، ٢٩

﴿ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله﴾ ٣٦ ٣٨

﴿انما قولنا لشيء إذا اردناه أن نقول أنه كن فيكون﴾ ٤٠ ٧٥

﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله﴾ ١٠٦ ١٤٥

﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة...﴾ ١٠٧ ١٤٥

الاصراء:

﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها﴾ ١٨ ١٥٠

الكهف:

١٣٧	٧	﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهن...﴾
٥٣،٤٦،٤١	٢٨	﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾
١٣٣	٤٥	﴿كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض...﴾
٥٦	٤٦	﴿الجمال واليئوس زينة الحياة الدنيا﴾

مريم:

٢١١	٣١	﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾
٧٥	٣٥	﴿سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾
٤٣	٥٩	﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾

طه:

٥٦	٨١	﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾
١٤٢	١٣١	﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم...﴾

الانبياء:

٢١٣	٤٩	﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مستفقون﴾
١٣٤	١٠٤	﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾

المؤمنون:

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ١٠٦ ٢٣٣

الفرقان:

﴿أَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهِهَ هَرَاءَ افْتَأْتِ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ٤٣ ٤٩، ١٥

القصاص:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥ ٢٣١

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ...﴾ ١٤ ٣٦

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ٥٠ ٤٢

﴿تِلْكَ لَآئِهْدِي مِنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ٥٦ ٢٢٣

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيحَتَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ٧٧ ١٥٦، ٥٦

العتكوت:

﴿أَخْبِيبِ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ٢ ١٥٩

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ...﴾ ٦٤ ١٤٧، ١٣٦، ١٢٧

﴿وَالَّذِينَ يَجَاهِدُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سَبِيلًا﴾ ٦٩ ٢٢٩

الروم:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ...﴾ ٧ ١٢٥

٢٤٤الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك...﴾ ٣٠ ٥٩

لقمان:

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ ٣٣ ١٢٧

الأحزاب:

﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ٤ ٥٢

فاطر:

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور﴾ ٥ ١٢٧

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ٢٨ ٢٠٣

يس:

﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ ١١ ٢١٣

ص:

﴿قالوا ربنا عجل لنا قلعنا قبل يوم الحساب﴾ ١٦ ١٥٠

﴿إن هذا أخي له تسع و تسعون نجمة ولي نجمة واحدة﴾ ٢٣ ٢٠٢

﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون...﴾ ٢٦ ٤٣

﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ ٤٩ ٣٨

الزمر:

٢٣١	٣	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾
٣٨	١٧	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا﴾
١٨٦	٢٢	﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

المؤمن:

٢٣١	٢٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾
٢٣٠	٣٤	﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾
٢٢٤	٣٨	﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
١٤٧، ١٢٧	٣٩	﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مُتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ...﴾
٢٣٠	٧٤	﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾

فصلت:

١٨٦	٥	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَكَ إِلَيْهِ﴾
١٢٣	٢١	﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدَتْمْ عَلَيْنَا فَاَلَوْ أَنطَقْنَا اللَّهَ﴾

الشورى:

٢٢٤	٥٢	﴿وَتِلْكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
-----	----	--

٢٤٩ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

الجبائية:

﴿أفرايت من اتخذ لله هواء...﴾ ٢٣ ٢٣١، ٤٩، ٤٨، ٤٢

الاحقاف:

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم...﴾ ٢٠ ١٤٩

محمد (ص):

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ٢٤ ١٨٥

الحجرات:

﴿ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزيته في قلوبكم...﴾ ٧ ٢٥

﴿ان اكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ١٣ ٢٠٣

الذاريات:

﴿ففزعوا إلى الله اني لكم منه نذير مبين﴾ ٥٠ ١١٤

التنجيم:

﴿فأعرض عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا﴾ ٢٩ ١٤٨

الحديد:

﴿و طال عليهم الأمد ففتست قلوبهم﴾	١٦	١٨٦
﴿ل كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾	٢٣	١٦٣
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله﴾	٢٨	٢٣٤، ٣٦
﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾	٢٠	١٣٧، ١٣٦، ١٢٧

الحشر:

﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾	١٩	١١٤
----------------------------	----	-----

الجمعة:

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته﴾	٢	٢٢٥
﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض...﴾	١٠	١٥٥، ١١٨

المنافقون:

﴿ان الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾	٦	٢٣١
----------------------------------	---	-----

الملاق:

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ و يرزقه من حيث لا يحتسب ﴿ ٢-٣	٣-٢	٢١٩، ٢١٣
﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾	٤	٢١٩، ٢١٣

٢٤٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

القيامة:

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ٢٠ ٢٥١

الانسان:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ٢٧ ٢٥١

النازعات:

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٣٧-٣٩ ٢٤٨

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَىٰ النَّفْسَ الْهَوَىٰ﴾ ٤٠ ١٩٤، ٩٤، ١٥

المطففين:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ١٤ ٢٣١، ١٨٥

الأعلى:

﴿بَلْ تَزُنُورُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ١٦-١٧ ٢٤٨

الشمس:

﴿فَالْهَمُّهَا فَجْوَرَهَا وَ تَفْلُحَامَا﴾ ٨ ٧٩

المصر:

﴿والمصر، إنَّ الإنسان لفي خسر﴾ ٢٠١ ١٥٨

فهرس الاحاديث

(١)

- ١٥٣ ﴿آخر نبي يدخل الجنة سليمان بن داود﴾
٤٥ ﴿آفة العقل الهوى﴾

(١)

- ١٧٥ ﴿احذروا هذه الدنيا الخداعة﴾
١٧٥، ١٣٦ ﴿احذركم الدنيا فانها حطوة خضرة﴾
١٧٥ ﴿احذركم الدنيا فانها نيت بدار غبطة﴾
٤٥، ١٥ ﴿احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم﴾
٤٣ ﴿احفظ نفسك من الشهوات تسلم من الآفات﴾
٢٠ ﴿الخطايا (الشهوات) خيل شمس﴾
١٧١، ١٦١ ﴿اسحق الناس بالزهادة من عرف نقص الدنيا﴾
٨٥ ﴿اذا كمل العقل نقص الشهوة﴾
٢٦ ﴿اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة﴾
٤٨ ﴿ارزى بنفسه من ملكته الشهوة﴾
١٩٨ ﴿ألا وإن بليتكم قد عادت كهبتها﴾
١٢٩ ﴿ألا وإن الدنيا دار غلالة خداعة﴾
١٣٢ ﴿ألا وإن الدنيا قد تصرمت﴾
١٣٦ ﴿ألا من بدع هذه اللماظة﴾

- ٣٢ ﴿الآرث طامعة ناعمة في الدنيا جائعة عارية﴾
- ٤٤ ﴿الانقياد للشهوة من أدواء الداء﴾
- ٢٢٧ ﴿التقوى ثمرة الدين﴾
- ٢١٠ ﴿التوفيق أشرف المخطئين﴾
- ٥٠ ﴿الجاهل عيب شهوته﴾
- ١١١ ﴿الحياه يصدّ عن الفعل القبيح﴾
- ٩٤ ﴿الخوف سجن النفس﴾
- ١٧٠ ﴿الديا طلل الغمام﴾
- ١٧١ ﴿الدنيا دار معر ولا دار مقر﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا سوق الخسران﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا مصرع العقول﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا ضحكة مستعير﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا مطلقه الاكياس﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا معدن الشرور و محل الفروور﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا لاتصفو لشارب ولا تنفي لصاحب﴾
- ١٧٤ ﴿الدنيا مزرعة الشر﴾
- ١٧٥ ﴿الدنيا منية الأشقياء﴾
- ١٧٥ ﴿الدنيا نلّم﴾
- ١٧٥ ﴿الدنيا تزل﴾
- ١٧٦ ﴿الدنيا دنيا مان دنيا بلاء و دنيا ملعونة﴾
- ١٧٧ ﴿الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها﴾

- ﴿الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون﴾ ١٨١
- ﴿الدنيا ذخيرة العلم دليل﴾ ١٨١
- ﴿الدنيا...في تفسير قوله تعالى (ونعم دار للمتقين)﴾ ١٨١
- ﴿الزهد يخلق الابدان ويحد الآمال﴾ ١٧٣
- ﴿الزهد مفتاح الصلاح﴾ ١٦٦
- ﴿الزهد في الدنيا قصر الأمل﴾ ١٦٧
- ﴿الزهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال﴾ ١٦٧
- ﴿الزهد كله في كلمتين من القرآن﴾ ١٦٣
- ﴿الزهد بين كلمتين من القرآن﴾ ١٦٣
- ﴿الزهد أصل الدين﴾ ١٦٥
- ﴿الزهد أساس الدين﴾ ١٦٥
- ﴿الزهد مفتاح باب الآخرة﴾ ١٦٥
- ﴿استبح من الله استحياءك من صانع جيرانك﴾ ١٠٠
- ﴿استحبوا من الله في سرائركم كما تستحبون من الناس﴾ ١٠١
- ﴿استحبوا من الله حق العباد﴾ ١٠٢
- ﴿استجلب حلالة الزهادة بقصر الأمل﴾ ١٧٣
- ﴿استرشدوا العقل ترشدوا﴾ ٦١
- ﴿اشجع الناس من غلب هواه﴾ ٨٤
- ﴿أشرف الغنى ترك المعنى﴾ ٢٠٨
- ﴿أهول الناس أملاً أسوأهم عملاً﴾ ١٤٦
- ﴿اعرقوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا﴾ ٧٠

- ٦٤ ﴿أَعْلَمَكُم أَطَرَحَكُمْ﴾
- ٢٨٠ ﴿أَغْنَى الْفَنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَرَمِ أَسِيرًا﴾
- ١٦١ ﴿أَكْثَرُوا ذَكَرَ الْمَوْتِ﴾
- ١٤٦ ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ أَمَلًا أَقَلَّهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا﴾
- ٥٥ ﴿أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بَرِيقِ الْمَطَامِعِ﴾
- ٦٧ ﴿أَكْرَهَ نَفْسِكَ عَلَى الْفُتَاتِلِ﴾
- ٦٥ ﴿الْعَاقِلُ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ﴾
- ٦٥ ﴿الْعَاقِلُ مِنْ عَصَى مَوَاهِ﴾
- ٦٥ ﴿الْعَاقِلُ مَنْ غَلَبَ نَوَازِعَ أُخْرِيَّتِهِ﴾
- ٦٥ ﴿الْعَاقِلُ مَنْ أَمَاتَ شَهْوَتَهُ﴾
- ٦٣ ﴿الْعَاقِلُ إِذَا عَلِمَ مَعْمَلٌ﴾
- ٦٣ ﴿الْعَاقِلُ مِنْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾
- ٦٤ ﴿الْعَاقِلُ مَنْ كَانَ ذُلًّا عِنْدَ اجَابَةِ الْحَزْزِ﴾
- ٦٥ ﴿الْعَاقِلُ مَنْ هَجَرَ شَهْوَتَهُ﴾
- ٦٣ ﴿الْعَامِلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، إِنْ الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ هُمُ الْمُقْلَاءُ﴾
- ٦٦ ﴿الْعَقْلُ صَاحِبُ جَيْشِ الرَّحْمَنِ﴾
- ٣٩ ﴿الْعَقْلُ شَرِيعٌ مِنْ دَاخِلٍ وَ الشَّرِيعُ عَقْلٌ مِنْ خَارِجٍ﴾
- ٦٦ ﴿الْعَقْلُ وَ الشَّهْوَةُ ضِدَّانِ﴾
- ٨٥، ٨٤، ٥٨، ٢٣ ﴿الْعَقْلُ الْكَامِلُ فَاهَرُ لِلطَّيْحِ السَّوْدِ﴾
- ٦١ ﴿الْعَقْلُ أَصْلُ الْعِلْمِ﴾
- ٦١ ﴿الْعَقْلُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِ﴾

- ٦٣ ﴿العقل ماعبد به الرحمن﴾
- ٦٤ ﴿العقل حسام فاطع﴾
- ٢٦ ﴿العفة تضحف الشهوة﴾
- ٥٥ ﴿الغضب مفسد للألباب﴾
- ٢١٠ ﴿الغنم في القلب والفقر في القلب﴾
- ٢١٠ ﴿الغنى قلة تمتلئ﴾
- ٢١٤ ﴿الغنى بالله أعظم الغنى﴾
- ٢٠٨ ﴿الغنى الأكبر اليأس عما في أيدي الناس﴾
- ٢٠٠ ﴿الغنى من استغنى بالقناعة﴾
- ٢٠١ ﴿الغنى شره فقير﴾
- ١٩٥ ﴿اللهم اجعل غناي في نفسي﴾
- ٩١ ﴿اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن﴾
- ٤٠ ﴿اللذات معدنات﴾
- ٢٢٧ ﴿الموفق يعمل له كأنه يراه﴾
- ١٢٢ ﴿المنعمتون من الدنيا تيكى قلوبهم﴾
- ٢٦ ﴿المداومة على الخير كراهية الشر﴾
- ١٠٢ ﴿الهي أشكر إليك نفساً بالسوء أمارة﴾
- ٤٢ ﴿الهوى شريك الممن﴾
- ٤٤ ﴿الهوى أس المحن﴾
- ٤٤ ﴿الهوى مطية الفتن﴾
- ٤٤ ﴿الهوى يردى﴾

٢٥٥	فهرس الاحاديث
٤٤	﴿الهوى هوى الذى أسفل السافلين﴾
٤٥	﴿الهوى قرين مهلك﴾
١٣٢	﴿أما بعد فانما مثل الدنيا مثل الحية﴾
	﴿أما بعد فاني احذركم الدنيا﴾
١٦٥	﴿أما بعد فإن العبد ليفرح بالشئ﴾
٢٣٣	﴿امرئ ليس له بصر يهديه﴾
٤٣، ٤٠	﴿إن أخوف ما أخاف على امتي الهوى وطول الأمل﴾
٥٤، ١٨	﴿إن كان ما يكتفيك يفتيك فأدنى ما فيها يفتيك﴾
٢٤	﴿إن لله ركب للملائكة عقلاً بلا شهوة﴾
٣٣	﴿إن الجنة حُفَّت بالمكارة﴾
٦١، ٥٩، ٣٩	﴿إن لله على الناس حجتين﴾
٥٢	﴿إن الأصل في ذلك يعلم﴾
٥٧	﴿إن العقل عقار من الجهل﴾
٦١	﴿إن الله عز وجل أكمل للناس الحجج بالمعقول﴾
٦٢	﴿إن الله تعالى يثيب ويعاقب بالعقل﴾
٢٠٧	﴿إن أغنى الغنى العقل﴾
٢١٩	﴿إن الله قد ضمن لمن اتقاه﴾
٢٢٠	﴿إن الله عز وجل يقي بالتقوى من العبد﴾
٧٠	﴿إن الله جل ثناؤه خلق العقل﴾
١٢٩	﴿إن أقبلت غرمت وإن أدبرت ضررت﴾
١٥٦	﴿إن الدنيا والآخرة عدوان متفانون﴾

- ١٦٢ ﴿إِنَّ شَيْئاً هَذَا أَوَّلَهُ لِحَقِيقٍ﴾
- ١٦١ ﴿إِنَّ الْعُقُلَاءَ زَعَدُوا فِي الدُّنْيَا﴾
- ١٦٩ ﴿إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ﴾
- ١٧٠ ﴿إِنَّ الدُّنْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِثْلُ الْقُلِّ﴾
- ١٧١ ﴿إِنَّ النُّورَ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ﴾
- ١٨٧ ﴿إِنَّ الدُّنْيَا كَالشَّبَكَةِ تَنْفَعُ عَلَى مَنْ رَغِبَ فِيهَا﴾
- ٢٢٧ ﴿إِنَّ الْعَمَلَ الْفَالِاحَ الْقَلِيلَ عَلَى الْيَقِينِ﴾
- ١٥٣ ﴿إِنَّ لِحُبِّ الدُّنْيَا إِنْ لَا تُزْنَاهَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُزْنَاهَا﴾
- ١٥٢ ﴿أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ لَمْ يَفِدُوا أَحَدَكُمْ﴾
- ٢٣٢، ٤٢ ﴿إِنَّكَ إِنْ أَطَعْتَ هَؤُلَاءِ أَصْبَحْتَ وَأَعْمَلْتَ﴾
- ٢٢٨ ﴿إِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ خَالِحِينَ حَتَّى تَعْرِفُوا﴾
- ٢٣١ ﴿إِنَّكُمْ إِنْ أَمَرْتُمْ عَلَيْكُمْ الْهَوَى أَصْبَحْتُمْ﴾
- ٤٤ ﴿إِنَّمَا بَدَأَ وَفَرَغَ الْفَتْنِ أَهْوَاهُ تَسْبِغٌ﴾
- ١٧٠ ﴿إِنَّمَا الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ﴾
- ١٨٨ ﴿أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ كَثَرِ أَكْلِهِ وَضَحْكِهِ وَنَوْمِهِ وَغَضَبِهِ﴾
- ٤٥ ﴿أَهْلَكَ شَيْءٌ الْهَوَى﴾
- ١١٩ ﴿وَحَىٰ اللَّهُ الْوَيْلَ الدُّنْيَا الْخُدْمِي مَنْ خُدْمَتِي﴾
- ٤٢ ﴿وَأَوْسَبَكَ بِسَجَانَةِ الْهَوَى﴾
- ٤٤ ﴿أَوَّلُ الشَّهْوِ طَرَبٌ وَآخِرُهَا مَطَبٌ﴾
- ١٥٢ ﴿وَأُولَئِكَ عَجَّلَتْ طَبِيبَانَهُمْ﴾
- ٤٤ ﴿وَيَاكُمْ وَنَسَكُنَ الْهَوَى مِنْكُمْ﴾

فہرس الاحادیث ۲۵۷

- ﴿أيها الناس إنما الدنيا ثلاثة﴾ ١٦٤
 ﴿أيها الناس الزهادة قصر الأمل﴾ ١٦٧
 ﴿أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز و الآخرة دار قرار﴾ ١٨٩، ١٧١
 ﴿أيها الدّام للعنيد المفتور وبفروها المنخدع بأباطيلها﴾ ١٨٠
 ﴿أيها الدّام للعنيد أنت المتجزم عليها أم هي المتجزمة عليك﴾ ١٨٢

(b)

- ﴿بالدنيا تحرز الآخرة﴾
﴿يلغى انك انتعت داراً شعانين ديناراً وكتبت لها كتاباً﴾

التي

- ﴿تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلَهُ، قَلِيلًا زُلَّه، خَاشِعًا قَلْبَهُ...﴾

۴۳

- | | |
|-------|---------------------------------------|
| ٨٥،٥٨ | ﴿ ثمرة العقل: مقت الدنيا وقمع الهوى ﴾ |
| ٨٥ | ﴿ ثمرة العقل: الاستقامة ﴾ |
| ٨٥ | ﴿ ثمرة العقل: لزوم الحق ﴾ |
| ٩٦ | ﴿ ثمرة الخوف: الامان ﴾ |

۱۷

- ﴿جَمَلٌ لَّكُمْ أَسْمَاعُ الْتَمِي مَا عَنَّا وَ أُنْصَارُ الْتَمِي مِنْ عَنَّا﴾ ١٤٠

٢٥٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

١٦٥ ﴿جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا﴾

«ح»

١٤٤ ﴿حب الدنيا أصل كل معصية، و أول كل ذنب﴾

١٤٤ ﴿حب الدنيا رأس الفتن و أصل المعصن﴾

٥٩ ﴿حجة الله على العباد النبي، و الحجة فيما بين العباد و بين الله العقل﴾

٥٣ ﴿حرام على كل قلب متوله بالشهوات أن يسكنه الورع﴾

٥٣ ﴿حرام على كل قلب أغري بالشهوات أن يحل في ملكوت السموات﴾

٥٣ ﴿حرام على كل قلب مغلول بالشهوة أن يتنفع بالحكمة﴾

٥٨ ﴿حفظ العقل بمخالفة الهوى و العزوف عن الدنيا﴾

«خ»

٩٦ ﴿خف ربك و ارج رحمة، يؤمنك مما تخاف، و يملك ما رجوت﴾

٢١٠ ﴿خير الاجتهاد ما قارنه التوفيق﴾

«د»

١٢٩ ﴿دار البلاء محفوفة، و بالقدر معروفة، لا تدوم أحوالها﴾

«ر»

١٤٤ ﴿رأس كل خطيئة حب الدنيا﴾

٤٣ ﴿رأس الآفات الوله بالذات﴾

﴿رحم الله من استحيى من الله حق الحياء﴾ ١٠٩

﴿رد الشهوة أقصى لها، ونفاسها أشد لها﴾ ٢٢

﴿ز﴾

﴿زوال العقل بين دواعي الشهوة والغضب﴾ ٤٥

﴿زهد المرء فيما يفتن على قدر يقينه فيما يبقن﴾ ١٧٢

﴿س﴾

﴿سبعة يظلمهم الله يوم لا تظلم إلا تظلم، إلا تظلم، إلا تظلم، إلا تظلم...﴾ ٩٤

﴿ط﴾

﴿طلبت الفنى فما وجدت إلا القناعة، عليكم بالقناعة تستغنوا﴾ ٢٠٠

﴿ع﴾

﴿عبد الشهوة أذل من عبد الرق﴾ ٤٨

﴿عبد الشهوة أسير لا ينفك أسره﴾ ٤٨

﴿عباده لو صيكم بالوفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها﴾ ١٣٥

﴿على قدر الحياء تكون العفة﴾ ١٠٩

﴿غ﴾

﴿غنى العاقل بعلمه﴾ ٢٠٧

«ل»

- ١٣١ ﴿فإن الدنيا رزق مشربها رزق مشرعها، يورق منظورها﴾
 ٥٨ ﴿فكرتك يهديك إلى الرشاد﴾
 ٢١٤ ﴿فلولا الخبز ما صلبنا ولا صمنا، ولا أدبنا فرائض ربنا عز وجل﴾
 ١٦٧ ﴿فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد﴾
 ٢٠٤ ﴿في الزلازل وقود وفي المحارم صبور﴾

«د»

- ٦٤، ٣٩ ﴿قاتل هواك بعقلك﴾
 ٨٣ ﴿قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، وكلف غليظه...﴾
 ٤٣ ﴿قرين الشهوة مريض النفس مطول العقل﴾
 ٦٠ ﴿قُسم العقل على ثلاثة أجزاء فمن كانت فيه كمل عقله﴾

«ك»

- ١٣٩ ﴿كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني...﴾
 ١٢٤ ﴿كُفْ أذاك عن نفسك، ولا تتابع هواها...﴾
 ٢٠٦ ﴿كفى بالبعين غنى، وبالعباد شغلاً...﴾
 ٢٠٦ ﴿كفى بالتقل غنى﴾
 ٢٦ ﴿كلما قويت الحكمة، ضعفت الشهوة﴾
 ١٥٣ ﴿كلما فاتك من الدنيا شيء فهو غنيمة﴾

- ﴿كم من عقل أسير تحت هوى أمير﴾ ٩٧، ٩٩
 ﴿كن في الدنيا كأنك غريب أو كأنك عابر سبيل﴾ ١٨٩
 ﴿كونوا عن الدنيا نژاهاً، و إلى الآخرة ولآها﴾ ١٩٢
 ﴿كيف يستطيع الهدى من يغلب الهوى﴾ ٢٣١

«ل»

- ﴿لا تدع النفس و هواها فإن هواها وداها﴾ ٥٧، ٤٤، ٤٦
 ﴿لا عقل كسخالفة الهوى﴾ ٥٨
 ﴿لا خوف كخوف حاجز ولا رجاء كرجاء معين﴾ ٩٥
 ﴿لا ينبغي للعامل أن يقيم على الخوف إذا وجد إلى الامن...﴾ ٩٩
 ﴿لا ينجح اجتهد بغير توفيق﴾ ٢١٠
 ﴿لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به﴾ ٩١٠
 ﴿لا يزيدني كثرة الناس عزة، ولا تفرقهم عني وحشة﴾ ١١١
 ﴿لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم﴾ ١٤٨
 ﴿لا تسألوا فيها فرق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ﴾ ١٧٧، ١٧٩
 ﴿لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن﴾ ١٨٠
 ﴿لا كنز أغنى من القناعة﴾ ٢٠٠
 ﴿لا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى القلب﴾ ٢٠٠
 ﴿لا غنى مثل العقل﴾ ٢٠٧
 ﴿لا عمل إلا بيقين ولا يقين إلا بخشوع﴾ ٢٢٨
 ﴿لا يقبل عمل إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل﴾ ٢٢٨

٢٦٢ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

٢٣٣ ﴿لادفع مع غي﴾

١٥٣ ﴿لبنى أمة أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة﴾

٦٤، ٥٨، ٢٣ ﴿للتفوس خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى﴾

٦٥، ٢٣ ﴿للقلوب خواطر سوء والنفوس تزجر منها﴾

٦٢ ﴿لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل﴾

٦٣ ﴿لما خلق الله عز وجل العقل قال له أدير فأدير﴾

١١٩ ﴿لما خلق الله الدنيا أمرها بطاعة ربها، فقال لها خالقي...﴾

١٨ ﴿لو كان لابن آدم واد من مال لا يقبض إليه ثانيا﴾

٥٤، ١٨ ﴿لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يقبض وراءهما ثالثا﴾

٢١٤ ﴿لولا البخير ما صلينا﴾

٢١٩ ﴿لو أن السماوات والأرض كانتا رنقا على عبد ثم اتقى الله﴾

٢٣١ ﴿لولا تكثير في كلامكم، و تزييع في قلوبكم لرأيتم ما أرى﴾

٨٤ ﴿ليس الشديد من غلب الناس، ولكن الشديد من غلب نفسه﴾

١٠١ ﴿ليسع أحدكم من ملكيه الذين معه كما يستحي من رجلين﴾

١٩٩ ﴿ليس الغنى من كثر القرض ولكن الغنى غنى النفس﴾

٢٠٢ ﴿ليس الخير أن يكثر مالك، ولكن الخير أن يكثر عملك﴾

٨٤ ﴿ليس الشديد بالصرعة، إنما الذي يهلك نفسه عند الغضب﴾

﴿م﴾

٢١٠ ﴿ما الاستطاعة عندك؟﴾

٣٣ ﴿ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره و ما من معصية...﴾

- ﴿ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله﴾ ٤٩
- ﴿ما أعجب أمر الانسان إن منح له الرجاء أدله الطمع﴾ ١١٧
- ﴿ما من خلقي أحد عظمتها فمُوت عينه ولم يحقرها﴾ ١٢٠
- ﴿ما سكن حيب الدنيا قلباً إلا التاطب بثلاث: شغل لا يتخذ...﴾ ١٢٢
- ﴿ما أصف داراً أولها عناء، وآخرها قناء، في حلالها حساب...﴾ ١٣٩، ١٣٢
- ﴿ما أطال عيبُ الأمل، إلا أساء العمل﴾ ١٤٦
- ﴿ما زاد في الدنيا نقص في الآخرة، ومانع من الدنيا﴾ ١٥٣
- ﴿ما مرض لي قط أمران أحدهما للدنيا والآخرة للآخرة﴾ ١٥٣
- ﴿مالي وللدنيا، إنما مثلي كمثل راكب مؤلفيلولة في ظل شجرة﴾ ١٦٩
- ﴿مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف﴾ ١٦٩
- ﴿ما من عيب إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنبت خرج...﴾ ٢٣٢
- ﴿ما كل من نوى شيئاً قدر عليه وما كل من قدر على شيء وفق له﴾ ٢٦١
- ﴿ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة﴾ ٢٣٢
- ﴿مثل الدنيا كظنك إن وقفت وقف وإن طلبته بعد﴾ ١٢١
- ﴿مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز...﴾ ٢٢
- ﴿مثل الدنيا مثل الحية مسها لئتين، وفي جوفها السم القاتل﴾ ١٢٩
- ﴿مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة﴾ ١٥٣
- ﴿مفتاح الفقر اليقين﴾ ٢٠٦
- ﴿من اشتاق إلى الجنة سلا من الشهوات﴾ ٢٧
- ﴿من اتبع هواه أعماه، وأسمه، وأذله﴾ ٤٢
- ﴿من تسرع إلى الشهوات تسرع إلى الآفات﴾ ٤٣

- ٤٥ ﴿من لم يملك شهوته لم يملك عقله﴾
- ٤٨ ﴿من ملك نفسه علا أمره و من ملكته نفسه ذل قدره﴾
- ٥٩ ﴿من جانب هواء صح عقله﴾
- ٦٦ ﴿من غلب عقله هواء أفلح و من غلب هواء عقله انتضح﴾
- ٨٢ ﴿من أكل ما يشتهي لم ينتظر الله إليه حتى ينزع أو يترك﴾
- ٨٥ ﴿من كمل عقله استهان بالشهوات﴾
- ٨٥ ﴿من كمل عقله حسن عمله﴾
- ٩٢ ﴿من ملك نفسه اذا غضب، و اذا رهب، و اذا اشتتهن حرم...﴾
- ٩٢ ﴿من ملك نفسه اذا رغب، و اذا رهب، و اذا اشتتهن و اذا غضب﴾
- ٩٤ ﴿من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول و يعلم ما يعمل﴾
- ١٠٢ ﴿من أفضّل الورع أن لا يتبدى في خلواتك ما تستحي من اظهاره﴾
- ١٢٠ ﴿من خدّم الدنيا استخدمت و من خدّم الله خدّمه﴾
- ١٢٢ ﴿من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء...﴾
- ١٢٢ ﴿من لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث هم يقنيه﴾
- ١٢٢ ﴿من كانت الدنيا أكبر همه، طال شقاره و همه﴾
- ١٢٢ ﴿من كانت الدنيا همته، اشتدت حسرته عند فراقها﴾
- ١٢٢ ﴿من تعلق قلبه بالدنيا تعلق قلبه بثلاث عصال﴾
- ١٣٩ ﴿من ساعاها فاتته، و من قعد عنها و اتته﴾
- ١٤٠ ﴿من أبصر بها بصرته، و من أبصر إليها أعمته﴾
- ١٤٨ ﴿من عرضت له دنيا و آخره فاختر الدنيا على الآخرة لقي الله...﴾
- ١٤٨ ﴿من عبد الدنيا و أثرها على الآخرة استوخم العاقبة﴾

- ﴿من لم يبال ما رزق من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك﴾ ١٤٩
- ﴿من طلب من الدنيا شيئاً فاته من الآخرة أكثر مما طلب﴾ ١٥٣
- ﴿من صور الموت بين عينيه هان أمر الدنيا عليه﴾ ١٧٢، ١٦١
- ﴿من أصبح على الدنيا حزينا، فقد أصبح لقضاء الله ساهيا﴾ ١٦٣
- ﴿من رغب في الدنيا فطال فيها أمله أصمى الله قلبه على قدر رغبته...﴾ ١٧٢، ١٦٦
- ﴿من أحب الدينار والدورهم فهو عبد الدنيا﴾ ١٨٧
- ﴿من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلکم الدنيا﴾ ١٨٩
- ﴿من أصاب الدنيا أكثر، كان فيها أشد فقراً﴾ ٢٠١
- ﴿من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده...﴾ ٢٠٥
- ﴿من أخرج الله تعالى من ذل المعاصي إلى عز التقوى...﴾ ٢٠٦
- ﴿من أخذ بالتقوى غربت (غابت) عنه الشدائد﴾ ٢١٩
- ﴿من اعتصم بالله يتقواه عصمه الله﴾ ٢١٩
- ﴿من يستيقن يعمل جاهداً﴾ ٢٢٧
- ﴿من زاغ ساءت عنده الحسنة، وحسنت عنده السيئة﴾ ٢٣٣
- ﴿من خرس أشجار الثمن، جنى ثمار الهدى﴾ ٢٣٤

«ن»

- ﴿نعم المون الدنيا على الآخرة﴾ ١٨١
- ﴿نعم المعاجز عن المعاصي الخوف﴾ ٩٥

١٩

- ٢٧ ﴿وَاذْكُرْ مَعَ كُلِّ لَذَّةٍ زَوَالَهَا وَمَعَ كُلِّ نِعْمَةٍ انْتِقَالُهَا﴾
- ١٢٨ ﴿وَاللَّهُ مَا دُنِيََاكُمْ عَنْ يَدِي الْكَتْفِ عَنْ مَنْهَلٍ حَلَوٍ﴾
- ١٣٤ ﴿وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قَلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نَجْمَةٍ﴾
- ١٤١ ﴿وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مَتْنٌ بِصِرَاطٍ عَمِيٍّ وَلَا يَبْصُرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا﴾
- ١٤٢ ﴿وَالرِّكْضُ وَرَاءَهَا، فَيَطُولُ عَذَابُهَا فِيهَا وَلَا يَنَالُ مِنْهَا فَايْتَهُ﴾
- ١٥٤ ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا، وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ﴾
- ١٥٨ ﴿وَاعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ، لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا﴾
- ١٦٠ ﴿وَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا﴾
- ١٩٢ ﴿وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانَكُمْ﴾
- ١٩٧ ﴿وَأَسْمَعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْعِيَ بِكُمْ﴾
- ١٨٨ ﴿وَاعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا خَلَقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ﴾
- ٢١٤ ﴿وَبِهِ (الْخَيْرُ) صَمْتٌ﴾
- ٢٠٠ ﴿وَعَنْهَا (الدُّنْيَا) فَقِيرٌ﴾
- ١٧٠ ﴿وَقِيلَ لِلنَّبِيِّ (ص): كَيْفَ يَكُونُ الرَّجُلُ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ كَمَا تَمُرُ الْفَافِلَةُ﴾
- ١٧٧ ﴿وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ﴾
- ١٧٩ ﴿وَلَا تَشْغَلْهُ بِالْإِكْتَارِ عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا، تَلْهِيَنِي عَجَائِبُ بَهْجَتِهَا﴾
- ١٨٤ ﴿وَلَا تَكُنِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ حَمَلِكَ﴾
- ١٨٧ ﴿وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا عَلَيَّ سَجْنًا وَلَا تَجْعَلِ قِرَاقَهَا لِي حَزْنًا﴾
- ١٩٨ ﴿وَلَيْسَ الثَّوْبُ لِبَسِ الْغُرِّ مَقْلُوبًا﴾

وهو

- ﴿هُدًى من أشعر قلبه التقوى﴾ ٢٣٤
 ﴿هُدًى من تجلبب جلباب الدين﴾ ٢٣٤
 ﴿هل منكم من يريد أن يؤتبه الله علماً بغير تعلم وهدياً بغير هداية﴾ ١٧٢

«ي»

- ﴿يا ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان...﴾ ١٧٧، ١٩
 ﴿يا هشام اعرف العقل وجنده والجهل وجنده تكن من المهتدين﴾
 ﴿يا اباذر استع من الله فاني والذي نفسي بيده لأظل حين...﴾ ١١٠
 ﴿يا دنيا إليك هني، أبي تعرضت؟ أم إليّ تشرفت؟﴾ ١٢٨
 ﴿يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها﴾ ١٦٩
 ﴿يا اباذر: ما زهد عيد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه﴾ ١٧٢
 ﴿يا اباذر اذا رأيت اخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه﴾ ١٧٢
 ﴿يا جابر ان اهل التقوى هم الاغنياء﴾ ٢٠٦
 ﴿يا اطول الانبياء عمراً كيف وجدت الدنيا، فقال يكدار لها بابان﴾ ١٨٩
 ﴿يا اباذر استغن بنثنى الله تعالى، بفتيك الله﴾ ٢٠٤
 ﴿يا هشام: من أراد الضنى يلاما، وراحة القلب من الحسد﴾ ٢٠٧
 ﴿يا اباذر إنك غضبت لله فأرج من غضبت له﴾ ٢١٩
 ﴿يُستدل على اليقين بفصر الأمل و اخلاص العمل﴾ ٢٢٧

فهرس الأعلام

دأه

٥٤٠١٨

آدم

أأه

٨٣

﴿إبراهيم الخواص﴾

٩٨٠٣٢

﴿ابن الجوزي﴾

١٤١،١٤٠

﴿ابن أبي الحديد﴾

٢٢٠

﴿ابن عمر﴾

١٩٤،١١

﴿ابن فهد﴾

٩٨

﴿أبو سعد بن أبي امامة﴾

١١٢

﴿أبو القظان﴾

١٠٢

﴿أبو حمزة﴾

٢١٩،٢٠٤،١٧٢،١٠٠

﴿أبو ذر﴾

١١١

﴿أسماء بن الحكم الفزارقي﴾

١٥٢

﴿إمام إبراهيم﴾

١٩

﴿أنس﴾

٣٢

﴿أبي الجبير﴾

وبه

٧٠

﴿البرقي﴾

٥١٥٠

﴿يلعم بن باعورا﴾

«ج»

٢٠٦

﴿جابر بن عبدالله الانصاري﴾

﴿جعفر بن محمد الصادق ع﴾ ١٥٠، ١٦٠، ١٨٠، ١٩٠، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٩٠، ٤٠٠، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٣٠، ٤٤٠، ٤٥٠، ٤٦٠، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥١٠، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٨٠، ٥٩٠، ٦٠٠، ٦١٠، ٦٢٠، ٦٣٠، ٦٤٠، ٦٥٠، ٦٦٠، ٦٧٠، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧٠٠، ٧١٠، ٧٢٠، ٧٣٠، ٧٤٠، ٧٥٠، ٧٦٠، ٧٧٠، ٧٨٠، ٧٩٠، ٨٠٠، ٨١٠، ٨٢٠، ٨٣٠، ٨٤٠، ٨٥٠، ٨٦٠، ٨٧٠، ٨٨٠، ٨٩٠، ٩٠٠، ٩١٠، ٩٢٠، ٩٣٠، ٩٤٠، ٩٥٠، ٩٦٠، ٩٧٠، ٩٨٠، ٩٩٠، ١٠٠٠

١٢٢، ١٤٤، ١٥٣، ١٦٥، ١٧٧، ١٨٧، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٨

«ح»

٧٠

﴿الحميري﴾

١٨

﴿حمزة بن عمران﴾

١٦٩

﴿الحسن بن علي ع﴾

١٩٥، ١٧٩

﴿الحسين بن علي ع﴾

«خ»

٩٨

﴿خارجة بن زياد﴾

«ز»

٢٠

﴿زيد بن صوحان﴾

«س»

٧٠

﴿سعد﴾

٢٧٠ النهوي في حديث أهل البيت عليهم السلام

- ٢٢١ ﴿سعد الخير﴾
١٣٢ ﴿سليمان الفارسي﴾
٢٠١ ﴿سليمان بن داود﴾
٧١ ﴿سماعة﴾

«ش»

- ١٤٠، ١٣٠، ١٥٠ ﴿الشريف الرضي﴾
١٣١ ﴿شريح بن الحارث﴾

«ص»

- ١٩٣ ﴿الصدوق﴾

«ض»

- ١٢٨ ﴿ضرازين حمزة الشيباني﴾

«ع»

- ١٦٥ ﴿عبدالله بن عباس﴾
٩٧ ﴿عبيد بن عمير﴾
١٩٨ ﴿عثمان بن عفان﴾
٩٦ ﴿عثمان بن زفر التيمي﴾
٢٠ ﴿العزيم﴾

٢٧٢ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

﴿الكليني﴾ ١٩٤، ٧٢

﴿كسبل بن زياد﴾ ٨٢

٢٨

﴿محمد بن علي الجواد ع﴾ ٢٢٠

﴿محمد بن علي الباقر ع﴾ ١١، ٢٢، ٥٢، ٥٨، ٦٢، ٩٥، ١٥٦، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ١٨١،

١٨٧، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٨٨، ٢٣٢

﴿محمد بن ابي بكر﴾ ١٦٠

﴿المجلسي﴾ ١٧٠، ١٧٢، ٢٢٢

﴿المسيح﴾ ١٧٠، ١٨٩، ٢٠٩

﴿معاوية بن ابي سفيان﴾ ٦٣، ١١٢، ١٢٨، ٢٣٣

﴿المفيد﴾ ١١٧

﴿موسى بن جعفر ع﴾ ٣٩، ٥٩، ٦١، ٧٠، ٧٢، ١٠١، ١٦١، ١٦٢، ٢٠٧، ٢٠٨

﴿موسى بن عمران ع﴾ ٥١، ١٢٠، ١٤٧

٢٩

﴿نافع﴾ ٢٢٠

﴿نوح ع﴾ ١٨٩، ٢٢٠

٣٠

﴿هشام بن الحكم﴾ ٧٢، ٧٣، ٢٠٨

«ي»

مصادر الكتاب

﴿الانحافات السنية في الاحاديث القدسية للشيخ محمد المدني﴾

﴿الارشاد للمعبد﴾

﴿ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري للتسلائي﴾

﴿اصول الكافي للكليني﴾

﴿بحار الانوار للمجلسي﴾

﴿صحيح البخاري﴾

﴿تحف العقول لابن شعبة البهراي﴾

﴿نواب الأعمال للصدوق﴾

﴿الجامع الصغير للسيوطي﴾

﴿الجامع الكبير للطبري﴾

﴿الجزاهر السنية للحر العاملي﴾

﴿الخصال للصدوق﴾

﴿الدر المنثور للسيوطي﴾

﴿ذم الهوى لابن الجوزي﴾

- ﴿الراغب للأصفهاني﴾
- ﴿الشهاب لمحمد تقي الفلسفي﴾
- ﴿صحيح مسلم﴾
- ﴿عدة الداعي لابن فهد الحلبي﴾
- ﴿غزيرالحكم للامدي﴾
- ﴿فتح الباري في شرح صحيح البخاري للمقلائي﴾
- ﴿فروع الكافي للكليني﴾
- ﴿كنز العمال للمتقي الهندي﴾
- ﴿مجموعة ورام (تنبيه الخواطر)﴾
- ﴿مجمع البحرين للطبري﴾
- ﴿مستدرك وسائل الشيعة للمحقق النوري﴾
- ﴿مسند أحمد﴾
- ﴿مكارم الأخلاق للطبرسي﴾
- ﴿ميزان الحكمة للري شهري﴾
- ﴿نهج البلاغة﴾
- ﴿نورالقلبين للحويزي﴾
- ﴿وسائل الشيعة للحر العاملي﴾

فهرس الموضوعات

- ﴿كلمة المجمع العالمي لأهل البيت(ع)﴾

الفصل الاول - الهوى في القرآن و الحديث

- ١٥ ﴿مصطلح الهوى في الكتاب والسنة﴾
- ١٦ ﴿المنابع الستة داخل النفس﴾
- ١٧ ﴿خصائص الهوى﴾
- ١٨ ﴿١ - الحالة الترسية للهوى﴾
- ١٩ ﴿٢ - قوة التحريك والالاحاق في الهوى﴾
- ٢١ ﴿٣ - حالة النهم في الهوى تتضاعف بالاستجابة﴾
- ٢٢ ﴿سلطان العقل على الهوى﴾
- ٢٣ ﴿الانسان تركيب من العقل و الهوى﴾
- ٢٤ ﴿تلطيف الهوى﴾
- ٢٧ ﴿الدور الابجابي للهوى في حياة الانسان﴾
- ٢٨ ﴿١ - الهوى العامل المحرك الاقوى في حياة الانسان﴾
- ٢٩ ﴿٢ - الهوى سَلَم للكمال﴾
- ٣٤ ﴿٣ - التفاعلات التي تجري داخل النفس﴾
- ٣٧ ﴿الدور التخريبي للهوى﴾
- ٣٧ ﴿الهوى والطاغوت﴾
- ٣٩ ﴿العقل والدين﴾
- ٣٩ ﴿العائلة التخريبية للهوى﴾
- ٤١ ﴿المرحلة الارلى من الدور التخريبي للهوى﴾
- ٤٢ ﴿١ - الهوى يغلق منافذ القلب على الهدى﴾

- ٤٣ ﴿٢- الهوى ضلال و حدّ من سبيل الله﴾
- ٤٣ ﴿٣- الشهوات سمومات﴾
- ٤٣ ﴿٤- الهوى آفة و مرض﴾
- ٤٤ ﴿٥- الهوى أساس مخنة الانسان﴾
- ٤٤ ﴿٦- الهوى معيّة الفنن﴾
- ٤٤ ﴿٧- الهوى سقوط و ردئ﴾
- ٤٥ ﴿٨- الهوى هلاك﴾
- ٤٥ ﴿٩- الهوى عدو الانسان﴾
- ٤٥ ﴿١٠- الهوى يعطل العقل﴾
- ٤٦ ﴿المرحلة الثانية من الدور التخريبي للهوى﴾
- ٤٦ ﴿في اسر الهوى﴾
- ٤٨ ﴿اسر الهوى في النصوص الإسلامية﴾
- ٤٩ ﴿استعباد الهوى للانسان﴾
- ٥٠ ﴿نوا الله فنيهم﴾
- ٥٠ ﴿بيان القرآن عن الدور التخريبي للهوى﴾
- ٥٢ ﴿١- الخلود الى الارض﴾
- ٥٢ ﴿٢- الامسلاخ عن آيات الله﴾
- ٥٣ ﴿٣- استيلاء الشيطان عليه﴾
- ٥٤ ﴿١- الغواية و الضلال﴾
- ٥٤ ﴿٥- الحرص و الجشع﴾
- ٥٥ ﴿علاج الهوى﴾

٢٧٧	فهرس الموضوعات
٥٥	﴿الطاقة التخريبية للهوى﴾
٥٥	﴿بين الكبت والاسترسال في اتباع الهوى﴾
٥٧	﴿رسالة العقل في ضبط الهوى﴾
٥٩	﴿العقل والدين﴾
٦٠	﴿الادوار الثلاثة للعقل﴾
٦٠	﴿١ - المعرفة والاحتجاج﴾
٦٠	﴿٢ - طاعة الله عز وجل﴾
٦٤	﴿٣ - الصبر في مكافحة الهوى﴾
٦٥	﴿نهض الإنسان بقرره الصراع بين العقل والهوى﴾
٦٧	﴿ضعف العقل و قوة الهوى﴾
٦٨	﴿جنود العقل﴾
٧٠	﴿استعراض نموص جنود العقل﴾
٧٠	﴿الرواية الاولى﴾
٧٢	﴿الرواية الثانية﴾
٧٤	﴿تأملات في نصرص جنود العقل و الجهل﴾
٨٤	﴿ثمرات و افرازات العقل الكامل﴾
٨٥	﴿المصمم﴾
٨٨	﴿عودة الى البحث عن المصمم﴾
٩٣	﴿الخوف من الله﴾
٩٥	﴿الخوف أمان﴾
٩٦	﴿قصص عن دور الخوف في كف الهوى﴾

٢٧٨ الهوى في حديث أهل البيت عليهم السلام

٩٩ ﴿الحياء﴾

١٠٠ ﴿الحياء من الله تعالى﴾

١٠٢ ﴿الشكوى الى الله من قلة الحياء﴾

الفصل الثاني - من يؤثر هواه على هوى الله

١٠٨ ﴿١ - شئت أمره﴾

١٠٩ ﴿الشخصية المنسجمة﴾

١١١ ﴿عمارين ياسر﴾

١١٣ ﴿الشخصية القلقة وغير المنسجمة﴾

١١٦ ﴿عذاب الانسان في دائرة الهوى﴾

١١٧ ﴿الدنيا تعذب من بطليها﴾

١٢١ ﴿صورة اخرى من عذاب الانسان عند اتباع الهوى﴾

١٢١ ﴿الدنيا تشبه ظل الانسان﴾

١٢٠ ﴿صورة اخرى من عذاب الانسان عند اتباع الهوى﴾

١٢١ ﴿الدنيا تشبه ظل الانسان﴾

١٢١ ﴿نماذج من النصوص في عذاب الانسان﴾

١٢٣ ﴿تشنت الانسان في الآخرة﴾

١٢٤ ﴿٢ - لبست عليه دنياه﴾

١٢٤ ﴿ظاهر الدنيا وباطنها﴾

١٢٥ ﴿أ - الوجه الباطن للدنيا﴾

١٢٧ ﴿المقابلة بين الدنيا والآخرة﴾

٢٧٩	قهرس الموضوعات
١٢٧	﴿الدنيا في كلمات الأمام﴾
١٣٦	﴿وب - الرجه الظاهر للدنيا﴾
١٣٧	﴿المقارنة بين الرجه الظاهر والباطن للحياة الدنيا﴾
١٣٨	﴿تعدد الرؤية الى الدنيا﴾
١٤٢	﴿الطريقة الصحيحة للرؤية﴾
١٤٣	﴿تنائج وانعكاسات الرؤية على النفس﴾
١٤٣	﴿حب الدنيا والزهد﴾
١٤٤	﴿حب الدنيا﴾
١٤٤	﴿حب الدنيا مصدر كل شرقي حياة الانسان﴾
١٤٥	﴿حب الدنيا يؤدي الى الكفر﴾
١٤٥	﴿الاثار النفسية والسلوكية لحب الدنيا﴾
١٤٥	﴿١ - طول الأمل بالدنيا﴾
١٤٦	﴿٢ - الاطمئنان الى الدنيا والركون إليها﴾
١٤٧	﴿٣ - ابتار الحياة الدنيا على الآخرة﴾
١٤٩	﴿٤ - الاستمجال بطيبات الآخرة في الدنيا﴾
١٥٠	﴿المعالجة﴾
١٥١	﴿النصوص﴾
١٥٤	﴿دراسة تحليلية للنصوص﴾
١٦٠	﴿الرؤيا النافذة الى الدنيا﴾
١٦٢	﴿الزهد﴾
١٦٥	﴿الزهد مصدر كل خير﴾

- ١٦٦ ﴿الآثار النفسية والسلوكية للزهد﴾
- ١٦٦ ﴿١- فسر الأمل﴾
- ١٦٧ ﴿٢- التحرر والانطلاق من الانفعالات الدنيوية﴾
- ١٦٨ ﴿٣- نفي الركون إلى الدنيا﴾
- ١٧٠ ﴿الدنيا قنطرة﴾
- ١٧١ ﴿العلاقة المتبادلة بين الأسباب والنتائج﴾
- ١٧١ ﴿في علاقة الزهد بالبصيرة﴾
- ١٧٢ ﴿ومن علاقة البصيرة بالزهد﴾
- ١٧٣ ﴿الدنيا المذمومة و الدنيا الممدوحة﴾
- ١٧٣ ﴿١- الدنيا المذمومة﴾
- ١٧٥ ﴿التحذير من الدنيا﴾
- ١٧٥ ﴿٢- الدنيا الممدوحة﴾
- ١٧٦ ﴿١- الدنيا بلاغ الآخرة﴾
- ١٨٠ ﴿٢- الدنيا مركب المؤمن﴾
- ١٨٠ ﴿٣- الدنيا دار صدق واعتبار﴾
- ١٨٠ ﴿٤- الدنيا دار عافية﴾
- ١٨٠ ﴿٥- الدنيا دار غنى و تزود﴾
- ١٨٠ ﴿٦- الدنيا دار موعظة﴾
- ١٨٠ ﴿٧- الدنيا مسجد أحبباء الله﴾
- ١٨٠ ﴿٨- الدنيا متجر أولياء الله﴾
- ١٨١ ﴿٩- الدنيا سوق﴾

١٨١	﴿ ١٠ - الدنيا عون على الآخرة ﴾
١٨١	﴿ ١١ - الدنيا ذخيرة ﴾
١٨١	﴿ ١٢ - الدنيا دارا لمتقين ﴾
١٨٢	﴿ ١٣ - الدنيا تحرز الآخرة ﴾
١٨٢	﴿ ٣ - واشغلت قلبه بها ﴾
١٨٢	﴿ التبادل بين الجريمة والمعقوبة ﴾
١٨٣	﴿ الوجه الايجابي والسلبى للاستغفار بالدنيا ﴾
١٨٥	﴿ عتادين انغلاق القلب على الله ﴾
١٨٥	﴿ ١ - الرين ﴾
١٨٥	﴿ ٢ - الصرف ﴾
١٨٥	﴿ ٣ - الطمع ﴾
١٨٥	﴿ ٤ - الختم ﴾
١٨٥	﴿ ٥ - الاقبال ﴾
١٨٦	﴿ ٦ - التفليف ﴾
١٨٦	﴿ ٧ - التكنين ﴾
١٨٦	﴿ ٨ - التشديد ﴾
١٨٦	﴿ ٩ - القسوة ﴾
١٨٧	﴿ كيف تتحول الدنيا إلى سجن ﴾
١٨٨	﴿ اهل الدنيا ﴾
١٨٩	﴿ تلبس الدنيا ﴾

الفصل الثالث - من يؤثر هوى الله على هواه

- ١٩٤ ﴿ابشأ الانسان نهوى الله على هواه﴾
- ١٩٥ ﴿١ - جعلت غناه في نفسه﴾
- ١٩٥ ﴿دور المصطلحات الاسلامية في تصحيح الافكار﴾
- ١٩٦ ﴿الفقر والغنى تبلوران بالكم﴾
- ١٩٦ ﴿النظام الجماعلي للتقييم﴾
- ١٩٩ ﴿النظام الاسلامي للتقييم﴾
- ١٩٩ ﴿مصطلح الغنى في النصوص الاسلامية﴾
- ٢٠٢ ﴿الانقلاب في نظام التقييم﴾
- ٢٠٤ ﴿غنى النفس﴾
- ٢٠٥ ﴿العوامل التي تكسب الانسان الغنى في النفس﴾
- ٢٠٥ ﴿١ - اليقين بالله تعالى﴾
- ٢٠٦ ﴿٢ - التقوى﴾
- ٢٠٧ ﴿٣ - الوحي﴾
- ٢٠٧ ﴿آثار الغنى في حياة الانسان﴾
- ٢٠٨ ﴿٢ - ضمنّت السموات والارض رزقه﴾
- ٢٠٩ ﴿التوفيق﴾
- ٢١٢ ﴿العلاقة بين عالم الغيب والشهود﴾
- ٢١٤ ﴿دور العامل القبيح في تفسير التاريخ﴾
- ٢١٧ ﴿المرحلة الاولى﴾

٢٨٣	فهرس الموضوعات
٢١٧	﴿المرحلة الثانية﴾
٢١٧	﴿المرحلة الثالثة﴾
٢١٨	﴿العوامل الغيبية لانتفي العوامل المادية﴾
٢١٨	﴿العلاقة بين التقوى والرزق﴾
٢٢٠	﴿قصة الثلاثة الذين أنقذهم الله بالتقوى﴾
٢٢٢	﴿٣ = وكففت عليه خيمته﴾
٢٢٣	﴿الهداية بمعنى الايصال والتوجيه﴾
٢٢٤	﴿كيف يكف الله تعالى ضيعة عبده؟﴾
٢٢٦	﴿البصيرة والعمل﴾
٢٢٦	﴿العلاقة بين البصيرة والعمل﴾
٢٢٧	﴿الطرف الاول: العمل الصالح يصدر عن البصيرة﴾
٢٢٨	﴿الطرف الثاني: البصيرة تصدر عن العمل الصالح﴾
٢٢٩	﴿المعادلة السليمة﴾
٢٣٢	﴿فساد العمل يؤدي الى فساد الاعمال﴾
٢٣٢	﴿فقدان البصائر يؤدي الى فساد الاعمال﴾
٢٣٣	﴿العلاقة المتبادلة بين البصيرة والعمل في السلب والايجاب﴾
٢٣٣	﴿النتيجة والخلاصة﴾
٢٣٥	﴿فهارس الكتاب﴾

المجمع العالمي لأهل البيت

٤

THE AHLUL BAYT(A.S) WORLD ASSEMBLY

P.O.BOX 37185-837 QUM, ISLAMIC REP. OF
IRAN Tel: 740771-3 Fax:(0096 251)735179



الجمهورية الإسلامية في إيران - ص ب ٣٧١٨٥/٨٣٧
هاتف ٣-٧٧٧٧٩ فاكس ٧٣٥١٧٩ (٠٠٩٦٢٥١)

E-Mail: Ahlebeyt @WWW.DCL.CO.IR